أعلام من عصرنا

د خالد النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام من عصرنا

«الغزو الفكري» تعبير دقيق بارع يصور خطورة الآثار الفكرية التي يستهين بها كثير من الناس لأنها تمضي بينهم في صمت ونعومة مع أنها حرب ضروس لا تضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير أو قتيل أو مسيخ، كحرب السلاح أو هي أشد فتكاً.

وذلك أن الغزو العسكري واحتلال الأرض يثير في الطرف المقابل الحمية والنخوة وروح المقاومة ورد العدوان، في حين أن الغزو عن طريق الفكر لا يثير شيئاً من هذا عند كثير من الناس؛ لأنه يتودد إلى النفس، ويدخل إليها من عدة مداخل تناسبها سواء «مداخل الشبهات» من دعاوى التقدم والتطور ومسايرة ركب الحضارة والمدنية... الخ.

أو «مداخل الشهوات» من حب الأموال والسلطة والجاه وحب الظهور، وتحقيق الرغبات الهابطة من الجنس والشراب...وغيرها من ألوان الفساد والانحراف الخلقي والسلوكي.

وبذلك يسهل قيادة الفرد، ويضمن تحوله واستمراره ذاتياً من داخل نفسه، بل قد يصبح داعية لمبادئ العدو وأفكاره، وهذه فتنة من أعظم الفتن، وقد قال سبحانه وتعالى: { وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة: ٢١٧].

إن الصراع بين المسلمين والكفار دائم ومستمر، وقد جرب عدونا سلاح القوة مراراً، فما أجدى له نفعاً، مما جعل قادتهم يفكرون في وسيلة أخرى وميدان آخر للصراع .. ولقد أدركوا أن السر في صلابة المسلمين وتفوقهم هو في إسلامهم؛ ولذا حولوا ميدان الصراع من حرب المسلمين ذاتهم إلى حرب العقيدة الإسلامية، وبهذا تغيرت ملامح المعركة، فلم يعد ميدانها الرئيسي الأرض ولكنه الأدمغة والعقول، ولم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تعد وسيلتها السيف بل الفكر، ولم تعد جيوشها الأساطيل والفرق العسكرية ولكنها المؤسسات والمناهج بالدرجة الأولى.

ولقد تعرض التاريخ الإسلامي لأكبر قدر من الغزو الفكري، وركز الأعداء على تشويه تاريخ الأمة الإسلامية، ذلك أن التاريخ – بالنسبة لأية أمة – هو مجال اعتزازها وموطن القدوة فيها.

فإذا كان تاريخ الأمة حافلاً بالأمجاد –كما هو واقع تاريخ المسلمين– فإنه بلا شك سيكون باعثاً لهم على النهوض والتمسك بالمبادئ والآداب والقيم التي جعلت الأجداد يحرزون هذا المجد والفخار، ويصلون إلى هذا المستوى الراقي في بناء الأمة والحضارة، ويبحثون عن السر الذي رفعهم إلى هذا المستوى، والمتمثل في إيمانهم بالله وتمسكهم بدينهم وجهادهم في سبيل الله ومن ثم يسعون جاهدين لانتشال أنفسهم من الوضع المتردي الذي وصلوا إليه، وأمامهم الصورة الجلية والقدوة الممتازة في شخص رسولنا صلى الله عليه وسلم الذي أخرج الله به الأمة من الظلمات إلى النور، ومن الشرك والأهواء وتحكم الطواغيت إلى التوحيد والعدل والأمن والطمأنينة، ومن الفقر وضيق الحال والشتات إلى الغنى وسعة الدنيا والآخرة والاعتصام بحبل الله.

وكذا أصحابه –رضي الله عنهم– الذين حملوا الراية وآزروه ونصروه، وأيضاً بقية الأجيال من السلف الصالح من العلماء والزعماء والقادة والمصلحين والدعاة إلى الحق.

والنماذج الممتازة في التاريخ الإسلامي الصالحة للقدوة ليسوا أفراداً يمكن حصرهم، ولكنهم أجيال وأجيال، في مجالات الحياة كافة، العسكرية والسياسية والتربوية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وهذا لا يوجد في تاريخ أية أمة أخرى لما لهذه الأمة من خاصية الاستمساك بالمنهج الرباني.

والتاريخ الإسلامي هو الذي يسجل هذه الصور السامقة ويوضح دور الأمة وأثرها وفضلها على البشرية، ولذلك لا نستغرب إذا ركز الأعداء في غزوهم الفكري على هذا التاريخ المجيد حتى ناله كثير من التشويه والتحريف والتجهيل والتزييف والتفسير

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الخاطئ لأحداثه، ومزاحمته بتواريخ الأمم الجاهلية حتى يبدو حلقة صغيرة أو كماً مهملاً في تاريخ البشرية.

ولقد قام على تشويه التاريخ الإسلامي في العصر الحديث جيش –بل جيوش– من الاستشراق والتنصير ودوائر البحث ومكاتب المخابرات في الدول الغربية، واستطاعوا أن يجندوا مجموعة من أبناء جلدتنا من ضعاف النفوس والمغرورين والجهلة وضحايا الغزو الفكري في العالم الإسلامي لمساعدتهم ونشر أفكارهم بين المسلمين.

إن الأمم لا يمكن أن تنهض بغير تاريخ، أو أن تقوم بغير ذاكرة؛ والتاريخ الإسلامي أشد خطورة في حياة المسلمين من التاريخ في حياة أية أمة، وتشويهه، وطمسه، وتمزيقه بالنسبة للمسلمين أسوأ وأفظع منه بالنسبة لأية أمة أخرى.

ذلك أن التاريخ الإسلامي هو الإسلام مطبقًا، منفَّذًا على أرض الواقع، منزلاً على حياة الناس اليومية، فهو في حقيقة الأمر حركة الأمة التي رباها محمد –صلى الله عليه وسلم– بالإسلام، وحركة الإسلام بالأمة.

فالإسلام الذي هو رسالة الله الخاتمة له نوعان من الوجود:

فمن حيث هو رسالة السماء إلى الأرض موجود في الوحيين «القرآن الكريم» و «السنة المطهرة»، فما بين دفّتي المصحف الشريف، وما تحويه دواوين السنة الصحيحة هو الوجود الأول للرسالة الأخيرة من السماء إلى الأرض، رسالة الله إلى خلقه.

والوجود الآخر للإسلام هو استجابة أهل الأرض لرسالة السماء، أو استجابة خلق الله لرسالة الله .. فهذه الاستجابة هي التي تمثلت في إيمان المؤمنين بصدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وطاعتهم له، {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً } [النساء:٨٠]، وإجابتهم إياه، والتزامهم بما أمر ونهى، حتى صارت الرسالة واقعًا عمليًا تطبيقيًّا، صُنع على عين رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، ثم حمله من بعده صحبه الأكرمون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه... ذلك الجيل المثالي –كما سماه العلامة محب الدين الخطيب – الذي اختصه الله سبحانه بشرف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الصحبة، وأمدهم بخصائص اختصهم بها، حيث هيأتهم الأقدار لإبلاغ هذه الرسالة الخاتمة، وأعدتهم لحفظها.

عنهم جاءنا القرآن الكريم متواترًا، ومنهم وصلتنا السنة الشريفة المطهرة، وفيهم تجلَّى الإسلام مجتمعًا ودولة، سياسة واقتصادًا، ومضى بعدهم التابعون لهم بإحسان على نفس المنهج، وتتابعت الأجيال جيلاً بعد جيل.

فتاريخ الإسلام –أو التاريخ الإسلامي– هو حركة الأمة الإسلامية، وحركة الإسلام بالأمة، كما قلنا آنفًا، فهو الإسلام مطبقًا.

ومن هنا كان تشويه التاريخ الإسلامي معناه القضاء على النموذج، والمثال الذي يمكن أن يقدمه الدعاة، النموذج الذي تتطلع إليه الأجيال لتهتدي به ولتنسج على منواله.

فلو كان التاريخ الإسلامي قد انحرف منذ انتهاء عهد عمر، ووقع في متاهات الاستبداد ومستنقع الفساد، فلأي شيء ندعو الناس؟ ندعوهم لشريعة لا يطبقها البشر، أليس قد عجز عن الالتزام بها الصحابة؟ فما إن (قُتل) عمر – الذي كان مهيبًا مخوفًا – حتى انسلخوا من الإسلام، ورجعوا إلى الجاهلية، لا إلى عصبيتها فقط، بل إلى ظلمها وتجبرها، وكبريائها، وإلى قيانها وغنائها، وخمرها وانحلالها.

وقد صار هذا التاريخ بهذه الصورة الشوهاء سدًّا في وجه الدعوة والدعاة، فحين ينادي الدعاة «الإسلام هو الحل» يسألهم العلمانيون والشيوعيون والرأسماليون: أي إسلامٍ تريدون؟! إسلام عثمان وبني أمية، ويزيد والحجاج...إسلام العباسيين هارون الرشيد ومسرور السيَّاف، والخمر والنساء، وأبي نواس؟! أم إسلام المماليك والمجازر اليومية، والخَوْزقة والتوسيط، أم إسلام الأتراك، والظلم الغاشم، والظلام الجاهل...؟!

ولقد رتب المعاندون على هذا أمرًا أخطر وهو «إن دين الله الأقوم ينبغي أن يظل صلة بين العبد وربه، بغير قسْرٍ منكم (الدعاة والإسلاميين) ولا إجبار. ألا تخشون أن تضعوا قرآن الله بين يدي طغاة يستغلونه كما فعل الخلفاء طوال ألف وأربعمائة عام».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وإذا كان الله يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: {وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[الرعد: ٤٠]. فمن سمح لكم يا سادة أن تبلغوا، وما أنتم بمبلغين، أو تحاسبوا وما أنتم بمحاسبين.

إن الدعاة إلى الرأسمالية، وإلى الشيوعية، وإلى الليبرالية، يجدون مثالاً ونموذجًا مُعجبًا ناجحًا موجودًا بين الناس يقدمونه دليلاً على صحة ما يدعون إليه، ولكن الإسلاميين وحدهم هم الذين يدعون إلى منهجٍ غير صالح للتطبيق، لا لعيب في المنهج – حاشا لله – بل هو أقوم المناهج، وأعظم الشرائع، سبحان من أنزله، ولكن العيب في البشر، فهم أعجز من أن يطبقوا هذا الشرع المثالي.

وهذا كلام بالغ الخطورة، فالله سبحانه أحكم الحاكمين، أجل وأعظم من يرسل رسالة لعباده يعجزون عن إجابتها، وشريعة لا يطيقون الالتزام بها، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[الملك: ١٤].

ولو تتبعت المناظرات التي جرت بين عتاة العلمانيين وغلاتهم مع كبار الدعاة والعلماء، وجدتهم يعتمدون وقائع التاريخ المكذوبة وصورته المشوهة.

ويؤكد خطورة التاريخ الإسلامي بصورة أوضح، ما جاء في تلك الخطة المشهورة التي وضعتها لجنة من خبراء التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، ورجال الأمن، للقضاء على العمل الإسلامي، فكان من الوسائل الوقائية ما يأتي:

١– إعادة النظر في مناهج تدريس التاريخ الإسلامي، بحيث يكون التركيز على مفاسد الخلافة الإسلامية، وخاصة العثمانية، وعلى تقدم الغرب بمجرد إقصائه للدين.

٢– تشويه الآباء الروحيين والقياديين للحركة الإسلامية.

ومن المعلوم المقرر أن المبادئ والنظم والتشريعات لا تمتحن الامتحان الصادق، ولا تثبت صحتها إلا بالتطبيق، فكم عقول كبيرة، أعجبت بالشيوعية وانبهرت بها، ولم تدرك خللها وعورها، ولكن عند التطبيق ظهر عجزها وفسادها.

وحاشا الإسلام –وهو منهاج رب العالمين– أن يفشل في التطبيق، ولكنها القراءة الخاطئة المزيفة لتاريخ الإسلام.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ومن هنا جاءت دعوة العلامة الشيخ «محب الدين الخطيب» إلى تصحيح تاريخ الإسلام، وهو –رحمه الله– من القلة القليلة من علمائنا الذين تنبهوا لهذا الأمر، ونبهوا إليه.

قال رحمه الله: "... وشباب الإسلام اليوم معذور إذا لم يحسن التأسي بالجيل المثالي في الإسلام؛ لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف، والبتر، والزيادة، وسوء التأويل من قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الأولين، فأنكرت عليهم نعمة الإيمان.

وقد أصبح من الفرض على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له، ويجتهد فيه ما استطاع، لكي يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به، ويجددون عهده، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته.

وهذه المعاني تحتاج إلى دراسات علمية عميقة ليتبين لنا سر الله في تكوين هذا الجيل على يد حامل أكمل رسالات الله عز وجل".

إن الكيد والتدبير لتشويه تاريخنا، يدخل في باب «التضليل المعلوماتي»، وإذا كان التضليل المعلوماتي قد أصبح علمًا له نظرياته، ومدارسه، وتطورت وسائله، وتنوعت مجالاته، ولا يستطيع أن ينكر ذلك عاقل، فليس معنى ذلك أن التضليل المعلوماتي لم يظهر إلا في هذا العصر، بل لقد كان موجودًا من قديم، ويمارس بطرقه ووسائله المتاحة حسب الزمان والمكان، وإن لم تكن قد صيغت نظرياته ومناهجه، وتحددت قواعده، وتمايزت مدارسه، شأنه في ذلك شأن جميع العلوم الإنسانية، تنشأ وتمارس، ويعيش بها الناس ما يشاء الله لهم أن يعيشوا، ثم ينشأ العلم بعد كعلم الخدمة الاجتماعية مثلاً.

وآية ذلك – أعني استخدام التضليل المعلوماتي قديمًا – ما كتبه الفيلسوف الفرنسي المعاصر رجاء جارودي، قال: «في إحدى صفحات الكتاب الرائع لأناتول فرانس «فوق الحجر الأبيض» يوجه أحدُ المؤرخين سؤالاً إلى مدام نوزبير: ما أتعس يوم في تاريخ فرنسا؟ ولم تكن مدام نوزبير على علمٍ بهذا اليوم، وعندئذ قال لها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المؤرخ: إنه عام (٧٣٢م)، إنه العام الذي جرت فيه معركة بواتيه، التي هزم فيها المسلمون، ولم يستكملوا دخلوهم فرنسا، في هذا اليوم انهزمت الحضارة العربية أمام البربرية الفرنسية، ولولا هذا اليوم الأسود ما عاشت قرونًا متطاولة في ظلام العصور الوسطى حتى سطعت عليها شمس الحضارة) اهـ كلام أناتول فرانس في كتابه الرائع.

ثم يكمل جارودي قائلاً: «وهذا النص يثير في نفسي ذكرى لذيذة، إذ كنت في تونس سنة ١٩٤٥م، وأثناء محاضرة لي عن ابن خلدون، ذكرت أن النص من كتاب (أناتول فرانس)، وإذا بالجنرال الفرنسي – الذي كان وقتئذ مقيمًا عامًا في تونس – أي حاكمًا عامًا لها، إذا بهذا الحاكم العام يأمر بطردي من تونس بدعوى الترويج للدعاية ضد فرنسا.

وكان لهذا الحدث دلالة ومغزى من وجهة النظر الاستعمارية؛ فإن مجرد تذكير المستعمَرين [بفتح الميم] بعظمة ماضيهم وثقافتهم، كان يعتبر إهانة للاستعمار، وخطرًا يهدده». انتهى كلام جارودي، وهو غني عن أي تعليق.

وفي عهد الاستعمار في إحدى دول الشمال الإفريقي كان أستاذ الفيزياء الأجنبي يدرس نظريات الضوء، ويستشهد بكلام عالم قديم مبتكر اسمه «الهازان» ويذكر تاريخ ابتكاراته ونظرياته، فسأله أحد تلاميذه: من هو «الهازان» هذا؟ فكلفه الأستاذ بالبحث عنه، ووجهه إلى بعض الكتب الأجنبية في تاريخ العلم، واستطاع الطالب النجيب أن يصل إلى حقيقة «الهازان»، فإذا هو «الحسن بن الهيثم»، ولما عاد إلى أستاذه بهذه الحقيقة، لاحظ أن أستاذه الأجنبي لم يعد أبدًا يذكر اسم «الهازان»، وإذا اضطر إلى الحديث عن نظرياته، يشير إليها من غير أن يذكر اسم صاحبها.

فكيف يذكر هؤلاء بأمجادهم ؟ وكيف يضخ في عروقهم دماء الاعتزاز بأسلافهم !!؟

ولكي تتأكد أن هذا التضليل التاريخي أمر مقصود، اعلم أن صك الانتداب الذي كلفت به عصبة الأمم إنجلترا بحكم فلسطين وإدارتها، كان صك الانتداب هذا ينص في مادته رقم (٢١) على أن تضع الدولة المنتدبة، وتنفذ في السنة الأولى من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هذا الانتداب قانونًا خاصًا بالتنقيب عن الآثار والعاديات يتضمن ....إلخ أي أن من عمل الدولة المنتدبة بعث تاريخ ما قبل الإسلام، والاحتفاظ بآثاره، والعناية بعادياته.

وكذلك كان شأن الفرنسيين في سوريا ولبنان، فقد كان أول ما اهتم به الفرنسيون أن ألفوا في خلال الحرب الكونية الأولى لجانًا في دمشق وبيروت لكتابة تاريخ بلاد الشام، فكتبوا منه بعض تاريخ لبنان، أما تاريخ سوريا فقد كلف الآباء اليسوعيون ثلاثة من رهبانهم عام (١٩٢٠م) بكتابة هذا التاريخ، بعد أن قسموه إلى ثلاثة عصور، العصر الآرامي والفينيقي، والعصر اليوناني والروماني، والعصر العربي.

ومن هذا الباب إعلان الثري الأمريكي «روكفلر» سنة (١٩٢٦م) عن تبرعه بمبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر، على أن يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن، واشترط لإتمام هذا التبرع أن يكون المتحف والمعهد تحت إشراف لجنة من ثمانية أعضاء ليس فيها من المصريين إلا اثنان فقط، وأن يستمر هذا الإشراف لمدة ثلاث وثلاثين سنة، ولما رفضت مصر شرط الإشراف هذا، قبض يده وامتنع عن التبرع.

وفي مدينة «بلتيمور» بأمريكا عقد مؤتمر في سنة (١٩٤٣م) للمبشرين، كان من ضمن قرارات هذا المؤتمر المضاعفة للجهود المبذولة في توجيه الدراسات للتاريخ الإسلامي، نحو إعلاء شأن ثورة الزنج، والقرامطة، والباطنية، وتصويرها على أنها حركات تقدمية تمثل العدل الاجتماعي، في وجه الخلافة الإسلامية الفاسدة التي يظاهرها علماء سوء فاسدون مفسدون.

وسائل الحاقدين لتشويه التاريخ

- الكذب:وهو أكبر مطايا الباطل؛فكم من رواية بلا أصل،ورأي من غير اعتقاد،ومثالية بلا تطبيق.
- طمس جهد علماء الأمة الأبرار المضني في إسعاد البشر بالبحث والتحصيل، والجرح والتعديل، ومواقفهم في تمحيص الحق ودحض الباطل، وإسقاط دورهم في حركات المقاومة عبر تاريخ الأمة الطويل. وتعمد إظهار العلماء كدراويش رجعيون،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ليس لهم القدرة على متابعة الأحداث، ومواكبة المستجدات، ويكفي هذا نجاحاً للأعداء.

- النقل الانتقائي للنصوص والحقائق بحيث يفهم منها خلاف حقيقتها،ولهم في ذلك سلف وقدوة ماضية في الافتراء والتقول،كمن يسكت بعد قراءة {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ}[الماعون: ٤].
- نشر كل ما يوافق مشاربهم ويحقق مآربهم المريضة والاحتفاء به،ولو كان جنس هذا المنشور مبغضاً لديهم؛كالاحتفاء بفتوى شاذة أو مقال مفترى أو مسلسل أو فيلم ماجن.
- تضخيم الأخطاء العفوية أو الطبيعية لمخالفيهم؛إذ لا بد لكل متحرك من عثار أو انحراف أو وقوع،أما الساكن فكامن لا يعرف خيره من شره.
- استغلال الأخطاء التي يرتكبها الغلاة لتجريم الصالحين وعموم المجتمع في سعيٍ حثيث لإسقاط القاعدة بالمثال الشاذ.
- نقل اتهامات الأعداء للمسلمين ولمز المجتمع بها،وهذا النقل يكون أحياناً من غير إعادة تصنيع إمعاناً في الرفق بالآخر واتباعه والدوران في فلكه.
- استغلال الأحداث لنفث السموم وشحن النفوس والتجرؤ على سلطان الله ثم سلطة صاحب الأمر تحت دعاوى الإصلاح والتغيير وما يطرب له غربان الغرب ومؤسسات التهييج الغربية.
- الإنكار على العالِم أن يفتي بما يخالف أهواءهم،ويعدون الفتوى الشرعية تجاوزاً أو تحجيراً أو غير ذلك،ولا يعلمون أنهم وهم سادرون في متاهات غيهم يفتون فيحللون ويحرمون ويفعلون عين الأمر الذي يستنكرونه بجهل وهوى،بينما الأصل في العلماء الاستناد إلى الدليل الثابت والقول المحكم.
- التواصل مع حاقد في الداخل والخارج؛ ومده بالمعلومات التي يحب سماعها بعد تهويلها أو إعادة سبكها.
- إقصاء وازدراء كل رأي أو فكرة أو برنامج أو إنسان لا يسير في ركابهم ولا يحقق ما ينشدونه؛ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلاً كما قال شيخ الإسلام.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هل كان العرب القدماء يعرفون ما سيكون عليه سفلة الأزمنة التي بعدهم حين قالوا: «إذا كنت خاملاً فتعلق بعظيم»؟وهل كان الصينيون يقدمون لحضارات العالم نصيحة ذهبية في حكمتهم «لا تقس عمق الماء بقزم»؟وهل من الخير لأمة الإسلام أن تدار ثقافتها وإعلامها وشؤونها المهمة بأيدي أقوام لا يحترمون تاريخها، ولا يعيشون آمالها فضلاً عن آلامها، ثم هم يتيهون عن مستقبلها؛ فلا الظهر أبقوا ولا الغاية بلغوا؟

إننا بأشد الحاجة لمنهجية منظمة تعيد للتاريخ الإسلامي رونقه وبهائه وفاعليته في إعادة بناء صرح الأمة الإسلامية على النمط الذي يرضاه الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم–... نمط السلف الأول تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

منهجية تقوم على فضح خطط هذا «الطابور الخامس» وطرائقه، وحماية الأجيال المسلمة منه. مع تتبع الروايات الباطلة والأفكار المنحرفة وتفنيدها وبيان وجه الحق فيها، ومن ثم ردمها حتى تموت ويختنق حملتها.

منهجية تربط الناس بعلمائهم، وتذب عن أعراض هؤلاء العلماء الأبرار، وتنشر فضلهم وعلمهم. وتبرز الناصحين لدينهم وبلادهم وولاتهم في جميع التخصصات حتى لا يكون الأمر حكراً على الغششة الكذبة الأقزام.

منهجية تستغل كل منبر يمكن استغلاله لإيصال صوت الحق والعدل والهدى للناس.

ومن هذا المنطلق شددت العزم واستعنت بالله تعالى في جمع هذا المؤلف عن السير العطرة للعديد من أعلامنا المعاصرين الذين تعمد المغرضون –بما يملكون من وسائل عصرية حديثة ومتطورة– طمس تاريخهم النضالي الكبير، وذودهم المشرف عن حياض الإسلام، ومواجاتهم المضنية مع دعاة التغريب الذين اشتد ساعدهم في هذا العصر بالذات عن أي عصر مضى.

أقدم السيرة العطرة لأعلام عاشوا تاريخنا المعاصر بحلوة ومرة، وكانوا متواجدين في موقع الحدث، متفانين في أداء واجبهم من إحقاق الحق وإبطال الباطل، ليعلم القاصي والداني أن الأمة مازالت بخير، وأنها لم تمت كما يوحي بذلك لنا الحاقدون،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويجد فيهم أبناء هذا الجيل السلوى على اتباع الحق، والنور الذي يشحذ الهمم لكي تعتصم النفوس بدينها مصدر عزتها وقوتها.

هذا فضلا عن أن الحديث عن المصلحين، والدعاة والمجددين، والتذكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة، وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم التي دلت على إخلاصهم، وعلى صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم. وأعمالهم وسيرتهم . مما تشتاق إليه النفوس الطيبة، وترتاح له القلوب، ويود سماعه كل غيور على الدين، وكل راغب في الإصلاح، والدعوة إلى سبيل الحق.

ولقد التزمت الأمانة في العرض وتجنبت الإطراء المفرط الذي يمكن أن يوحي في النفس العصمة لهم، فوجود الخطأ في صفوف الصالحين أمر وارد لا ينقص من قيمة الحق شيئاً؛ كما أن وجود بعض الصواب عند المبطلين وارد أيضاً ولا يغير من حقيقة الباطل أبداً.

ويمكن أن يلاحظ القارئ هذه الشفافية والحيادية في العرض – على سبيل المثال– في سيرة شكيب أرسلان، والشيخ أحمد شاكر، ، والشاعر «محمد إقبال»، والمفكر «مالك بن نبي» .... وغيرهم حيث عرضت للعديد من المآخذ والإشكالات وربما الشطحات الفكرية، ورد العلماء الثقات عليهم، غفر الله لنا ولهم ولجميع المسلمين.

وفي النهاية أود أن أؤكد أن ترتيب الشخصيات لا يخضع لمكانة الشخصية المختارة، ولا للترتيب الزمني لها، بل أعرضت عن هذا لأنه –من وجهة نظري– لا يفيد المقصود من هذا الجمع.

وأخيرا أسأل المولى تبارك وتعالى أن يكون هذا الجمع لبنة ذكية في صرح تاريخنا الإسلامي المشرق، وأن ينتفع به أبناء هذا الجيل في عصر كثر فيه «الأقزام»، وتعمد المخربون تقديمهم على أنهم رموز الأمة الأوفياء، تحت دعاوى «رسالة الفن» أو «الروح الرياضية» أو كوكبة «المفكرين الإسلاميين» الذين يجهلون أبسط قواعد هذا الدين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والله من وراء القصد

وهو حسبنا ونعم الوكيل

د/ خالد سعد النجار

alnaggar66@hotmail.com

من مصادر هذه المقدمة

- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام الدكتور عبد الستار السعيد
- العلمانية سفر الحوالي
- وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ محمد بن صامل السلمي
- إنهم يعرفون قيمة التاريخ د عبد العظيم الديب
- خطورة تشويه التاريخ الإسلامي د عبد العظيم الديب بتصرف يسير
- التضليل التاريخي و المعلوماتي !! د. عبد العظيم الديب بتصرف يسير
- الأقزام والدمى أحمد بن عبد المحسن العساف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الحسن الندوي

(١٣٣٢هـ/١٩١٣م – ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م)

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أحد أعلام الدعاة إلى الإسلام في عصرنا بلا ريب ولا جدال، عبَّرت عن ذلك كتبه ورسائله ومحاضراته التي شرقت وغربت، وقرأها العرب والعجم، وانتفع بها الخاص والعام. كما أنبأت عن ذلك رحلاته وأنشطته المتعددة المتنوعة في مختلف المجالس والمؤسسات، وبعض كتبه قد رزقها الله القبول، فطبعت مثنى وثلاث ورباع، وأكثر من ذلك، وترجمت إلى لغات عدة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المفكر الإسلامي الكبير، والعلامة الداعية سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بن العلامة السيد عبد الحي بن السيد فخر الدين، الذي يتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. هاجر جده الأمير السيد قطب الدين محمد المدني عام (٦٧٧هـ)، في أوائل القرن السابع الهجري.

النشأة

ولد الشيخ الندوي بقرية «تكيّة كلان» من مديرية «رائي بريلي» قرب «لكهنؤ» بالهند عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م)، ونشأ في أسرة متديّنة متعلّمة، نبغ منها عدد من العلماء والدعاة، كان من أبرزهم أبوه الشيخ عبد الحي الذي يعدّ بحق «خلّكان الهند» العالم المصلح والداعية المخلص، أستاذ التفسير والأدب في دار العلوم، صاحب المصنفات المشهورة مثل:

- «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها»، طبع باسم «الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام» في ثمانية مجلدات.
- «الهند في العهد الإسلامي».
- «الثقافة الإسلامية في الهند».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أما أمّه فكانت خير النساء، شريفة النسب، شاعرة، عابدة، حافظة للقرآن، ومؤلّفة للكتب.

ولقد تولّى أخوه عبد العلي تربيته بعد وفاة والده وهو في التاسعة من العمر. فحفظ القرآن في البيت وجوّده، تعاونه أمه. وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره درس العربيّة على خليل محمد اليماني، والأدب العربي على محمد تقيّ الدين الهلالي، وأتقن الإنجليزيّة والفارسيّة، إلى جانب لغته الأورديّة، وقرأ التفسير على الشيخ أحمد بن علي في لاهور، ثم أكمل تعليمه في دار العلوم بندوة العلماء، ودار العلوم في ديوبند، وجامعة لكهنؤ، وتلقى تربيته الروحيّة على الشيخ عبد القادر الرائي فورى. كما تأثّر بفكر الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأحمد بن عبد الأحد السرهندي، وشاه ولي الله الدهلوي، وكان الشيخ محمد إلياس من أعظم أساتذته، كما كان لمحمد إقبال أثرا كبيرا في توجيهه الأدبي والفكري.

حياته العلمية والعملية

عمل مدرّساً بدار العلوم في لكنهؤ مدّة عشر سنوات، واشتغل بالصحافة، وساهم في تحرير مجلّة «الضياء» التي تصدر بالعربيّة، والتي ترأّس تحريرها مسعود الندوي، ثم ترأس تحرير مجلّة «الندوة العلميّة» التي كانت تصدر عن ندوة العلماء بالأورديّة، ثم أصدر «مجلّة التعمير» النصف شهريّة بالأورديّة، ويعتبر أحد رؤساء التحرير لمجلّة «معارف» الأكاديميّة التي تمثّل المسلمين في شبه القارّة الهنديّة.

كما أسّس جمعيّة لنشر الإسلام بين الهنود، وتولّى رئاسة جامعة دار العلوم «ندوة العلماء» وأنشأ المجمع الإسلامي «أكاديمية البحوث الإسلاميّة» سنة (١٩٥٩م)، وأسس حركة «رسالة الإنسانية» عام (١٩٥١م)، وأسس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ عام (١٩٥٦م)، وشارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية عام (١٩٦٠م)، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام (١٩٦٤م)، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند (١٩٧٢م)، وفي تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٩٨٦م).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نال عضوية عدد من المجامع العلمية والمؤسسات العالمية مثل: رابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية، ومركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ومجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وعمان وغيرها.

نال العديد من الجوائز العالمية منها: جائزة الملك فيصل في الرياض (١٤٠٠هـ)، وجائزة الشخصية الإسلامية في دبي (١٤١٩هـ).

وزار الأمصار والحواضر، وعاش صدر حياته في قصر صدّيق حسن خان العالم السلفي، الأمير الكبير... أسكنوه فيه بعد موت أبيه، فذاق حياة الترف والنعيم، ولكنه زهد فيها، واشتغل بالدعوة مع جماعة «التبليغ الإسلامي» بعد لقاءه بالشيخ «محمد إلياس» مؤسس الجماعة.

ولقد بنى –رحمه الله– للإسلام في نفوس تلاميذه حصوناً أمتن من حصون الحجر، وبنى أمّة من العلماء الصالحين، والدعاة المخلصين.

منهجه الفكري والدعوي

كان ـ رحمه الله ـ يرى أن الأحداث التي عاصرها وعلى رأسها سقوط الخلافة، دعمت إيمانه بأن الإسلام لابدّ أن يتولّى الزمام لإنقاذ العرب والعالم، لأن الحل الوحيد لمأساة الإنسان يكمن في تحوّل قيادة العالم إلى أيد مؤمنة بقيم الإنسانيّة، وكان محور إصلاحه: مكافحة الغزو الفكري، وبثّ روح الاعتزاز بالإسلام في المسلمين، ومقاومة الردّة وآثارها، وخاطب العرب وركّز عليهم اهتمامه، لأنّهم في رأيه يحملون استعداداً روحيّاً ومعنويّاً وماديّاً لقيادة العالم الإسلامي، وبالتالي لقيادة العالم أجمع، وكان حريصاً على نهضة العرب بمواهبهم وكفاءاتهم.

وحدّد واجب العلماء والطبقة المثقفة في مقال منشور بمجلّة «البعث الإسلامي» قائلاً: «إن مسؤوليّة العلماء والمفكّرين المسلمين في العصر الحديث –بعد مواجهتهم للتحدّيات المعاصرة وإثباتهم أن الإسلام قادر على قيادتها وترشيدها والسموّ بها– هي أن يفضّلوا الإسلام على كل جماعة، ومؤسّسة، ومدرسة، وطائفة، وحزب، وإذا رأوا أن بقاء الإسلام يتطلب أن نمح جميع الأسماء واللافتات والشعارات والشارات والأحزاب والجماعات، فليكن ذلك موضع عنايتهم، ولا يقع تلكؤ منهم أو إحجام

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

للحظة واحدة، وليكن مصلحة الدين والعقيدة مفضّلة على عمل كل مصلحة حزبيّة، أو جماعيّة، وليكن واضحاً أن الدين والإيمان وازدهارهما هو الهدف، سواء رجع الفضل إلينا أو لغيرنا من الإخوان في العقيدة والدين».

ومن أبرز تأمّلاته: قضيّة الإصلاح والتغيير، حيث رأى أنّ المنهج الإصلاحي الذي نريده ينبع أساساً من تكوين الفرد تكويناً نوعيّاً، ويحمل على بعض المصلحين الذين خلطوا الواقع الإصلاحي بالتجربة والروح الغربيّة، وكان يندهش من المسلمين الذين اطمأنّوا لتدريس أبناءهم في المؤسسات العلميّة الغربيّة، وغفلوا عن هدف الغرب في القضاء على الهويّة الإسلاميّة لهم، وتنبّه إلى ضرورة إحداث تغيير شامل في الجامعات الإسلاميّة من خلال ربط العلم بالتربية؛ وأولى اهتماماً كبيراً بالمنهل العلمي الذي يتلقّاه الشباب، فلا بدّ من تصفية هذا المنهل من خلال توحيد التعليم ليكون وحدة شاملة تجمع بين الوسائل والغايات.

ولقد أحب الشيخ أبو الحسن وهو في العاشرة، رحمة العالمين محمدا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، وشغف حبا بإرثه المعجز الذي بلغ عن ربه .. الهدى الذي ما كان –صلى الله عليه وسلم– ينطق به عن الهوى، وملأ عليه هذا الحب السمع والبصر والفؤاد، ومنحه هذا الحب استعلاء إيمان، وسداد نظر، واستواء سلوك.

ثم نظر من حوله فراعه أن يرى كثيراً من أصحاب إرث النبوة – معجزة رب العالمين، وهدي رسوله الأمين– يعرضون عنه ويتخذونه وراءهم ظهرياً، ويتولون الذين كفروا –ولبئس ما فعلوا– ويتبعونهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع في مناهج التفكير وطرائق السلوك .. راعه أن يرى أشد طبقات المجتمع إفلاساً في هذا الحب الطبقة العصرية المتعلمة، فكانت لذلك «أجوفها روحاً، وأضعفها مقاومة، وأخفها وزناً، وأكدرها حياة، وأضلها عملا» كما يقول.

فكر الشيخ وقدر .. وسرعان ما استيقن أن هؤلاء «الورثة» لا يمكنهم أن يدركوا، مثلما أدرك قيمة هذا الإرث العظيم إلا إذا أحبوه مثلما أحبه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعاد الشيخ مرة أخرى ففكر وقدر .. وسرعان ما استيقن أن على عاتقه أمانة تجاه أبناء أمته ..تأديتها على أتم وجه وأكمله أن يذكرهم بإرث النبوة الذي فرطوا فيه، ويستنهض هممهم للعودة إليه، وصياغة حياتهم وِفْقَهُ، ومن قبل هذا .. كان أيقن أن مثل حبه لهذا الإرث مثل شرارة في الرماد كامنة «في قلب كل مسلم» فما عليه إلا أن يثير ما كمن من جذوات الحب لإرث النبوة في قلوب أبناء الأمة الإسلامية، فلا صلاح لهم إلا بإرث النبوة الخاتمة الذي صلح به أولهم.

تجرد للأمر، يعمل له وسع الطاقة إذا أصبح، ويعمل له يوم إقامته ويوم ظعنه، ويعمل له بأفانين من القول: خطبة، ومحاضرة، ومقالة، ورسالة، ودرساً، وكتابا، وبحثاً .. وهو في كل ذلك لا يكل ولا يمل من إرث النبوة الذي أحب أن يتزود بخير زاد: الإيمان بدعوته، والصبر على ما يلقى في سبيل تبليغها من نصب وعنت.

ومازال أبو الحسن يغرد بهذا الحب،، كما الشحرور!

ومازال أبو الحسن يحلق بهذا الحب، كما العقاب! حتى استضاءت قلوب في الصدور، وأبصرت عن عمى! وحتى استنارت نفوس بين الجوانح، ورشدت عن غي!

وما ظنك بأثر أحاديث وعت من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– الحكمة المخلدة، والفكرة المسددة، والدعوة المجددة؟

ويرى فضيلة الشيخ القرضاوي أن فقه الدعوة عند العلامة أبي الحسن الندوي يقوم على ركائز وأسس تبلغ العشرين، منها انطلق، وإليها يستند، وعليها يعتمد وهي:

١– تعميق الإيمان في مواجهة المادية.

٢– إعلاء الوحي على العقل.

٣– توثيق الصلة بالقرآن الكريم باعتباره كتاب الخلود، ودستور الإسلام وعمدة الملة، وينبوع العقيدة، وأساس الشريعة.

٤– توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية.

٥– إشعال الجذوة الروحية «الربانية الإيجابية».

٦– البناء لا الهدم.

٧– إحياء روح الجهاد في سبيل الله.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

٨- استيحاء التاريخ.

٩- نقد الفكرة الغربية والحضارة المادية أو الجاهلية الحديثة.

١٠-نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية.

١١- تأكيد عقيدة ختم النبوة.

١٢- مقاومة الردة الفكرية.

١٣- تأكيد دور الأمة المسلمة واستمرارها في التاريخ نبراس هداية للبشرية.

١٤- بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين.

١٥- التنويه بقضية فلسطين وتحريرها.

١٦- العناية بالتربية الإسلامية الحرة التي لا تستمد فلسفتها من الغرب ولا من الشرق.

١٧- العناية بالطفولة والنشء والكتابة للأطفال والناشئين بوصفهم رجال الغد.

١٨- إعداد العلماء والدعاة الربانيين.

١٩- ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية التي يشهدها العالم الإسلامي.

٢٠- دعوة غير المسلمين للإسلام.

ثناء العلماء عليه

- قال عنه الشيخ الغزالي . رحمه الله .: هذا الإسلام لا يخدمه إلا نفس شاعرة محلقة، أما النفوس البليدة المطموسة فلا حظ لها فيه .. لقد وجدنا في رسائل الشيخ الندوي لغة جديدة، وروحًا جديدة، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها .. إن رسائل الشيخ هي التي لفتت النظر إلى موقف ربعي بن عامر –رضي الله عنه– بين يدي «رستم» قائد الفرس وكلماته البليغة له، التي لخصت فلسفة الإسلام في كلمات قلائل، وعبرت عن أهدافه بوضوح بليغ، وإيجاز رائع: «إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» .. أبو الحسن الندوي – فيما أعلم – هو أول من نبهنا إلى قيمة هذا الموقف وهذه الكلمات، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك وانتشرت.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

• وقال الشيخ القرضاوي: كان يتمتع بخمس صفات تميزه عن غيره من العلماء، فهو إمام رباني إسلامي قرآني محمدي عالمي .. فأما أنه رباني فلأن سلف الأمة قد أجمعوا على أن الرباني هو: من يعلم ويعمل ويعلِّم، وهي الصفات الثلاثة التي كان يتحلى بها الشيخ، وأما أنه إسلامي فلأن الإسلام كان محور حياته ومرجعه في كل القضايا والدافع الذي يدفعه إلى الحركة والعمل والسفر والكتابة والجهاد، ساعيا لأن يقوي الجبهة الداخلية الإسلامية في مواجهة الغزوة الخارجية عن طريق تربية الفرد باعتباره اللبنة الأساسية في بناء الجماعة المسلمة، وأما أنه قرآني فلأن القرآن هو مصدره الأول الذي يستمد منه ويعتمد عليه ويرجع إليه ويستمتع به ويعيش في رحابه ويستخرج منه اللآلئ والجواهر، وأما أنه محمدي فليس لمجرد أنه من نسل الإمام الحسن حفيد الرسول –صلى الله عليه وسلم– فكم من حسنيين وحسينيين تناقض أعمالهم أنسابهم «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» بل لأنه جعل من الرسول الكريم أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها واتخذ سيرته نبراسا له في تعبده وزهده وإعراضه عن زخارف الدنيا وزينتها فهو يعيش في الخلف عيشة السلف.

• وقال د. أحمد الشرباصي – رحمه الله –: له غرام أصيل باقتناء الكتب. فأعز ما يحرص عليه من عرض الحياة هو كتبه، فهو لا يقتني الكتب للزينة بل ليهضمها قراءة وبحثاً ونقداً، وله قدرة على الارتجال بالعربية يتدفق كالسيل، بلغة فيها الصور البيانية البليغة.

• ووصفه الشيخ علي الطنطاوي لما زاره سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) في لكهنؤ فقال: وجدته في الأحوال كلّها، مستقيماً على الحق، عاملاً لله، زاهداً حقيقّياً، زهد العالم العارف بالدنيا وأهلها.

• ويقول عنه د. حسن الوراكلي: لقد وجدتني بإزاء رجل رزقه الله من محبة مصطفاه ومجتباه، ومن التعلق بإرث النبوة رزقاً حسناً، فهو ينفق منه باليمين والشمال، سراً وعلانية، بالليل والنهار، وزاده منه باق لا ينفد!

لقد وجدتني بإزاء رجل ملك عليه حبه لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولإرث نبوته سمعه وبصره وفؤاده، فعاش حياته يتنفس بهذا الحب، ويبصر به ويسعى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

.. عاش يرعاه ويتعهده، ويستحث عليه، ويندب إليه مبصراً بآثاره البعيدة في الإحياء والانبعاث.

حدثني وأفاض بأحاديث أسرت لبي وأخذت بعقلي كالبحر في عمقه ..كالغيم في صفوه .. من مشكاة السبع المثاني كان يقبس .. من مصباح الجوامع النبوية كان يستمد .. كانت أحاديثه إلي تطيب بالحب الذي يضفرها من ألقه الأخضر وبهائه الشذي كالشجر إذ يتنزل عليه ماء مبارك من السماء فيطيب، ويطيب ما حوله.

من أقواله الخالدة

- إن الدين يميز بين تغير سليم وآخر غير سليم، وبين نزعة هدامة وأخرى بناءة. [1]

- إنّ مرد كل هذا الفساد في مختلف نواحي الحياة، ورأس البلاء وأصل الشقاء، هو عدم الإخلاص، وسوء الأخلاق، وإنّ أكبر واجب ومهمة في هذا العصر، هو إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما، وأكبر وسيلة للحصول عليهما هو الحب .. والطريق إلى الحب الذكر والصحبة، وعشرة عباد الله الصالحين والعارفين.

- التقدم والتأخر عندنا ليس رجعيا أو تقدميا كما يصوره الغرب : عصور قديمة ومتوسطة وحديثة... كلا بل هو بين مد وجزر، مد مع الارتباط بالكتاب والسنة، وجزر عند التخلي عنهما.

- بالاستعداد الروحي، والاستعداد الصناعي الحربي، والاستقلال التعليمي ينهض العالم الإسلامي، ويؤدي رسالته وينقذ العالم من الانهيار الذي يهدده .. فليست القيادة بالهزل، إنما هي جد الجد، فتحتاج إلى جد واجتهاد، وكفاح وجهاد، واستعداد أي استعداد. كل امرئ يجري إلى يوم الهياج بما استعدا. [2]

---

[1] مفهوم تجديد الدين / ٢٠٩

[2] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ٢٠٦

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

● إن أقوى وسيلة لتغذية الروح وشحن «بطارية» القلب: قيام الليل، الذي أكثر القرآن من الحث عليه، والترغيب فيه، ومدح أصحابه حتى كأنه ملحق بالفرائض وتابع لها، ولذلك سُمِّي نافلة .. وهكذا كان أئمة المسلمين وقادتهم، وزعماء الإصلاح والتجديد، ورجال التعليم والتربية، ومن نفع الله المسلمين بنفوسهم وأنفاسهم، وكتب لمآثرهم وآثارهم الانتشار الواسع والبقاء الطويل، والقبول العظيم والذكر الجميل، من أصحاب العبادة والسهر في الليالي، والقيام في الأسحار، وأصحاب الصلة الروحية بالله تعالى.

● وقد أكمل الله لنبيه شرح الصدر، إذ لا يتأتى عمل جليل في الدنيا بدون انشراح الصدر، والإيمان الراسخ، والاعتقاد الجازم، واليقين الكامل، وقوة القلب، والثقة بالمبدأ، وما عمل في الدنيا متشكك ومرتاب شيئاً، بل المتشككون أكسل الناس وأقعدهم وأبخسهم، ليس لهم هم في الحياة ولا سرور، ولذا تراهم يقتلون أنفسهم وينتحرون ويعيشون إن عاشوا مهمومين متضايقين متضجرين، فشرح صدره أولاً للنبوة والرسالة، وأخرج حظ الشيطان منه، ثم أكمل له الأسباب التي يحصل بها انشراح الصدر واتساع القلب، ورباطة الجأش وطمأنينة النفس وهدوء البال وقرة العين وحياة الروح.

● تأمل في سورة الفاتحة، التي هي الدرة الفريدة في المعجزات السماوية، وقطعة رائعة من القطع القرآنية البيانية، لو اجتمع أذكياء العالم وأدباء الأمم، وعلماء النفس، وقادة الإصلاح وزعماء الروحانية، على أن يضعوا صيغة يتفق عليها أفراد البشر على اختلاف طبقاتهم، وعلى تنوع حاجاتهم، وعلى تشتت خواطرهم يتقدمون بها أمام ربهم، ويتعبدون بها في صلواتهم، تُعبر عن ضمائرهم ومشاعرهم وتفي بحاجاتهم وأغراضهم، لما جاؤوا بأحسن منها، قال تعالى: {إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً} [الإسراء:٨٨].

الثمرات

كان ـ رحمة الله تعالى عليه ـ كاتباً غزير الإنتاج، صاحب منهج متميّز عن غيره من المفكّرين والباحثين المعاصرين بسبب معرفته لعدد من اللغات كالعربيّة والأورديّة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والإنجليزية والفارسيّة، وسعة إطلاعه على مصادر الحضارات غير الإسلاميّة، فضلاً عن تعمقه في التاريخ الإسلامي، فبلغت مؤلّفاته مائة وستّة وسبعين ما بين رسالة وكتاب وبحث، تميّزت كلّها بالغوص العميق في تفهم أسرار الشريعة، والتحليل العميق لمشاكل العالم الإسلامي.

ومن أبرز المؤلفات العربية: «نظرات في الأدب»، «روائع إقبال»، «شخصيات وكتب»، «في مسيرة الحياة»، «قصص من التاريخ الإسلامي»، «قصص النبيين»، «روائع من أدب الدعوة»، «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

الرحيل

في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ٢٣رمضان (١٤٢٠هـ)، وفي يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وفي آخر يوم من السنة الميلادية التي يعتبرها الكثيرون نهاية القرن العشرين، وقبل صلاة الجمعة، وقد توضأ الشيخ واستعد للصلاة، وشرع في معتكفه يقرأ سورة الكهف من كتاب الله تعالى، كما تعوّد كل جمعة، وافى الأجل المحتوم العلم المفرد، والداعية الرباني، والعلامة المتميز، العربي الأرومة، الحسني النسب، الهندي الجنسية، العالمي العطاء، شيخ الأمة ولسانها الناطق بالحق، الداعي إلى الخير عن عمر يناهز ٨٦ عاما، فرحمة الله تعالى عليه وعلى علماء الأمة المبجلين [٣]

---

[٣] من مصادر البحث

- فقه الدعوة عند العلامة "أبو الحسن الندوي" د. يوسف القرضاوي
- الركائز العشرون لفقه الدعوة عند العلامة أبى الحسن الندوي د. يوسف القرضاوي
- أبو الحسن الندوي محمد علي شاهين
- هذا أبو الحسن الندوي .. ناهيك من « محب » د. حسن الوراكلي
- معجم الأدباء الإسلاميين، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ومجلة الأدب الإسلامي العدد الخاص بالشيخ أبي الحسن الندوي، ٢٦-٢٧.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الشوكاني

١١٧٢- ١٢٥٠هـ

١٧٦٠-١٨٣٤ م

** محمد بن علي الشوكان الصنعاني اليمني، نسبة إلى قرية شوكان أحد قرى اليمن، ونشأته بصنعاء عاصمة اليمن السعيد.

** أسرته أسرة علم وقضاء، احتلت مكانة سياسية مرموقة في عهد الأئمة الزيديين، لمناصرتها لهم في حروبهم ضد الأتراك.

** كان أبوه من حفظة القرآن وارتحل إلى صنعاء لطلب العلم، ثم بدأ في التدريس بجوامعها ثم زاول الإفتاء والقضاء.

وقد قال الشوكاني عن كريم خصاله وتعففه: «والحاصل أنه على نمط السلف الصالح في جميع أحواله»

ويعتبر والد الشوكاني أول شيوخه ومن تلقى عليهم العلم، ثم توسع في نهل العلم من شيوخ صنعاء.

** نشأ الشوكاني نشأة طبيعية، وكان وهو صغير يلعب مع أقرانه من الصبيان، واتفق أن مر عليه يوما شباب من فوقه سنا وكانوا يطلبون العلم، فقالوا له: أنت ابن القاضي ونحن نطلب العلم، وأنت تلعب مع الصبيان، فقال لهم: أنا إن شاء الله أطلب العلم طلبا لم تطلبوه.

** وبعد حفظه القرآن شرع في طلب العلم، حيث وجد بيئة علمية غزيرة –عامرة بالشيوخ في صنعاء التي لم يغادرها– مكنته من سهولة الطلب، فقد ذكر الشوكاني في سياق حديثه عن شيخه الحسن بن إسماعيل المغربي: «وكان رحمه الله يقبل علي إقبالا زائدا، ويعينني على الطلب بكتبه، وهو من جملة من أرشدني إلى شرح المنتقى (كتاب لجد شيخ الإسلام ابن تيمية المشهور) وشرعت في حياته، بل شرحت أكثره،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأتممته بعد موته، وكان كثيرا ما يتحدث في غيبتي أنه يخشى علي من عوارض العلم الموجبة للانشغال عنه، فما أصدق حدسه، وأوقع فراسته، فإني ابتليت بالقضاء بعد موته بدون سنة».

** ومن أجل شيوخه أيضا العلامة «محمد بن إبراهيم الوزير»، الذي يقول عنه الشوكاني: «فهو إمام الناس في التبحر في جميع المعارف والوقوف على الدليل، وعدم التعويل على ما يخالفه من القال والقيل، وقد نفع الله به من جاء بعده».

يذكر أن من أهم مؤلفات ابن الوزير: «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم»، «إيثار الحق على الخلق»، «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم».

** لقد نهل الشوكاني ما في كنانات أهل عصره من العلوم، حتى استوعبها وصار مالك زمامها، وشارك مشايخه، ولما أخذ عن كل واحد منهم ما عنده هم بالارتحال وتعويض الرجال لتحصيل ما لم يجده عند مشايخ صنعاء، فبينما هو يقوم رجلا ويؤخر أخرى، إذ بلغ أمر تردده الإمام العلامة المتبحر الأوحد السيد عبد القادر الكوكباني، وكان ذلك عقيب وصوله من كوكبان إلى صنعاء، فأرسل إليه يقول له: إنه بلغني عنك أنك تريد الارتحال عن وطنك، لتحصيل علم ما لم يكن عن مشايخ زمانك، وها أنا بغيتك وعلى الخبير وقعت. فذهب إليه الشوكاني –خاصة وان أبواه لم يأذنا له في مغادرة صنعاء– فقرأ عليه ونهل من علمه... وكان الشوكاني يرى أنه لم يكن في اليمن له نظير.

** ومن شيوخه علي بن هادي عرهب الذي وصفه الشوكاني بقوة الفهم وسرعة الإدراك وتحقيق المباحث الدقيقة وعدم التقليد والاجتهاد بالرأي والإحاطة بعلوم الاجتهاد والزيادة عليها.

** وقد قضى الشوكاني معظم عمره في طلب العلم والتدريس، حيث بلغت دروسه في اليوم والليلة ثلاث عشر درسا، وزاول القضاء الأكبر، والعمل الوزاري ورئاسة الفتوى، فتمكن من تطبيق جانب من آرائه وأفكاره.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** لقد أدى التغريب التربوي إلى وجود واقع تربوي لا هوية له، في حين أن الأمة الإسلامية في حاجة إلى العودة إلى مناهل الفكر التربوي الإسلامي المنسجم مع عقيدتها وثقافتها وواقعها.

وقد أشار مؤتمر بيروت للتربية الإسلامية (٢١مارس١٩٨١) إلى مخاطر التغريب الثقافي لا على البلاد العربية والإسلامية فحسب، وإنما على العالم المتقدم نفسه، وبين المشتركون أن مما يزيد في خطورة التغريب والتبعية للنموذج الحضاري الأجنبي في الغرب والشرق، أن هذا النموذج وصل إلى طريق مسدود، وفشل في بناء مجتمع جديد للإنسان.

ولأن الفكر التربوي يعتمد على الشخصيات (المفكرين التربويين) كوسيلة لعلاج ظاهرة التغريب، فلعل ما في تراثهم الحي من أفكار وآراء ما يغنينا عن الاستيراد من الخارج

** كان الإمام محمد بن علي الشوكاني من نماذج الفكر المتجدد في عصره، وصاحب فكر تربوي متميز يتصل بالطبيعة الإنسانية والمعرفة والمجتمع، وآرائه حافلة بالاتجاهات التربوية المعاصرة.

والشوكاني (زيدي المذهب) ولكنه خلع ربقة التقليد لمذهبه، وعمره لا يزيد على الثلاثين، وأصبح من كبار المجتهدين المتأخرين. فهو نموذج من نماذج اليقظة الإسلامية المعاصرة.

وكان الشوكاني معاصرا للشيخ محمد بن عبد الوهاب ومتناغما مع دعوته، بل وسابقا لسائر رجال اليقظة الإسلامية الحديثة.

حتى أن أحمد أمين صاحب كتاب «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» اعتبر الشوكاني ممثلا لدعوة محمد بن عبد الوهاب وإن لم يتلقاها عنه.

ويعتبر محمد صديق خان واحدا من تلاميذ الشوكاني، فقد كان هذا المفكر أمير لمملكة «بهويال» بالهند، وكان مهتما بنشر تراث أستاذه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويمكننا اعتبار الشوكاني أحد أعلام ورواد المدرسة السلفية الاجتهادية التي تنبذ التقليد وتأخذ بأرجح الأدلة من أي مذهب كان وفق أصول الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة.

** يقول الشوكاني في كتاب «أدب الطلب»: كنت بعد التمكن من البحث عن الدليل والنظر في مجاميعه أذكر في مجالس شيوخي ومواقف تدريسهم وعند الاجتماع بأهل العلم ما قد عرفته من ذلك لاسيما عند الكلام في شيء من الرأي مخالف الدليل أو عند ورود قول عالم من أهل العلم قد تمسك بدليل ضعيف وترك الدليل القوي أو أخذ بدليل عام وبعمل خاص أو بمطلق وطرح المقيد أو بمجمل ولم يعرف المبين أو بمنسوخ ولم ينتبه للناسخ أو بأول ولم يعرف بآخر أو بمحض رأي ولم يبلغه أن في تلك المسألة دليلا يتعين عليه العمل به فكنت إذا سمعت بشيء من هذا لاسيما في مواقف المتعصبين ومجامع الجامدين تكلمت بما بلغت إليه مقدرتي، وأقل الأحوال أن أقول استدل هذا بكذا وفلان المخالف له بكذا ودليل فلان أرجح لكذا، فمازال أسراء التقليد يستنكرون ذلك ويستعظمونه لعدم الفهم به وقبول طبائعهم له حتى ولد ذلك في قلوبهم من العداوة والبغضاء ما الله به عليم.

** وقد ألف الشوكاني رسالة بعنوان: «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد» وفيها عرف التقليد فقال: قبول قول الغير من دون مطالبة بحجة.

وقال: وشأن المقلد أن لا يبحث عن دليل بل يقبل الرأي، ويترك الرواية، ومن لم يكن هكذا فليس بمقلد.

وقال: فلو لم يكن من شؤم هذه التقليدات، والمذاهب والمبتدعات، إلا مجرد هذه الفرقة بين أهل الإسلام مع كونهم أهل ملة واحدة ونبي واحد وكتاب واحد، لكان ذلك كافيا في كونها غير جائزة.

وناقش الشوكاني مقولة أن سؤال أهل الذكر هو سؤال من لا علم له لأهل الذكر الأعلم منه، مما يفيد جواز التقليد .. ورد عليها بما يفيد أنها تعني سؤال أهل القرآن والسنة، وهذا ليس بتقليد لأنه تجاوز للسؤال عن مذهب المقلد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفسر سؤال آية الذكر بأنها قد نزلت ردا على المشركين الذين أنكروا كون الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مبشرا، كما ذهب إلى ذلك السيوطي في الدر المنثور، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [الأنبياء:٧]

** ويلخص الشوكاني قضية التقليد المذموم والتعصب للمذاهب بقوله: فإن قلت فما الطريقة المنجية إذن؟ قلت طريقة خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وهي العمل بحكم الكتاب والسنة، والوقوف عن متشابهها، كما أمرك الله، من دون محاباة على مذهب، فيكون مذهبك الإسلام جملة، وسلفُك ومحاماتُك على الكتاب والسنة، فإن كنت لهذه النصيحة أهلا فعض عليها بالنواجذ، فإني قطعت شطرا من عمري في تحقيق الدقائق، وتدقيق الحقائق، ولم أقف على منهل، فتارة أخوض معارك علم المعقول، وحينا أمارس دقائق فحول أئمتنا أئمة الأصول، وآونة أرتب البراهين، وأركب القوانين، وبعد هذا كله تراجع اختياري إلى الاستحسان ما إليك أرشدتك، أرشدني الله وإياك.

المصادر

** الإمام الشوكاني، حياته وفكر .. الدكتور عبد الغني قاسم، رئيس قسم أصول التربية بجامعة صنعاء

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ طاهر الجزائري

«رائد التجديد الديني في بلاد الشام»

(١٢٦٨هـ /١٨٥٢م –١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)

هو طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب الجزائري، ولد بدمشق سنة (١٢٦٨هـ –١٨٥٢م)، ودعاه والده بـ (الطاهر)، وكان قد هاجر والده من الجزائر إلى دمشق في سنة (١٢٦٣هـ – ١٨٤٧م)، وكان من بيت علم وشرف، وتولى بدمشق قضاء المالكية.

وصار الشيخ صالح مفتي المالكية للجزائريين في دمشق، واشتهر بمعارفه وأخلاقه، وتوفي سنة (١٨٦٨م) عن ستين سنة، وترك أولاداً اشتهر منهم الشيخ طاهر، وابن شقيقه سليم الجزائري، الذي له في تهذيبه اليد الطولى.

ولد طاهر الجزائري في دمشق سنة (١٨٥٢م)، وتعلم في مدارسها، حيث دخل المدرسة «الجقمقية الإعدادية» وتتلمذ على الأستاذ «عبد الرحمن البستاني»، فأخذ عنه العربية والفارسية والتركية ومبادئ العلوم، كما قرأ على أبيه أيضاً، ثم اتصل بعالم عصره الشيخ «عبد الغني الغنيمي الميداني»، ولازمه إلى أن وافاه الأجل، وكان شيخه الميداني فقيهاً عارفاً بزمانه واسع النظر، معروفاً بوقوفه على لُباب الشريعة وأسرارها، وببعده عن البدع واتباع الأوهام، والبعد عن حب الظهور والتفصح في المجالس، على قدم السلف الصالح بتقواه وزهده، وعلى نهجه سار تلميذه الجزائري، فشب محباً للعلم على اختلاف فروعه خاصة علم الطبيعة، يفتش عن مصادره المطبوعة والمخطوطة ويقتنيها، ويتلقف بشوق ما يسمعه من أحاديث العلماء الذين تلقوا العلم في المدارس العالية أو الأجنبية، فإذا به يدخر حصيلة كبيرة قيمة من العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية والتاريخية والأثرية، إلى جانب ما وعاه من علوم العربية والفقه.

أتقن الجزائري اللغة العربية وأتقن الفارسية والتركية، ونظم بالفارسية كما نظم بالعربية، وتعلم الفرنسية وتكلم بها، وكذلك تعلم السريانية والعبرانية والحبشية، وكان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يعرف القبائلية البربرية لغة موطنه، وتعلم كثيراً من الخطوط القديمة كالكوفي والمشجر والعبراني غيرها ليتسنى له دراسة الآثار.

وقد نزعت نفسه إلى جمع الكتب منذ كانت سنه سبع سنوات، ومنذ أن كان في المدرسة الابتدائية أخذ يبتاع الدشوت والرسائل المخطوطة من دريهمات كان يرضخ بها له والده لخرجه .. وكان كلما أحرز الشيخ شيئاً من الأوراق، والأسفار، طالعه بإمعان وخبّأه وحرص عليه، واجتمعت له بطول الزمن خزانة مهمة من الأسفار بلغت بضعة آلاف مجلد، فيها كثير من النوادر المخطوطة، واستمرت معه الرغبة في جمع المخطوطات والكتب النادرة إلى آخر حياته.

مات والده وهو لّما يبلغ الثامنة عشرة من عمره، فاعتمد على نفسه في المطالعة والتنقيب والمراجعة والتحقيق، وتفقد المكاتب والوقوف على نفائسها، فتمكنت فيه ملكة التأليف وجمع الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة، فوُفِّق إلى إحراز كثير منها في دمشق، وفي أسفاره، فصار مرجعاً في فن وصف المخطوطات، ومعرفة مظانها والمفيد منها.

ولما وصِفَ به الشيخ طاهر من اتساع الصدر لجميع علوم المدنية الحديثة، فقد درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية، أخذها عن علماء من الترك وغيرهم.

وقرأ جميع ما طالت يده إليه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب، أما المخطوطات التي طالعها ولخصها فتعد بالمئات. ومما ساعده على التحصيل العلمي، قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما تَمُرّ به مهما طال العهد.

ولشدة شغف الشيخ بتحصيل العلم فقد كتب عنه طلابه بأنه لم يتزوج، بحجة ألا يشغل ذهنه بزوجٍ وأولاد، وليكون أبداً مطلق العنان يسيح في الأرض متى أراد، مع علمه أن لا رهبانية في الإسلام، وكذلك إرضاء لوالدته ولعلمه أن للزوجة حقوقاً شرعية يجب أداؤها، واستغرق أوقاته في العلم والسياحة.

ولم يكن الشيخ قد تجاوز الثانية والعشرين من سني حياته يوم تولى أولى وظائفه في الدولة، حين عُيّن معلماً في المدرسة الظاهرية الابتدائية بدمشق سنة (١٢٩٤هـ)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويبين منهج الشيخ طاهر في دعوة الناس، ما ذكره طلابه عنه، بأنه لم يحد عن الخطة التي اختطها لنفسه منذ نعومة أظفاره، ودعا الناس إلى انتهاجها حتى آخر أيامه، وخطته تتلخص في الإخلاص والعمل على النهوض بالأمة عن طريق العلم، وبث الملكات الصحيحة في أهل الإسلام، وثورته ثورة فكرية لا مادية، ويقول إن هذه الطريق يطول أمرها، ولكن يؤمن فيها العثار، والسلامة محققة ثابتة، وكان يبذل جهده لتعم دعوته أهل الحضر والبادية، والأغنياء والفقراء.

وتنفيذاً لهذا المنهج فقد عقد الشيخ صلات مستديمة مع علماء عصره .. منهم صديقه العالم المجري «جولد صهير» اليهودي، الذي ترجم إلى الألمانية كتاب (توجيه النظر إلى علم الأثر) لأستاذه طاهر الجزائري، وقد أرسل جولد صهير إلى طاهر الجزائري هذه الرسالة:

(سلام على صاحب الشرف الباذخ، والفضل الشامخ، من هو المرجع للأماثل والأفاضل، الحاوي لأقصى معارج الفضائل والفواضل، العالم العلامة الشيخ طاهر.. أرجو أن لا ينمحي من قلبكم خيالُ صاحبكم المجري الذي كان يستجير بشامكم في سنة ١٢٩٠هـ مقتبساً من أنواع علمائها، .. وصاحبكم يوماً فيوماً مستأنساً بمجاورتكم ومذاكرتكم، وكنا إذ ذاك في عنفوان شبابنا متبحرين في العلوم الشريفة، مستغرقين في بحور الآداب الظريفة.. حرر في ٥ ذي الحجة سنة ١٣١٧هـ (٥/٤/١٩٠٠م).

ويبرر طلاب الشيخ طاهر علاقة الشيخ بالمستشرقين بأنها باعثة على تخفيف حملاتهم على الإسلام ولو قليلاً، وهذا مما كان يهتم له، ثم يهمه من أمر المستعربين من المستشرقين توفرهم على خدمة آدابنا، بنشر كتبنا النفيسة، وكان يعاونهم فيما هم بسبيله إذا استرشدوه، ويفتيهم راضياً مختاراً إذا استفتوه، فيما يتعذر وقوفهم عليه.

وقد صنف الشيخ طاهر كتاباً في العقيدة، على طريقة السؤال والجواب، ويمكن أن تُستخلص من الكتاب عقيدته، فمما قال: مذهب السلف أرجح لأنه أسلم وأحكم.

وبيّن معتقده من صفات الله سبحانه وتعالى، بقوله عن صفة الاستواء: المراد بالاستواء: استواء يليق بجلال الرحمن جل وعلا، فالاستواء معلوم والكيف مجهول، واستواؤه على العرش ليس كاستواء الإنسان على السفينة أو ظهر الدابة أو السرير

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مثلاً، فمن تصور مثل ذلك فهو ممن غلب عليه الوهم؛ لأنه شبه الخالق بالمخلوقات مع أنه قد ثبت في العقل والنقل أنه ليس كمثله شيء، فكما أن ذاته لا تشابه ذات شيء من المخلوقات، كذلك لا ينسب إليه سبحانه ما يشابه شيئاً مما ينسب إليها.

وبنفس المعتقد فسر العين واليد.. الخ من الصفات، ثم قال: ينسب هذا المعنى إلى جمهور السلف، وأما الخلف فأكثرهم يفسرون الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة أو القدرة، والأعين بالحفظ والرعاية، وذلك لتوهّم كثير منهم أنها إن لم تؤول وتصرف عن ظاهرها أوهمت التشبيه.

ثم بين معتقده في الكتب السماوية، ومما قال عن الإنجيل: «إن الإنجيل المتداول الآن له أربع نسخ ألّفها أربعةٌ؛ بعضهم لم يرَ المسيح عليه السلام أصلاً، وهم متى ومرقص ولوقا ويوحنا؛ وإنجيل كل واحد من هؤلاء مناقض للآخر في كثير من المطالب».

وقال عن القرآن: «أشرف كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرف أنبيائه محمد، وهو آخر الكتب الإلهية نزولاً، وهو ناسخ لجميع الكتب قبله، وحكمُه باق إلى يوم القيامة».

وعن ختم الرسالة بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– قال: «إن حكم إرسال الأنبياء لدعوة الخلق إلى عبادة الحق، وإرشادهم إلى طريق السداد في أمور المعاش والمعاد، وإعلامهم بالأمور الغائبة عن أبصارهم، والأحوال التي لا يصلون إليها بأفكارهم، وتقرير الأدلة القاطعة، وإزالة الشبه الباطلة، وقد تكفلت شريعته الغرّاء ببيان جميع هذه الأشياء على وجه لا يُتَّصور أبلغ منه في الكمال، بحيث توافق جميع الأمم في جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلا حاجة للخلق إلى نبي بعده، لأن الكمال قد بلغ حدّه».

وبهذا الإيضاح يتبين أن معتقد الجزائري –فيما ذكره– موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وإنما الأخذ بمنهج الخلف فهو مرفوض عند السلف، ولا يسوغ الأخذ به لا عند الضرورة ولا غيرها؛ إذ أن طريقة السلف في بيان العقيدة هي طريقة الأنبياء

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والمرسلين، ولا يجوز العدول عنها إلى غيرها، فقد قال تعالى: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}[الأنعام: ٩٠]

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله – صلى الله عليه وسلم–، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائماً بما هو؛ إما نص، وإما ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجيء أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة، التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها ؟».

جهوده العلمية والعملية

بدأت مساعي الشيخ طاهر الجزائري، في نشر المعارف والعلوم، بعد أن عُيِّن مدحت باشا والياً على ولاية سورية في سنة (١٢٩٦هـ – ١٨٧٩م)، فأسس «الجمعية الخيرية»، التي كان الاعتماد عليها في تأسيس المدارس، فلم تَسر خطة الجمعية الخيرية بنشر العلم على الأساليب الحكومية، وإنما تجمع المال من الموسرين وتنفقها في مشاريعها.

وقد قال الشيخ طاهر، عن منهج الجمعية: «جرت منذ أسبوعين مذاكرة سرية في طريقة ترجمة إحدى دوائر المعارف الفرنسية، فإن الناس في احتياج لذلك .. وقد كان بعض الحاضرين يريد أن يجعل زمام الأمر في يد الحكومة، فطلبنا أن يُكْتَم ذلك عنها، فإنه لا يؤمل أن تَقْدِرَ عليه، فإن هذا الأمر يحتاج إلى الحكمة أكثر من احتياجه إلى الحكومة».

وبعد أن سجن الوالي مدحت باشا، أُعفي الشيخ طاهر الجزائري من منصبه الحكومي، وعُرض عليه وظيفة أخرى لا يكون له فيها اتصال بالناس فأبى، ولزم بيته شاغلاً أوقاته بالمطالعة والتأليف، وعاش على بيع الكتب حتى آخر أيامه إلى من يرجو حفظها عندهم وعدم خروجها من الشام، كما واصل تتبع نوادر الكتب والمخطوطات، وكان يدون خلاصة ما يطلع عليه في مذكرات بلغت مجلدين ضخمين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان يسافر بين حين وآخر إلى مختلف البلاد العثمانية والبلاد الشرقية والأوروبية، يجتمع بعلمائها ومفكريها باحثاً في كنوز المكتبات عن مخطوطات التراث العربي.

كثر تردد طلاب العلم على الشيخ طاهر الجزائري، مما زاد نشاطه الاجتماعي، ونشر الدعوة للعلم، كما تحلقت حوله طبقة من شيوخ دمشق والعلماء النابهين فيها، فكان يتحفهم بالدروس العلمية والفكرية، والسياسية، ومركزه الأساسي الذي يقيم به دروسه كان «مدرسة عبد الله باشا» في دمشق.

قال الأمير الشهابي: (في تلك المدة التي قضاها الشيخ طاهر الجزائري بالشام، كان يتحلق حوله في دمشق صفوة من المتعلمين والنبهاء والمفكرين العرب، فتألفت من جمعهم أكبر حلقة أدبية وثقافية، كانت تدعو إلى تعليم العلوم العصرية، ومدارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي، وآداب اللغة العربية، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية والأخذ بالصالح من المدنية الغربية).

قضى الشيخ طاهر – رحمه الله– حياته يكافح الأمية، ويحارب التعصب، ويحرص على تعليم أولاد الأغنياء خاصة، لأن عندهم المال والجاه وبالتالي تأثيرهم في مجتمعهم أكبر، وحث على أن يتعلم المتعلمون صناعة أخرى، وكثيراً ما يقول: «تعلموا العلم، وتعلموا معه صناعة تعيشون بها حتى لا تقفوا على أرباب السلطان، تستجدون الوظائف والجرايات، فإذا احتاجت الحكومات إليكم أخذتكم لخدمتها، واعملوا بالنزاهة والاستقامة، وأخلصوا لها وللأمة القصد».

وكان أشد خلق الله تشجيعا للناشئين، وتنشيطا للعاملين، يحاول أن يوصل الناس جميعا إلى المثل الأعلى، لا يرفعهم جميعا إليه، فإنه لا يمكن أن ترفع الناس كلهم إليهم، ولكنه يقربه إليهم، ويسهل بلوغه عليهم، حتى ترتفع بهم هممهم إلى محاولة بلوغه. وكان يقول لأصحابه: «إن جاءكم من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام فلا تقولوا له: إن هذا مستحيل، بل علموه. فلعل اشتغاله هذه الثلاثة الأيام بالنحو، تحببه إليه، فيقبل عليه».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كما كانت له آراء شتى هدفها نهضة الأمة، والأخذ بالعلم والأخلاق، وإحياء التراث، وعدم التزلف للحكام ومهاجمة العلماء الجامدين الذين يغلقون باب الاجتهاد، وكان يحذر من الوقوع في حبائل الاستعمار.

وكان الشيخ الجزائري يلقن مبادئه ويلقح العقول بأفكاره من حيث لا يشعر المتعلِّم، وكثيراً ما كان يغشى مجالس بعض العلماء الذين يتوسم فيهم صفاء السريرة، فيَظهر بمظهر المستفيد، وغايته إفادتهم خلال الدرس لتنشر أفكاره بطريق السراية من الأساتذة إلى التلاميذ.

وكان نهجه في التعليم التيسير على المتعلم، وإعطاءه لباب العلم دون التعمق بما لا يفيد، والأخذ بالتدريج من البسائط إلى المركبات، وكان يحب اختصار المطولات من كتب الفنون ليسهلها على المبتدئين، ولئن كان في مذهبه الديني مجتهداً فقد كان في تأليفه مقلداً يمشي على آثار القدماء، ولا يحب التوسع والتعليق على آراء المؤلفين المجددين.

وكان له وهو شيخ ذهن رجل درس في أوروبا، ومعرفة بقيمة هذه العلوم الجديدة، وبالصحافة وأثرها، وبالعمل المنظم... فرغ من أمر طعامه ولباسه، فكان مضرب الأمثال في ذلك، وكانت ثيابه عجبا من العجب، لأنه لم يكن يفكر فيها، ولا يريد منها أكثر من أن تستر وأن تدفئ، وكان يتخذ من جيوب الجبة مكتبة، ففي جيب كتاب مخطوط، وفي جيب رسالة، وفي جيب أوراق ودفاتر، وفي الجيب الرابع.. خبز وقطع من الجبن ومن الحلاوة.

روى الشيخ قاسم القاسمي –رحمه الله– أن أصحابه رأوا جبته قد أبلتها الأيام وصيرتها شيئا نكرا، فاحتالوا عليه حتى اشترى جبة جديدة، وأخفوا عنه القديمة فاضطر إلى لبسها، ولم يكن أصعب عليه من لبس الجديد، وذهبوا به إلى مجلس في (دمر) في قصر الأمير عمر الجزائري، وكان المجلس حول بركة عظيمة لها نافورة عالية مشهورة، وكان فيه جلة علماء ذلك المشرب، الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي وأمثالهما، وإذا بالشيخ ينزع الجبة، ويقوم بها إلى البركة فينزل بها فيها: غمسا غمسا، ثم ينشرها على شجرة، حتى تجف وتنكمش وتقرمد فيلبسها،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وسأله سائل منهم، فيقول: «كانت جديدة شغلتني بالخوف عليها عن العلم، فالآن استرحت من التفكير فيها».

وكان يسهر الليل كله، يدور على بيوت أصحابه ومريديه، أو يقبع يدرس ويؤلف، وكان أكثر مقامه في مدرسة عبد الله باشا في طريق بين البحرتين في دمشق القديمة، فإن كان مشغولا وطرقه طارق، أطل فقال له: «مشغول، عد في وقت آخر»، مهما كانت منزلته.

وقال أحد وجهاء العامة: «ذهبت إليه مرة، فردني، وأبى أن يدخلني، فتألمت وأزمعت هجره، ثم قلت، أعامله بمثل ما عاملني به، فجاءني مرة، ففتحت له، وقلت: (مشغول، عد في وقت آخر)، فذهب مسرورا يقول: (بارك الله، هكذا، هكذا، { وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [النور:٢٨]، صدق الله».

فإن دخل على الزائر الغليظ من حيث لا يشعر، دفع إليه كتابا، وقال: «خذ، اقرأ هذا»، وتركه وعاد إلى ما كان فيه. ومن قوله في ذلك: «اشغلوهم (يعني الغلاظ) قبل أن يشغلوكم».

وكان يطيل المشي وحده، ومعه كراس ينظر فيه... مشى يوما في (وادي الشاذروان) في دمشق، وهو أجمل أودية الدنيا بإجماع أئمة الذوق، فلحقه أحد الثقلاء، وكان من عادة الشيخ الإسراع في المشي. فجعل يسايره يسرع معه، يحدثه حديثا له أول وليس له آخر، عن جده الذي مات ومن ورثه، وكيف قسموا الإرث، وخلاف من خالف في ذلك، وما يقول كل من الفريقين المختلفين، حتى وصل معه إلى قريب (الهامة)، والشيخ لا يسمع منه ولا يلتفت إليه، حتى انتهى فقال: « سيدي. هل أصبنا أم أخطأنا؟» فما رد عليه، فأمسك بيده حتى إذا انتبه، قال: «هل أصبنا أم أخطأنا؟» ... قال: نعم بلى (وكانت هذه لازمته) نعم بلى، الإنسان يخطئ ويصيب، الإنسان يخطئ ويصيب... وترك الرجل مصعوفا من الدهشة، ومضى.

أما إباؤه، وعزته في نفسه، فلم يكن بعدهما زيادة لمستزيد .. نزح إلى مصر، لما ضاقت الشام وحكامها بدعوته، وأخذ يبيع من كتبه ومن ذخائر المخطوطات التي أفنى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حياته في اقتنائها، وكان يأبى الثمن الغالي من مكتبة المتحف البريطاني، وأمثالها من المؤسسات الأجنبية، أو من أفراد الناس الذين يشترون الكتب للتجارة، ويبيع بنصفه لدار الكتب المصرية، ليبقى الكتاب في أيدي العرب، ولا يخرج منها إلى أيدي الإفرنج. فلما كادت تنفد كتبه، سأل أحمد تيمور باشا الشيخ (علي يوسف) أن يكلم الخديوي وذلك سنة (١٩١٣م) في منحه مرتبا دائما أسوة بمن كان يمنحهم المرتبات من العلماء والأدباء، ونجحت الوساطة، ومُنح الراتب، فلما أخبر به غضب أشد الغضب، وقال للشيخ علي: «كأني بك قلت للخديوي: إن الشيخ طاهر أثنى عليك. نعم إني أثنيت عليه لتأييده مشروع زكي باشا في خدمة الكتب العربية، ولكن ما الذي يضمن لك، ألا يأتي الخديوي ضد هذا العمل الطيب يوما فأذمه؟ فلماذا تسود وجهك بسببي؟ ومن أذن لك أن تدخل نفسك في خصوصيات أمري، اذهب فأبطل ما سعيت بإتمامه.. ورجع يعيش عيش الكفاف والتقتير بأثمان ما بقي من كتبه. فكان الشيخ علي يوسف، يقول بعد ذلك: «كنت أظن أن هذه الطبقة قد انقرضت، فلما رأيت الشيخ طاهرا علمت أنه لا يزال على وجه الأرض بقية منها».

وكان –رحمه الله– من المؤلفين المكثرين، إن عد المؤلفون المكثرون، وكان من أئمة المربين إن ذكر المربون، وكان من رؤوس المصلحين، ومن العلماء العاملين، وكان من الأركان الكبار في هذه النهضة التي نأوي اليوم إليها، ونتفيأ ظلالها، وننعم بخيراتها.

قال عنه الأستاذ «محمد كرد علي»: (سعى الشيخ طول حياته لنشل المسلمين من سقطتهم، ونشر العلوم القديمة والحديثة بين أبنائهم، ولولا ما قام به من التذرع بجميع الذرائع لتأخرت نهضة المسلمين في الشام أكثر من نصف قرن).

وقال فيه تلميذه الشيخ «سعيد الباني»: (جمع بين المعقول والمنقول، ومزج القديم بالحديث، أخذ من كل علم لبابه، ونبذ لفاظته، فكنت تجد منه العالم الديني والمدني والرياضي والطبيعي والسياسي والأديب والمؤرخ والأثري والاجتماعي والأخلاقي والكاتب والشاعر، فكان عنده من كل علم خبر... فهو دائرة المعارف، ومفتاح العلوم، وكشاف مصطلحات الفنون، وقاموس الأعلام).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

دوره في نشر العلوم

أولاً: تولى التعليم لأول أمره في المدرسة الظاهرية الابتدائية، ولما أسست الجمعية الخيرية من علماء دمشق وأعيانها سنة (١٢٩٤هـ) دخل في عداد أعضائها، وكان من أكبر العاملين فيها، ثم استحالت هذه الجمعية (ديوان معارف) فَعُين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية التي أنشئت على عهد مدحت باشا والي سورية سنة (١٢٩٥هـ)، وتولى الشيخ طاهر هذه الوظيفة منذ سنة(١٣١٦هـ) فأقام على هذا التفتيش أربع سنوات سعى فيها سعياً مشكوراً في ترقيتها.

ثانياً: أنشأ بمعاونة بضعة أصدقاء له «دار الكتب الظاهرية» بدمشق، وجمع فيها سنة (١٢٩٦هـ) ما تفرق من المخطوطات العظيمة في عشر مدارس تحت قبة الملك الظاهر بيبرس.. وأنشأ مثلها (المكتبة الخالدية) في القدس نسبة للشيخ «راغب الخالدي»، وغيرها من مكاتب سورية وفلسطين، وعمل برامج لها وطبعها لتعميم فائدتها وتحويلها إلى مكاتب عامة.

ثالثاً: إنه مؤسس لكل المدارس الأميرية في سورية ولبنان وفلسطين زمن ولاية مدحت باشا، وولاية حمدي باشا الذي جاء بعده. وقد تمكن بحصافته أن يجعل العربية لغة التعليم، إلى أن غُلب على أمره وكُفّت يدهُ وجُعل التعليم فيها بالتركية.

رابعاً: يقول أعضاء الجمعيات القومية: «إن الشيخ طاهر الجزائري عمل بنبوغ وعبقرية على تأسيس المدارس تحت غطاء الجمعية الخيرية، ومعاونة مدحت باشا، ثم وضع البرامج، وتأليف الكتب اللازمة، وحمل الآباء على تعليم أولادهم، فقد فتح أبواب تسع مدارس للذكور، جمعت في حلقاتها نحو ثمانمائة طالب، ومدرستين للإناث، جمعتا نحو مائة طالبة، وكان منهجُ تعليمهم جميعاً حديث الأسلوب، غزير الفائدة، وأسس مطبعةً لطبع الكتب المدرسية باسم الجمعية».

خامساً: تأليف الكتب الدراسية، قال تلاميذه: «بذل جهده المستطاع في إصلاح الكتاتيب الابتدائية والمدارس.. وصنف كثيراً من الرسائل الناجعة للمبتدئين، المختلفة باختلاف طبقاتهم على أسلوب مُبتكر لم يكن معهوداً في ذلك الوقت ومنها:

١. «الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية» على طريقة السؤال والجواب.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

٢. «التقريب إلى أصول التعريب».

٣. «توجيه النظر إلى علم الأثر». جمع فيه زبدة ما جاء في كتب أصول الفقه ومصطلح الحديث من القواعد والفوائد بشكل يدل على سعة إطلاع وفهم عميق لأسرار الشريعة.

٤. «منية الأذكياء في قصص الأنبياء»، عربه عن التركية.

٥. «الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام»، وهو في الحكمة الطبيعية.

٦. «مدخل الطلاب إلى فن الحساب».

٧. «إرشاد الألبّاء إلى طريق تعليم ألف باء»: كتاب ضمنه الشيخ مباحث لغوية عن حروف الهجاء، وترتيبها ورسمها.

دوره في تأسيس الجمعيات القومية.

يلاحظ أن أعضاء الجمعيات القومية تمكنوا من احتواء الشيخ طاهر الجزائري، والالتفاف حوله، وذلك للأسباب التالية:

١. العلاقة الوثيقة بين الشيخ طاهر وبين مدحت باشا، الذي يعتبره أعضاء الجمعيات القومية المصلح، وأبا الأحرار، ولهذا لم تظهر مكانة الشيخ طاهر عند أعضاء الجمعيات القومية، إلا بعد وجود هذه العلاقة.

يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية: «عندما كان مدحت باشا والياً على الشام، برز في دمشق رجل نابغة في علمه وتفكيره، ونشاطه وإخلاصه، وهو الشيخ طاهر الجزائري».

٢. اطلاع الشيخ طاهر –كما يقول أعضاء الجمعيات القومية العربية– على العلوم العصرية، مع تضلعه بالعلوم الشرعية، ووقوفه على أحوال الأمم السائرة القديمة والحديثة، واطلاعه على كل ما يُترجم عن مدنية الغرب وسياسته واجتماعياته، واحتكاكه بعلمائه المستشرقين، وتبادله الاستفادة بينه وبينهم، حيث كان يقتبس منهم ما ينفع المسلمين، ويقبسهم ما يثبت سماحة الإسلام ومدنيته ومجد المسلمين وتمدنهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كما أن كثيراً من علماء المشرقيات «المستشرقين» في الغرب كانوا يستفتونه فيما يتعلق بعلوم الشرق، وكان بينه وبينهم صداقة يراسلهم ويراسلونه على اختلاف قومياتهم، وكلهم من المعجبين به المغتبطين بصداقته ومراسلته، وقد زار بعضهم في بعض رحلاته، وزاره كثير منهم أثناء رحلاتهم إلى الشرق.

ورغم أن فكرة القومية فكرة ساقطة وصناعة غربية القصد منها تمزيق الأمة وفق سياسة فرق تسد، إلا أن الشيخ نحى منحى إصلاحيا غاب عنه خطله وخطره، ولم يقصد في ذلك أن يضعف قوة الإسلام أو أن يتآمر عليه.

ومن أبرز دعوات الشيخ طاهر –كما يقول طلابه– الأخذ بالنافع من التمدن الحديث مادياً كان أو أدبياً، ونبذ الضار منه، ويدعو إلى التجدد واقتطاف ما يصلح، وما أينعَ ثمرهُ من كل جديد، ويدعو إلى الارتقاء الفكري بدراسة العلوم الاجتماعية والمدنية والسياسية، ويدعو إلى تعلم لغات الأمم الحية ليتسنى فهم معنى الحياة، لا للزهو والتفرنج والاندماج الأجنبي وتقليده على العمياء، ويدعو إلى الوطنية والإنسانية على شرط أن لا يُتَّجر بهما خشية انقلاب القضية إلى أثرةٍ وأنانية.

وقد أرسل الشيخ طاهر رسالة إلى أحد تلاميذه، قال فيها: «وصلني كتابكم الكريم، منبئاً بعودكم من بلاد أوربا، فسررت بذلك سروراً شديداً، كنت أتمنى لكم هذه الرحلة من قديم، لما أتيقنه من الفائدة التامة العامة في ذلك، فإن الاقتباس من الأمم المترقية دليل على النباهة».

إن اطلاع الشيخ طاهر على العلوم العصرية، والأبحاث الغربية، كان من أبرز أسباب التفاف أعضاء الجمعيات القومية العربية حوله، قال أحدهم: «ويشهد الله أن من أعظم العوامل تأثيراً في مروق بعض خريجي المدارس العصرية وتملصهم من الدين هو جمود أمثال هؤلاء المعلمين السطحيين .. ولو قيض الله لناشئة المسلمين أساتذة مثل الشيخ طاهر، لما خسروا دينهم، وعرّضوا بكيانهم القومي إلى خطر الانقراض والاندماج بهوية غيرهم من الشعوب»

ويأتي هذا السبب في عصر أصبحت فيه البلاد الإسلامية مأوى للمعتقدات النصرانية، والحملات الاستشراقية، والصراع المحتدم بين الدول الصناعية والانفجار

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العلمي، وانبهار أكثر المتعلمين في ذلك العصر بالعلم الحديث، ويقابل ذلك وجود خواء فكري يعيشه العالم الإسلامي، وجمود في أكثر مجالات الحياة، وإغلاق باب الاجتهاد مع وجود دواعيه.

ولهذا أكد أعضاء الجمعيات القومية العربية أن أبرز مناقب الشيخ طاهر نبذُ التعصب؛ وسعيه في حل قيود التقليد الأعمى وحربه للتعصب الذميم ونقده للجمود، حتى قال معاصروه: «كان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها، وكثير الإسهاب فيما كان عليه معاصروه».

٣. الطعن في سياسة الأتراك للبلاد العربية، ومطالبته بالإصلاح، فقد وصفه طلابه ومعاصروه بأنه كان يعرف السياسة وما ينبغي لها، وحالة الغرب واجتماعه، والشرق وأممه وأمراضه معرفة اختصاصي، وقد صرف دقائق عمره لإنهاض الأمة بإتباع طريق العلم والتهذيب.

ومن أمثلة طعن الشيخ طاهر بسياسة الأتراك اعتباره الأتراك مستعمرين للبلاد العربية، فقد قال: «إن استيلاء الترك على أرض العرب أضرّ بها وأزال مدنيتها وغيّر أخلاقها». هذا كما هو واضح من السياق التاريخي في نهاية عهد الأتراك وضعف الدولة العثمانية، وإلا فالأتراك العثمانيون كان لهم الكثير من الأيادي البيضاء على العالم الإسلامي إبان قوة دولتهم.

وتأكيداً على نقمة الشيخ طاهر على الحكم التركي، فقد قال طلابه: هجر دمشق إلى القاهرة سنة (١٣٢٥هـ -١٩٠٧م) فراراً من ظلم العهد الحميدي وظلامه.

ودام لجوء الشيخ طاهر في القاهرة فترة ما بين سنة (١٣٢٥هـ -١٩٠٧م) إلى سنة (١٣٣٨هـ -١٩٢٠م)، وظل فيها طول هذه المدة.. ولما نشر القانون الأساسي في المملكة العثمانية (١٩٠٨م) رأى الشيخ بنظره الثاقب أن عهد الحرية الحقيقية بعيد، وكان لا يغتر بقوانين الترك ولا بثرثرة السياسيين، فانزوى في مصر.

ولما أعلنت الثورة العربية في الحجاز، أبدى الشيخ طاهر ابتهاجه بها، وتمنى لها النجاح في تحقيق الأماني العربية، وعندما بلغه خبر دخول الجيش العربي دمشق

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وإعلان الحكم العربي فيها سنة (١٩١٨ –١٣٣٦هـ) استراحت نفسه وبدا عليه السرور.

لكن للأمانة التاريخية «تعتبر كتب التاريخ أن التحركات التي قادها الشريف حسين من الحجاز ضد الإمبراطورية العثمانية "الثورة العربية الكبرى"، لم تكن تلك الحركة السياسية العسكرية سوى تعبير عن آمال لعائلة متكلسة تطلعت لبناء مجدها الخاص من خلال التعاون مع كل جهة قد تؤهلها لذلك.

فبريطانيا رأت في تطلعات شريف مكة مناسبة لزيادة الطعن بشرعية الإمبراطورية العثمانية المتحالفة ضدها مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى. صحيح أن بعض رواد القومية العربية دعموا تحرك الشريف حسين، لكنهم كانوا لاعبين ثانويين في تحرك تشد حباله بريطانيا وعملاؤها في المنطقة العربية ولم يكن التحرك نابعا عن إرادة قومية كما يحلو للبعض وصفه». [أسعد غانم عن مقال: زلزال القاهرة يبشر بفجر طال انتظاره]

٤. انفتاح الشيخ طاهر على جميع معتقدي المذاهب والملل، فمن عادة الشيخ كما يقول أعضاء الجمعيات القومية من تلامذته على سبيل الإعجاب والتقدير: إن الشيخ يصحب الفرق المختلفة، مهما كان لون طريقتهم ونحلتهم، حتى الملاحدة وأرباب الطرق، ولقد كانت له صداقة أكيدة بالمطران يوسف داود السرياني –رئيس أساقفة دمشق للسريان–، يتسامران، ويتحدثان، ويتناقشان، ويثني الثناء المستطاب على صديقه المطران، وقد طالت به صحبته وعشرته.

وهكذا كان له اتصال بالأرمن واليهود، واليسوعيين الكاثوليك، والأمريكان البروتستانت، وكان يغضي عن كثير من النقد على رجال الدين من غير المسلمين، ويقول: هم أقرب الناس إلينا، يعتقدون بالله واليوم الآخر وخلود النفس، وكانت جميع الطوائف تستلطفه وتحب عشرته، على ما بينها وبينه من التخالف ويطلعونه من سرائرهم على ما لا يبوحون به لأقرب الناس إليهم، وكان يقول عن هذا المنهج: «الحمد لله لقد سالمنا كل الفرق». لكني أرجو من الله تعالى أن تكون هذه المسالمة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ليست إلى الدرجة التي تهدم قاعدة الولاء والبراء التي هي من أساسيات قواعد الدين الإسلامي وهذا هو الظن بالشيخ رحمه الله.

٥. تأييد الشيخ طاهر الجزائري الحكومة البريطانية في الحرب ضد الدولة العثمانية، فقد أرسل رسالة إلى صديقته المستشرقة !! (المس بل) أمينة سر حاكم العراق جاء فيها: «لما كنت أعتقد أن أحسن من يُخلص العربُ له الود هو دولة بريطانيا العظمى، لما خبرته من الأحوال، ومقتضيات الأمزجة ونحو ذلك، والمودة لما كانت واجبة أن تكون من الطرفين، اقتضى الأمر أن يقع التفاهم بينهما ليستمر هذا الأمر، فرأيت أنه ينبغي لإنكلترا العظمى أن تعتني بأمور:

أ–أن تؤسس في كل بلدة كبيرة ديواناً شبيهاً بالرسمي، لتأخذ الأخبار المتعلقة بما يحبه العرب، لتساعد عليه بقدر الإمكان، والذين يُعَيّنون ينبغي أن يكونوا من أعظم الناس معرفة بأمزجة العرب، ممن تلقوا ذلك مثل حضرتكِ الكريمة.

ب–أن تعتني بأمر اللغة العربية، ويظهر منها السعي في نشرها على غرار ما يظهر منها ذلك في حق اللغة الإنكليزية.

ج–الاعتناء الزائد في المساعدة على نشر العلوم، على وجه يساعد عليه الحال والزمان.

د–مراعاة عوائدهم وعدم الحط من كرامتهم، لاختلاف العادات، فقد بلغني وقوع تسلط من بعض المأمورين في البصرة والعراق وغيرهما، وهذا مضر جداً لا يُشعر بمضرته إلا بعد أن يشتد الحال، ويَعْسُر زوال ما في النفس، نَعَمْ إن هذا الأمر دقيق يصعب القيام به كما ينبغي، إلا أن الاعتناء به كثيراً ممكن، والعربي أهم شيء عنده عدم الهوان .

وإني أرى هذه الأمور إذا تمت هكذا، تكون النتيجة حسنة جداً ويشتد التلاؤم بين الفريقين، فإن العرب أقرب الناس إلى شكر النعمة، فإن وجد من لا يشكر، فإن في ظهور النعمة ما يقمعه عن إبراز ما ينويه من مغالطة الناس.

وقد ختم الشيخ طاهر الرسالة بقوله: المخلص للأمة العربية والدولة البريطانية العظمى «طاهر الجزائري».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وبيّن الشيخ طاهر المحظور من إبداء العطف والموالاة للحكومة البريطانية، فقال: (الناس الذين على فكري –من جهة توافق مصلحة الأمة العربية مع مصلحة الدولة البريطانية العظمى– كثيرون إلا أنهم لا يقدرون على إظهار فكرهم إلا بعد أن يروا باعثاً على إظهاره، لئلا ينسب إليهم أنهم خائنون للأمة، فإن هذه الجملة روّعت الناس كثيراً؛ وهي جملة اتخذها الشرقي لإرهاب غيره، سواء كان هو مخلصاً في نفسه أم غير مخلص .. وإني أوصيكم ببعض البلاد التي لا أسميها، فإن فيها كثيراً من الرجال المهمين، الذي يعرفون قدر النعمة ويشكرونها، ولكنهم غُلبوا على أمرهم، لأنهم لم يُعرفوا في وقت الرخاء، حتى يُنتفع بهم وبرأيهم في وقت الشدة، والبحث يجلو كل شيء، فينبغي الانتباه لذلك في الحال والمستقبل، وقد آن الأوان لمعرفتهم، وهذا لا يكون إلا تدريجاً، فليبادر إلى ذلك». ولاشك أن الشيخ قد جانبه الصواب في تأييد البريطانيين المستعمرين من أجل إنقاذ الأمة، ولقد أثبتت الأيام صحة رأينا، وكان الأولى به قصر النظر على أن يكون التغير من داخلنا ومن أنفسنا.

٦. دعوة الشيخ طاهر لتأسيس الصحف والمجلات ذات الصفة السياسية والأدبية، فكم من جريدة أو مجلة أو كتاب أو رسالة نشرت في مصر والشام بإرشاده، ويقول أعضاء الجمعيات القومية: «كان يُنشط الأكفاء على إنشاء الصحف السياسية والاجتماعية، والمجلات العلمية والأدبية، فكم من مجلة أو جريدة أنشئت في القطر السوري أو المصري بتنشيطه ومؤازرته، ويدعو المستبصرين إلى التبصر بالصحف النافعة والمجلات المفيدة ويبتهج بها. وكان له شغف بالاطلاع عليها وتتبعها خصوصاً التي تكثر من الترجمة عن الغرب. واقتطاف ثمرات علومه اليانعة... ويرى أن مطالعة مقالة علمية في مجلة أو جريدة أكثر فائدة من كثير من الدروس الحافلة بالمئات».

والأسباب سالفة الذكر كانت من أبرز دواعي التفاف أعضاء الجمعيات القومية العربية حول الشيخ طاهر الجزائري في المدة التي قضاها بالشام، في السنوات العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر، والسنوات الخمس الأولى من القرن العشرين، حيث التف أعضاء الجمعيات القومية العربية حول الشيخ حلقات متعددة منفصلة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مترابطة، تجتمع إحداها بالشيخ بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وتجتمع الثانية به في يوم آخر من أيام الأسبوع، بينما تجتمع الثالثة في مواعيد يحددها لهم.

وكانت للشيخ مع كثير من هؤلاء الشباب ومع غيرهم من شباب دمشق المتعلم سهرات ليلية متواصلة، ينتقل فيها معهم بين مختلف أحياء المدينة، وهو يتخير المنازل التي زائروها من النبهاء والمثقفين حتى إذا ما تجمعوا أخذ يستعرض أمامهم كل ما يقدِّر أنه يهمهم الاستماع إليه عن الحركات العلمية والفكرية والسياسية في خلال الأسبوع الذي اجتمعوا في نهايته، وكان أعضاء الجمعيات القومية يُصغون في انتباه وتواضع إلى ما كان يدور فيها من أحاديث ومحاورات في اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وفي الجهل الضارب أطنابه بالبلاد العربية، وفي الوسائل التي يجب التوسل بها لرفع مستوى التفكير والتعليم جميعاً.

ويضيف أعضاء الجمعيات القومية العربية بأن الحلقات كانت تدعو إلى تعليم العلوم العصرية ومُدارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي وآداب اللغة العربية، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية.

وللعوامل المؤثرة المختلفة في نشر المعتقد القومي في البلاد العربية، فقد ظهرت آثاره على أعضاء حلقة الشيخ طاهر الجزائري، مما نتج عنه ظهور نزعة قومية عربية فيهم، وتأسيس حلقة سياسية سرية سميت بـ «حلقة دمشق الصغيرة»، انتقل كثير من أعضائها إلى اسطنبول، فراحوا يفكرون ويتناقشون في الخفاء فيما كان للعرب من أوضاع سيئة في دولة تتنكر للغتهم ولقوميتهم.

كان الهدف الظاهر لهؤلاء الشبان في حلقتهم مُدارسة تاريخ العرب وقواعد اللغة العربية وآدابها، أما هدفهم الخفي فقد كان بعث العروبة من رقادها بتلقين شباب العرب الوسائل المؤدية إلى هذا البعث.

ويصف أحد أعضاء الجمعيات القومية العربية بعض ما يدار في الحلقة السرية من موضوعات، فيقول: «كان الشبان الناهضون يتحدثون عن أوربا وتقدمها وعلومها، وعن نهضات الشعوب، والشكوى من ظلم الحكومة !!، وسرد حكايات طويلة عن إغراق الأحرار في بحر مرمرة، وتعذيب الألوف من الشبان المطالبين بالإصلاح .. كانت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هذه الأحاديث تذكر في مجالس الشبان وكان يحضر هذه المجالس شيخ الأحرار الشيخ طاهر، وله أكبر فضل في تنوير الأبصار والبصائر، ودفع العرب في طريق التقدم».

وبعد بيان التفاف أعضاء الجمعيات القومية العربية حول الشيخ طاهر الجزائري، ننقل بعض النصوص التي ذكرها أولئك الأعضاء، والتي تؤكد مدى تأثير الشيخ طاهر فيهم.

يقول أحدهم: «كان له تأثير عظيم في تلاميذه وإليه يرجع الفضل في ظهور كثير من أدبائنا الأفاضل، فهو الذي ربى فيهم روح الإقدام والشجاعة الأدبية.. وكان من أقواله وتوجيهاته: إن العواطف الوطنية والدينية بطريق الشعريات لها شأن عظيم في استمالة الرأي العام».

وقرر تلاميذه بأن عدداً ممن اشتغلوا بالآداب أو تعلموا التعليم الثانوي أو العالي في الديار الشامية إن لم يكونوا استفادوا منه مباشرة فبالواسطة، وتلاميذه ومريدوه من المسلمين يعدون بالعشرات، وأكثرهم اليوم يشغلون مقامات سامية في دور العلم والحكم وفي التجارة والزراعة، ولهذا يسوغ أن نعتبر أن أغلب المتعلمين والمتأدبين من الباحثين والكتاب في القطر السوري عالةٌ عليه، وإن لم يتلقوا منه مباشرة.

ويقول فخري البارودي في مذكراته: «إذا كان من فضل لأحد علي في توجهي من الناحية الوطنية فهو أولاً الشيخ طاهر الجزائري المغربي أستاذناً، وإلى تلامذته الأحرار».

ويقول أحدهم أيضاً: «من هذا الغريب الصابر الدائب الحكيم، الشيخ طاهر الجزائري، عرفت عروبتي وإسلامي».

وقد اعتبر أعضاء الجمعيات القومية الشيخ طاهراً من أركان النهضة العربية الحديثة الذين عملوا لرقيها عمل من طب لمن حب. كما عدوا الشيخ في عظماء أركان النهضة العلمية، والحركة الفكرية في البلاد السورية خصوصاً دمشق، ونشأ على يديه جيل من أفذاذ الرجال الذين تعتز بهم الشام كما يفخر العرب والمسلمون بجهادهم وسيرتهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

علاقة الشيخ طاهر بجمعية تركيا الفتاة

سبق الحديث عن اتفاق أعضاء جمعية تركيا الفتاة مع جميع القوميات على نقد سياسة السلطان عبد الحميد، وسعيهم للمطالبة بالحكم الدستوري، ولهذا كان الشيخ طاهر مؤثراً على أعضاء جمعية تركيا الفتاة من عرب وترك، حيث كان الشيخ يختلط بهؤلاء وأولئك، ويتلمذُ جميعهم عليه، وهو لا يُشعر أحداً منهم بأنه يتحزب لجمعية من الجمعيات أو ينتمي إليها.

وقد ذكر بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية أن حكومة السلطان عبد الحميد قد ألغت وظيفة التفتيش – التي يشغلها الشيخ طاهر– بالمدارس تخوفاً من شدته في بث أفكاره بين الأساتيذ والتلاميذ، فزاد نشاط الشيخ، ثم اتهمته بالاشتراك في إذاعة نشرات كانت (جمعية تركيا الفتاة) تذيعها للطعن باستبداد السلطان عبد الحميد، فنزح الشيخ إلى مصر.

وبعد أن أُسقط السلطان عبد الحميد، وانفردت جمعية تركيا الفتاة بسياسة الدولة العثمانية، كان للشيخ طاهر الجزائري موقف يماثل موقف أعضاء الجمعيات القومية العربية من أعضاء جمعية تركيا الفتاة. وهو مواجهة حركة التتريك التي قاموا بها، قال الشيخ: «وقد نصحت كثيراً من المحدثين من الأحرار (يقصد جمعية تركيا الفتاة) بأن يعدلوا مشربهم، وحذرتهم عواقب الأمر، غَلبوا أو غُلبوا، فأبوا إلا الإصرار على فكرهم، وما قلت لهم رأيي إلا بعد أن ألحوا عليّ بيانه».

وبعد الإعلان عن تطبيق الدستور، قال محمد كرد علي عن رأي شيخه وموقفه: «كان لا يغتر بقوانين الترك ولا بثرثرة السياسيين».

وكان الشيخ طاهر يرشد أعضاء الجمعيات القومية العربية في خلال هذا الواقع، كما يقول طلابه: «بأنه لا يرى أن يُجابه صاحب القوة تفادياً من بطشه، بل يحتال عليه لئلا تنسحق القوة القليلة غير المنظمة أمام القوة الكبيرة المنظمة، وأن الأولى بالأمة الضعيفة التي تحاول تحريرها من قيود رقها أن تعد أسباب النهوض من علم وأخلاق ثم تنفض يدها من يد ظالمها».. فهو صاحب ثورة فكرية لا صاحب ثورة دموية. وكان يقول: «إن سورية تخرج عن حكم العثمانيين في القريب العاجل».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأثناء فترة انتقال الشيخ طاهر إلى مصر كان يحضر اجتماعات الجمعيات القومية العربية، فمن ذلك ما يذكره طلابه عنه: بأنه في سنة (١٣٣١هـ) الموافق (١٩١٣م) كان حزب اللامركزية قد دعا الناس إلى اجتماع كبير في فندق الكونتيننتال في القاهرة، وقد ذهبنا مع الشيخ طاهر الجزائري لحضور ذلك الاجتماع.

وقد يكون اجتماع حزب اللامركزية المذكور تمهيداً لانعقاد المؤتمر العربي الأول، الذي عُقد في باريس سنة (١٣٣١هـ) الموافق (١٩١٣م)، ومن مقاصده إعلان التمرد العربي على حكم جمعية تركيا الفتاة.

وقد قُتل مجموعة من العرب على أثر تصاعد الخلاف بين أعضاء الجمعيات العربية وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي، كان منهم سليم بك الجزائري، وهو ابن شقيق الشيخ، الذي له في تهذيبه اليد الطولى.

ولشدة نقمة الشيخ طاهر على أعضاء جمعية الاتحاد والترقي لم يقبل العزاء في ابن أخيه، إلا بعد دخول الجيش العربي والفرنسي بلاد الشام وإعلان الحكم العربي فيها سنة (١٩١٨م) فاستراحت نفسه وبدا عليه السرور.

لقد توفي الشيخ طاهر بعد أن استحكم منه مرض الربو، فقد قفل راجعاً إلى مسقط رأسه قبيل وفاته بأشهر قليلة، فعينته الحكومة العربية مديراً عاماً لدار الكتب العربية –التي أسست بسعيه منذ أربعين سنة وقت صباه– وعضواً في المجمع العلمي العربي. ومات في ربيع الثاني سنة (١٣٣٨هـ–١٩٢٠م) ودفن في دمشق.

وقال طلابه: عَظُم نعيهُ في أندية العلم والأدب، واضطرب تلامذته ومريدوه وأحبابه وعارفو فضائله بخطبه الجلل، يبكون ويرثون الذي كان الحركة الدائمة في بث المدنية والعلم الصحيح، وبعد أربعين يوماً من وفاته أقيم حفل لذكر مآثره؛ على عادتهم في بدع الجنائز.

من مصادر الترجمة

- «الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين»، للشيخ / خالد الدبيان ، (ص ٣٩٣ – ٤١٩).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- (تاريخ علماء دمشق) د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٦، الجزء الأول، ص(٣٦٦. ٣٨٠).
- (المعاصرون) محمد كرد علي، دار صادر، بيروت ١٩٩١، ص(٢٦٨ـ ٢٧٨).
- (الأعلام) خير الدين الزركلي، دار العلم لملايين، بيروت، الطبعة العاشرة ١٩٩٢، المجلد الثالث، ص(٢٢١، ٢٢٢).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ أحمد ياسين

ورؤية على الأحداث

قيل الشيخ وقيل المجاهد وقيل الأستاذ. لكن أحدا لم يجرؤ في يوم أن يذكر أنه المقعد أو المشلول. كان بدنه الواهن أقوى منا جميعا. قال وفعل، تمنى ونفذ، اختار الطريق وهو يعرف الثمن .. ومات ليس كما يموت العاديون. لقد حاولت وأنا صحيح اللسان والبدن أن أقول فيه شعرا، ولكنني لم أجد من الكلمات ما توفيه حقه، لقد اختار الله سبحانه له نهاية يضرب بها المثل، فقد استيقظ كالمعتاد ومعظم الأمة يغط في نوم الغفلة الذي لم يعد يوقظهم منه حتى أذان المسجد، ومضى الشيخ المقعد عالي الهمة إلى صلاة الفجر في بيت الله، رغم أنه في عرف العالم معذور إن لم يكن للإعاقة فبسبب المخاطر التي تحيط به شخصيا من عدو متربص، سجنه وحاول قتله مرات. «أيوب الأمة» هكذا وجدت اللقب الأنسب له، فقد كان على موعد مع الابتلاءات، ووقف لها كالطود الشامخ. (١)

بدأت التحذيرات الإسرائيلية بالعودة من جديد لاستئناف عمليات الاغتيال ضد قادة ورموز حركة حماس التي مر علي تأسيسها ستة عشر عاما .. وذلك في أعقاب العملية الفدائية التي استهدفت موقعا عسكريا عند حاجز (ايريز) شمال قطاع غزة، والتي أسفرت عن مقتل أربعة جنود إسرائيليين، وإصابة عشرة آخرين.

وفي إشارة إلي الشيخ ياسين شخصيا بثت القناة الإسرائيلية الأولي خبرا جاء فيه: إن ياسين متهم بالوقوف وراء إرسال الفدائية (ريم الرياشي) لتنفيذ عملية معبر ايريز، في حين قال نائب وزير الأمن الإسرائيلي (زئيف بويم) في حديث لمحطة الإذاعة العسكرية الإسرائيلية (غالي تساهال): إن الزعيم الروحي لحركة حماس، الشيخ أحمد ياسين، هو (ابن موت)، ويجب عليه أن يختبئ عميقا تحت الأرض، ولن يكون له لا ليل ولا نهار، سنعثر عليه وسنغتاله!!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لكن الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس وزعيمها الروحي قال معلقا: لن نستسلم للضغوط الصهيونية وندعو إلي مواصلة الجهاد والمقاومة ضد العدو الإسرائيلي، نحن لا نشعر بالخوف علي حياتنا، لقد حاولوا اغتيالي في السابق، أريد أن أقول لهم: إننا لا نخاف من التهديد بالموت، إننا نريد أن نموت شهداء .. إن قيادات الحركة طلاب شهادة في مدرسة المقاومة والجهاد في فلسطين مهد الرسالات وملتقي الأنبياء والرسل، لن تخيفنا صواريخ الاحتلال وقذائفه، سنضرب في كل مكان .. نحن لا ننظر إلي أنفسنا، نحن ننظر إلي شعب مشرد في أصقاع العالم .. هناك خمسة ملايين فلسطيني في الشتات، كما يوجد أربعة ملايين فلسطيني يحرمون من التنفس محاصرين ومقهورين .. لدينا قضية شعب وحضارة، فلو كنا نجاهد من أجل أنفسنا لرفعنا الرايات البيضاء بعد أول حادثة اغتيال نفذت بحق قيادتنا، ففي كل يوم نودع الشهداء وهذا ما يزيدنا إصرارا علي مواصلة التضحية والجهاد.

والشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، رجل ضعيف الجسد، مكدود البنية، وبالكاد يستطيع الإبصار، ويتهدج صوته إذا ما تكلم. وعلى الرغم من ذلك فإنه يتمتع بنفوذ واسع جدا بين أوساط الفلسطينيين الذين فقدوا الأمل في عملية السلام التي لم تفعل شيئا لتحسين الظروف التي يعيشونها تحت الاحتلال الإسرائيلي. كما أن شعبيته استمرت في التزايد، وكان آلاف المؤيدين له قد خرجوا مهللين لرؤيته بينما كان يهدد بالانتقام بعد تعرضه لمحاولة اغتيال أصيب فيها بجروح في سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٣ من قبل القوات الإسرائيلية.

ولد الشيخ أحمد إسماعيل ياسين في قرية تاريخية عريقة تسمى «جورة عسقلان» في يونيو/ حزيران ١٩٣٦ وهو العام الذي شهد أول ثورة مسلحة ضد النفوذ الصهيوني المتزايد داخل الأراضي الفلسطينية.

مات والده وعمره لم يتجاوز خمس سنوات. عايش أحمد ياسين الهزيمة العربية الكبرى المسماة بالنكبة عام ١٩٤٨ وكان يبلغ من العمر آنذاك ١٢ عاما، وخرج منها بدرس أثر في حياته الفكرية والسياسية فيما بعد مؤداه: أن الاعتماد على سواعد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الفلسطينيين أنفسهم عن طريق تسليح الشعب أجدى من الاعتماد على الغير، سواء كان هذا الغير الدول العربية المجاورة أو المجتمع الدولي.

ويتحدث الشيخ ياسين عن تلك الحقبة فيقول: «لقد نزعت الجيوش العربية التي جاءت تحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغي وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش، فارتبط مصيرنا بها، ولما هزمت هزمنا وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجريات الأحداث».

التحق أحمد ياسين بمدرسة الجورة الابتدائية، وواصل الدراسة بها حتى الصف الخامس، لكن النكبة التي ألمت بفلسطين وشردت أهلها عام ١٩٤٨ لم تستثن هذا الطفل الصغير، فقد أجبرته على الهجرة بصحبة أهله إلى غزة، وهناك تغيرت الأحوال وعانت الأسرة – شأنها شأن معظم المهاجرين آنذاك – مرارة الفقر والجوع والحرمان، فكان يذهب إلى معسكرات الجيش المصري مع بعض أقرانه لأخذ ما يزيد عن حاجة الجنود ليطعموا به أهليهم وذويهم، وترك الدراسة لمدة عام (١٩٤٩–١٩٥٠) ليعين أسرته المكونة من سبعة أفراد عن طريق العمل في أحد مطاعم الفول في غزة، ثم عاود الدراسة مرة أخرى.

في السادسة عشرة من عمره تعرض أحمد ياسين لحادثة خطيرة أثرت في حياته كلها منذ ذلك الوقت وحتى الآن، فقد أصيب بكسر في فقرات العنق أثناء لعبه مع بعض أقرانه عام ١٩٥٢، وبعد ٤٥ يوما من وضع رقبته داخل جبيرة من الجبس اتضح بعدها أنه سيعيش بقية عمره رهن الشلل الذي أصيب به في تلك الفترة.

وما زال يعاني إضافة إلى الشلل التام من أمراض عديدة منها فقدان البصر في العين اليمنى بعدما أصيبت بضربة أثناء جولة من التحقيق على يد المخابرات الإسرائيلية فترة سجنه، وضعف شديد في قدرة إبصار العين اليسرى، والتهاب مزمن بالأذن وحساسية في الرئتين وبعض الأمراض والالتهابات المعوية الأخرى.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أنهى أحمد ياسين دراسته الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٨/٥٧ ونجح في الحصول على فرصة عمل رغم الاعتراض عليه في البداية بسبب حالته الصحية، وكان معظم دخله من مهنة التدريس يذهب لمساعدة أسرته.

شارك أحمد ياسين وهو في العشرين من العمر في المظاهرات التي اندلعت في غزة احتجاجا على العدوان الثلاثي الذي استهدف مصر عام ١٩٥٦ وأظهر قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة، حيث نشط مع رفاقه في الدعوة إلى رفض الإشراف الدولي على غزة، مؤكدا ضرورة عودة الإدارة المصرية إلى هذا الإقليم.

كانت مواهب أحمد ياسين الخطابية قد بدأت تظهر بقوة، ومعها بدأ نجمه يلمع وسط دعاة غزة، الأمر الذي لفت إليه أنظار المخابرات المصرية العاملة هناك، فقررت عام ١٩٦٥ اعتقاله ضمن حملة الاعتقالات التي شهدتها الساحة السياسية المصرية والتي استهدفت كل من سبق اعتقاله من جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية قرابة شهر ثم أفرج عنه بعد أن أثبتت التحقيقات عدم وجود علاقة تنظيمية بينه وبين الإخوان.

وقد تركت فترة الاعتقال في نفسه آثارا مهمة لخصها بقوله: «إنها عمقت في نفسه كراهية الظلم، وأكدت (فترة الاعتقال) أن شرعية أي سلطة تقوم على العدل وإيمانها بحق الإنسان في الحياة بحرية».

بعد هزيمة ١٩٦٧ التي احتلت فيها إسرائيل كل الأراضي الفلسطينية بما فيها قطاع غزة استمر الشيخ أحمد ياسين في إلهاب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد العباسي الذي كان يخطب فيه لمقاومة المحتل، وفي الوقت نفسه نشط في جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين، ثم عمل بعد ذلك رئيسا للمجمع الإسلامي في غزة.

يعتنق الشيخ أحمد ياسين أفكار جماعة الإخوان المسلمين التي تأسست في مصر على يد الإمام حسن البنا عام ١٩٢٨، والتي تدعو –كما تقول– إلى فهم الإسلام فهما صحيحا والشمول في تطبيقه في شتى مناحي الحياة. ولقد أزعج النشاط الدعوي للشيخ أحمد ياسين السلطات الإسرائيلية فأمرت عام ١٩٨٢ باعتقاله

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ووجهت إليه تهمة تشكيل تنظيم عسكري وحيازة أسلحة وأصدرت عليه حكما بالسجن ١٣ عاما، لكنها عادت وأطلقت سراحه عام ١٩٨٥ في إطار عملية لتبادل الأسرى بين سلطات الاحتلال الإسرائيلي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين «القيادة العامة».

اتفق الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٧ مع مجموعة من قادة العمل الإسلامي الذين يعتنقون أفكار الإخوان المسلمين في قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامي لمحاربة الاحتلال الإسرائيلي بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم (حركة المقاومة الإسلامية) المعروفة اختصارا باسم «حماس»، وكان له دور مهم في الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت آنذاك والتي اشتهرت بانتفاضة المساجد، ومنذ ذلك الوقت والشيخ ياسين يعتبر الزعيم الروحي لتلك الحركة.

مع تصاعد أعمال الانتفاضة بدأت السلطات الإسرائيلية التفكير في وسيلة لإيقاف نشاط الشيخ أحمد ياسين، فقامت في أغسطس/آب ١٩٨٨ بمداهمة منزله وتفتيشه وهددته بالنفي إلى لبنان. ولما ازدادت عمليات قتل الجنود الإسرائيليين واغتيال العملاء الفلسطينيين قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي يوم ١٨ مايو/أيار ١٩٨٩ باعتقاله مع المئات من أعضاء حركة حماس. وفي ١٦ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩١ أصدرت إحدى المحاكم العسكرية حكما بسجنه مدى الحياة إضافة إلى ١٥ عاما أخرى، وجاء في لائحة الاتهام أن هذه التهم بسبب التحريض على اختطاف وقتل جنود إسرائيليين وتأسيس حركة حماس وجهازيها العسكري والأمني.

حاولت مجموعة فدائية تابعة لكتائب عز الدين القسام –الجناح العسكري لحماس– الإفراج عن الشيخ ياسين وبعض المعتقلين المسنين الآخرين، فقامت بخطف جندي إسرائيلي قرب القدس يوم ١٣ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٢ وعرضت على إسرائيل مبادلته نظير الإفراج عن هؤلاء المعتقلين، لكن السلطات الإسرائيلية رفضت العرض وقامت بشن هجوم على مكان احتجاز الجندي مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة الإسرائيلية المهاجمة ومقتل قائد مجموعة الفدائيين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفي عملية تبادل أخرى في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٧ جرت بين المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل في أعقاب المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس (خالد مشعل) في العاصمة عمان وإلقاء السلطات الأمنية الأردنية القبض على اثنين من عملاء الموساد سلمتهما لإسرائيل مقابل إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين، أفرج عن الشيخ وعادت إليه حريته منذ ذلك التاريخ.

وبسبب اختلاف سياسة حماس عن السلطة كثيراً ما كانت تلجا السلطة للضغط على حماس، وفي هذا السياق فرضت السلطة الفلسطينية أكثر من مرة على الشيخ أحمد ياسين الإقامة الجبرية مع إقرارها بأهميته للمقاومة الفلسطينية وللحياة السياسية الفلسطينية.

تعرض الشيخ أحمد ياسين في ٦ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٣ لمحاولة اغتيال إسرائيلية حين استهداف مروحيات إسرائيلية شقة في غزة كان يوجد بها الشيخ وكان يرافقه إسماعيل هنية. ولم يكن إصاباته بجروح طفيفة في ذراعه الأيمن بالقاتلة.

لماذا قررت إسرائيل اغتيال الشيخ ياسين؟

ربما يرجع السبب في اغتيال الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، في رغبة إسرائيل إظهار أن الخطة الإسرائيلية للانسحاب من غزة كمرحلة أولية من إستراتيجية (فك الارتباط)، جاءت مدفوعة بالتخطيط وليس من قبيل الضعف.

ويتطلب تنفيذ هذه الإستراتيجية، من وجهة النظر الإسرائيلية، شن غارات جوية ضد حماس وحلفائها، الذين قد يعلنون النصر عندما تنسحب القوات الإسرائيلية من غزة. وحقيقة أن الشيخ ياسين كان مقعدا يسير على كرسي متحرك لم تحميه من استهداف حكومة إسرائيلية له مرة ثانية، إلا أن إسرائيل تعتبره "زعيما إرهابيا" وضعت فلسفته في الحياة العديد من الإسرائيليين على كرسي متحرك مماثل.

وقد أعطت العملية التفجيرية المزدوجة التي وقعت في ميناء اشدود جنوبي إسرائيل في الأسبوع السابق لاغتيال الشيخ والتي تم الإعداد لها من غزة إسرائيل سببا مباشرا لردة الفعل هذه. وجاءت عملية اغتيال الشيخ ياسين بناءا على قرار مجلس

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الوزراء استهداف الزعيم الروحي لحركة حماس مدفوعة من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون، الذي تجعله قدراته كجنرال سابق يميل إلى القيام بعمل درامي.

تاريخ التصفيات الإسرائيلية لرموز حركة المقاومة الفلسطينية.

– (فبراير ١٩٧٣) دخلت القوات الإسرائيلية الخاصة بيروت عن طريق البحر واغتالت ثلاثة من كبار قادة منظمة التحرير الفلسطينية. وكان إيهود باراك، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للوزراء أحد أفراد هذه القوة.

– (يناير ١٩٧٩) اغتيال علي حسن سلامة، في انفجار قنبلة في بيروت على أيدي عملاء إسرائيليين. وكان سلامة قد خطط لهجمات عام ١٩٧٢ في ميونخ أسفرت عن مقتل ١١ عضوا في الفريق الأوليمبي الإسرائيلي.

– (أبريل ١٩٨٨) اغتيال خليل الوزير «أبو جهاد»، –الرجل الثاني بعد ياسر عرفات في منظمة التحرير الفلسطينية، وقائد العمليات في الضفة الغربية– على أيدي عملاء إسرائيليين.

– (فبراير ١٩٩٢) اغتيال الشيخ عباس الموسوي، القيادي في حزب الله اللبناني جنوب لبنان في هجوم شنته طائرة هليكوبتر إسرائيلية.

– (أكتوبر ١٩٩٥) اغتيال فتحي الشقاقي، القيادي في الجهاد الإسلامي على يد مسلحين في مالطا. وأعلنت إسرائيل مسؤوليتها، لكنها لم تعلق رسميا.

– (يناير ١٩٩٦) اغتيال المهندس يحيى عياش خبير القنابل في انفجار هاتف مفخخ في غزة.

– (سبتمبر ١٩٩٧) اعتقال اثنين من عملاء الموساد الإسرائيلي في الأردن بعد محاولة فاشلة لاغتيال خالد مشعل القيادي في حركة حماس.

– (يناير ٢٠٠٢) مقتل رائد كرمي، القيادي في كتائب شهداء الأقصى في الضفة الغربية.

– (يوليو ٢٠٠٢) مقتل قيادي حماس صلاح شحادة مع ١٤ آخرين عندما أسقطت طائرة إسرائيلية قنبلة تزن طنا على منزله بغزة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

– (سبتمبر ٢٠٠٢) اغتيال قيادي حماس محمد ضيف بجروح في غارة جوية.

– (مارس ٢٠٠٣) اغتيال إبراهيم المقادمة، القيادي البارز في حركة حماس في غارة جوية على غزة.

– (يونيو ٢٠٠٣) إصابة عبد العزيز الرنتيسي، القيادي البارز في حركة حماس بجروح في غارة جوية على غزة.

– (٢١ أغسطس ٢٠٠٣) مقتل ثلاثة من أعضاء حركة حماس بمن فيهم القيادي البارز إسماعيل أبو شنب واثنين من حراسة في هجوم بالصواريخ من قبل طائرة هليكوبتر إسرائيلية، كما قتل في الهجوم أحد المارة وأصيب ١٥ آخرين بجروح.

– (٢٤ أغسطس ٢٠٠٣) مقتل أربعة فلسطينيين جميعهم نشطاء في حماس في غارة إسرائيلية في غزة أصيب فيها أكثر من عشرة من المارة بجروح.

– (٢٦ أغسطس ٢٠٠٣) مقتل اثنين من المارة بصاروخ أطلقته هليكوبتر إسرائيلية في غزة ومات شخص آخر بعد ذلك بأسبوع متأثرا بجروحه.

– (٢٨ أغسطس ٢٠٠٣) مقتل ناشط في حركة حماس في غارة جوية جنوبي غزة، وإصابة ثلاثة آخرين بجروح.

– (٣٠ أغسطس ٢٠٠٣) مقتل فلسطينيين كلاهما ينتمي إلى حماس جنوبي غزة وإصابة ثلاثة آخرين بجروح.

– (١سبتمبر ٢٠٠٣) مقتل أحد أعضاء حماس في غارة جوية أسفرت أيضا عن مقتل اثنين من المارة في وقت لاحق متأثرين بجراحهما.

– (٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣) مقتل ١٤ فلسطينيا في غارة جوية إسرائيلية على معسكر النصيرات في غزة طبقا للسجلات الفلسطينية.

– (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٣) مقتل ٥ فلسطينيين في غارة جوية على قطاع غزة استهدفت قياديا بارزا في حركة الجهاد الإسلامي، بالإضافة إلى مقتل عضوين آخرين من حركة الجهاد واثنين من المارة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

– (٧ فبراير ٢٠٠٤) مقتل فلسطينيين في هجوم بالصواريخ ضد هدف تابع لجماعة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة وكان من بين القتلى طفل في الثانية عشرة من عمره.

– (٢٨ فبراير ٢٠٠٤) مقتل ثلاثة من حركة الجهاد الإسلامي في غارة جوية على قطاع غزة.

– (٣ مارس ٢٠٠٤) مقتل ثلاثة من أعضاء حركة حماس في هجوم بالصواريخ على سيارتهم في قطاع غزة

– (٢٢ مارس ٢٠٠٤) اغتيال الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، في غارة جوية إسرائيلية أثناء عودته لمنزله بعد أداءه لصلاة الفجر في مسجد بمدينة غزة.

أما هو فقد نال الأمنية التي تمناها، ووصل غاية الطريق التي سار فيها، ونال الموت شهادة أشهى ما يكون الموت، وحاله في هذه الشهادة أشبه شيء بحال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الذي دعا في شهر وفاته الذي طعن فيه: «اللهم قد كبرت سني وضعفت قوتي فارزقني شهادة في سبيلك واجعلها في بلد نبيك» فنالها عمركما تمناها، وهكذا الشيخ أحمد ياسين رزق الشهادة على كبر سنه وضعف قوته وبجوار الأرض المقدسة التي باركها الله.

لقي الله وهو في ذمته «فمن صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله» وفاضت روحه ورفعت شهادته وتم جهاده في يوم الاثنين الذي تعرض فيه الأعمال على الله. إن استشهاد الشيخ يمثل مرحلة أخرى في مسيرة جهاده، ويؤثر ذات الأثر الذي كان الشيخ يؤثره في حياته، إن الشيخ الذي قضى عمره وهو يبني في النفوس عزيمة المواجهة للعدو، وقوة الصبر على المدافعة قد أعلى بناءه ذلك بروعة استشهاده. إن الصور التي رأيناها في جنازة الشيخ لشباب يافعين سوف تصنع فيهم جنازة الشيخ واستشهاده ما لا تصنعه بلاغة الكلام وإطناب العبارة، إن هؤلاء الشباب يُصْنعون ويتربون بمثل هذه الأحداث وتؤسس في ذواتهم معاني ما كانت لتؤسس بغير هذه المشاهد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إن شهادة الشيخ ياسين وما جرى معها وحولها تحفر خنادق في القلوب تمنعها من الذوبان، وتحول حرارة الحزن إلى وقدة غضب تمنع السكون، وتبعد يهود مسافات شاسعة عن حلم احتواء هذا الشعب وتدجينه.

إن شهادة الشيخ درس تربوي عميق يبين أن القوة الحقيقة في الإرادة والعزيمة والتصميم، وأن معاقاً مشلول الأطراف جعل دولة يهود تقف وجاهة وتدخل معه معركة منازلة بالنذالة التي تليق برجس يهود، إن هذا المريض الذي لا يستطيع تحريك أطرافه استطاع تحريك شعب بأكمله، وكشف الهدف الحقيقي للمواجهة، وجعل أبناء فلسطين يدخلون الجهاد من طريقه الصحيح .

أعطى الشيخ درساً في آخر لحظات حياته أن أصحاب العزائم القوية، والمواجهة المتواصلة هم أصحاب الأيدي المتوضئة، والقلوب المؤمنة، وأن هؤلاء هم الذين يتذوقون لذة الجهاد، وبهجة التوق إلى الشهادة، واستراوح نعيم الجنة. إن الشيخ رزق الشهادة عائداً من صلاة الفجر في المسجد، فإذا كان الشوق إلى صلاة الجماعة يخرج شيخاً مريضاً معاقاً مستهدفاً في غلس الفجر ليكون وداعه للحياة بعدها، فأي دلالة يسكبها ذلك في نفوس الشباب وأي معان نورانية يضيئها في جوانحهم.

إن الذين يجيبون حي على الجهاد هم الذين يجيبون حي على الصلاة. استشهد الشيخ أحمد ياسين لتكون شهادته حفلاً آخر للعري الأخلاقي لليهود، وليشهد العالم كيف تنزل الدولة بسلاحها العسكري لقتل الشيخ على حاله من كبر السن والمرض والإعاقة، وفي حي سكني يكتظ بالمدنيين ليبين أن القيم والمثل الأخلاقية غائبة في تعامل اليهود قتلة الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس .

كما هو عري آخر لقيم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تتجاوز في تعليقها على هذا الإرهاب الصهيوني الدعوة إلى ضبط النفس، وهي دعوة موجهة إلى الفلسطينيين قطعاً، أما شارون فهو مشغول بتبادل التهاني مع شعبه على هذه الجريمة. إن الإرهاب الذي تحاربه أمريكا هو من صناعتها حينما تكيل بمكيالين، ولا تنظر إلى إرهاب يهود إلا بعينين مغمضتين. رحم الله الشيخ المجاهد أحمد ياسين الذي سالت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

دماؤه لتكون وقوداً في الشرايين، ومات ليكون موته حياة لأمته وقضيته. نسأل الله أن يتقبله وأن يرفع نزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. إنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها. (٢)

الهوامش

(١) موت أيقظ أمة /أيمن جمال الدين . بتصرف

(٢) أحمد ياسين وجهاد المصلين /د .عبد الوهاب الطريري

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأقوال الخالدة للشهيد

أحمد ياسين

ثروة الأمة الحقيقة في رجالها، بهم تصنع المجد والنصر، فما بالنا برجال الإسلام الذين تشربوا نقائه وطهره وكانوا على مدى الأيام محط فخر واعتزاز أبنائها، حتى أنك اليوم تعجب أن في مثل هذه الأيام العصيبة يوجد بيننا أمثال أحمد ياسين الذي ملئ أسماع الدنيا وهو الضعيف البنية القوي العزيمة، لكن سرعان ما يزول العجب عندما تتفطن النفس لروعة الإسلام الذي كان سببا في وجود أمثال هؤلاء العظماء، وما دام الإسلام لم يمت فلن تعدم الأمة آلاف أمثال أحمد ياسين، الذي وأن كان قد مات فلن تموت مبادئه وأقواله الخالدة:

- لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن نعترف بإسرائيل وهي تغتصب أرضنا وحقوقنا ووطننا وتاريخنا.
- نؤكد الآن أن كل الشعب الفلسطيني لا يقبل بأن يوقف الدفاع عن نفسه ويجعل الضحية متساوية مع المعتدي، هناك معتد يجب عليه وقف إطلاق النار وسحب جيشه، وهناك معتدى عليه لا يمكن أن نقول له: ارفع يديك وسلم.
- نحن لا نريد فقط أن يوقف الاحتلال عدوانه علي شعبنا .. نعم نحن نريد ذلك، لكننا نريد أيضا أن يزول الاحتلال تماما عن أرضنا، وأن تزال المستوطنات، وأن يطلق سراح الأسرى، وأن يفك الحصار عن الرئيس عرفات، وكل هذا ضمن جدول زمني إذا التزم به العدو نلتزم نحن من جانبنا .. نحن لسنا عشاق قتل أو سفاكي دماء، إذا كان بالإمكان تحرير أرضنا دون أن تراق الدماء لماذا لا نفعل؟
- نحن في مركز قوة وليس في مركز ضعف، والعدو هو الذي انهار، فالجيش الإسرائيلي لا يريد أن يقاتل في الأراضي المحتلة ومواطنوهم فارُّون إلى الخارج، ورؤوس الأموال تهرب والاقتصاد الصهيوني ينهار. إن إسرائيل تشهد وضعا منهارا،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بينما نحن في وضع قوي جدا، في الشارع الفلسطيني اسأل أي امرأة أو رجل إذا كان يريد الاستشهاد سيقول لك: «نعم»، وإن سألته: هل تريد حزاما لقال: «أنا مستعد».

● تأكدوا يا أبناء شعبنا أننا نسير لتحقيق المصلحة الوطنية لكم، فإذا كانت المصلحة في إعطاء هدنة فسنعطي هدنة، وإذا كانت المصلحة في الاستمرار في طريق المقاومة فسنكمل مشوارنا.

● لقد أثبت شعبنا علي مدار التاريخ أنه الأقوى شكيمة، والأصلب إرادة بين شعوب العالم قاطبة، ولديه من الطاقات والثوابت الإيمانية ما يؤهله لخوض معركة طويلة تستمر حقبة من الزمان .. وأن التضحيات الجسام هي التي صقلت فيه حب الشهادة، وزادت في نفوس أبنائه جرأة المقاومة والدفاع عن شرف الأمة ومقدساتها.

● في ظل عدم توازن القوى لا يمكن للعمل السياسي أن يسير، عندما تختل موازين الصراع لا بد من وجود العمل العسكري الذي يضر بمصالح العدو ويجعله يركع لأن الله تعالى قال: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها} [الأنفال:٦١]، وقال أيضا: {ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم} [محمد:٣٥] لذا المسار السياسي وحده لا يمكن أن يكون حلا كافياً في ظل عدم توافق القوى بين الشعب الفلسطيني والصهيوني الذي تدعمه أمريكا، لذا يتوجب وجود قوة فلسطينية مرافقة قوية ترغم العدو على التنازل، لم يوجد شعب محتل في العالم كانت قدرته بقدرة الجيوش المحتلة، لكن الشعوب لأنها صاحبة حق فبإمكانياتها البسيطة تستنزف العدو وتجعله يركع لمطالبها ولا يستطيع أن يدير حرباً طويلة الأمد وبالتالي سيتنازل.

● العدو يعتبرنا كلنا إرهابيين، ولو قدر سيغتال الشعب الفلسطيني كاملا، فهو يريد أرضاً بلا شعب، فلا يهمنا أي تصنيف. في التاريخ الإسلامي كانوا يقولون عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– إنه كاذب وساحر، فهل كانت حقا فيه هذه الصفات؟ لكنه صبر وتحمل وجاهد وفي النهاية انتصر الإسلام. ونحن نحمل راية الحق، فنحن أصدق الناس في العالم ويهمنا السلام، فأنا لا أحارب اليهودي لأنه يهودي أو لأنه يعيش في فلسطين، ففي مصر يعيش اليهود والنصارى مع المسلمين ولم يحاربوهم، لكن لو أخي أخذ بيتي سأقاتله، فأنا أقاتله من أجل حقي الذي أخذه مني، وليس لأنه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يهودي، ففي الأصل نحن واليهود أبناء عم، فإسحاق أخو إسماعيل عليهما السلام، لذا فأنا أقاتل اليهودي من أجل استرداد حقي وليس لأنه يهودي.

● يهود العالم تجمعوا هنا لأنهم فقدوا الأمن في العالم، وهذه الصوارخ تفقدهم الأمن، صواريخ الكاتيوشا في الشمال لم تقتل يهودياً واحداً في عشرين عاما كل مهمتها كان إفقادهم الأمن وصارت الصواريخ المعادلة الصعبة في الشمال، والآن الصوارخ معادلة صعبة في الجنوب. ودخولهم بيت حانون لم يمنع إطلاقها ولم تتوقف خلال احتلالهم وعرفوا ألا فائدة من احتلالها. واليوم لو وجدوا فائدة لاحتلوها، وعندما أقمنا الهدنة قال لهم شارون جلبت لكم الأمن فقالوا له الأمن جلبته حماس لأنها أعطتنا الهدنة وليس أنت.

● إن التهديدات الإسرائيلية بتصفية قيادي حماس تعبير عن حالة الفشل والإفلاس التي تعيشها إسرائيل، فالإسرائيليون ليسوا بحاجة إلى مبرر لارتكاب المجازر، ولا يحتاجون إلى مبررات للاستمرار في القتل والتدمير، فالعدو الإسرائيلي لا يعيش إلا على القتل والدماء.

● إن من مظاهر وعلامات السلامة أن تشعر الأمة بقلق إزاء قضية فلسطين «قضية الأمة» ولكن المقاومة مستمرة، وفي كل يوم هناك عمليات وشهداء وتضحيات. أما قضية السور فهي هامشية ولا يرفع منها إلا الإعلام الغربي الذي وقف ضد هذا السور، علما أنه يقف إلى جانب العدو الصهيوني ويدافع عنه ويعطيه حق الهجوم على شعبنا مع بقاء الاحتلال، وهذه من تناقضات الغرب والحرية التي ينادون بها. أما نحن فقضيتنا قضية تحرير، قضية شعب وقضية وطن، وإن شاء الله تبقى الأمة كلها خلف هذه القضية حتى التحرير؛ لأن الأقصى في خطر ومحاولة هدمه وبناء الهيكل مستمرة في كل يوم، فلا بد للأمة أن تستيقظ وتؤدي دورها في دعم المقاومة والجهاد حتى النصر والتحرير بإذن الله تعالى.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

جمال الدين القاسمي

(١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٦م – ١٣٣٢ هـ/١٩١٤م)

هو العلامة الشيخ أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي، نسبة إلى جده قاسم المعروف بالحلاق.

ولد رحمة الله تعالى عليه في دمشق، وعاش رحمه الله في أواخر الحكم العثماني، وكانت الحياة السياسية مضطربة تعاني الدولة قلقا ومخاوف من أعدائها الأقوياء في الخارج، والاستبداد قد غل ألسنة الناس وكبل خطواتهم في الداخل، والحياة الفكرية ضيقة الحدود، منطفئة الجذوة، والحياة الاجتماعية تعاني من فقر مرهق، وكبت قاتل، وظلم مسيطر، وفساد انتظم مرافق الحياة كلها، أما الحياة الدينية فهي جامدة عنيت بالقشور دون اللباب، وشغل الناس ببعض الكتب الفقهية متونها وشروحها والتقريرات عليها فكلت أبصارهم وعقولهم عن الوصول إلى الحقائق الرائعة والجوهر الذي يتيح لهذه الأمة أن تعيد إلى التاريخ سيرتها، وتستأنف في طريق الهدى والقوة والرفعة مسيرتها، وكثرت الفرق الدينية المختلفة فاستأثرت باهتمام الناس وأبعدتهم عن الفهم الصحيح المثمر للدين.

نشأ القاسمي في بيت دين وورع وخلق كريم وعلم وفضل، فوالده كان فقيهاً، عالماً، أديباً غلب عليه الأدب، وله كتاب غاية في الطرافة سماه «قاموس الصناعات الشامية» وصل فيه إلى حرف السين ثم أتمه ابنه جمال الدين وخليل العظم، وكان جده كما وصفه هو: «فقيه الشام وصالحها في عصره...ولا يعرف من أجداده من خدم العلم حق الخدمة إلا جده».

يقول ابنه الأستاذ ظافر القاسمي: «في جو من حرمة الدين وجلاله وهداه وسلطانه ورقة الأدب وروائه وتهذيبه وصفائه..فتح عينيه على النور فأعانه هذا كله، كما أعانه تشجيع أبيه على أن ينشأ نشأة صحيحة صالحة».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأخذا القاسمي كل علم من أئمته الأعلام، فقرأ القرآن أولاً على الشيخ الحافظ عبد الرحمن المصري وجوَّده على شيخ قراء الشام الشيخ أحمد الحلواني ثم الكتابة ـ تجويد الخط ـ على الشيخ محمود القوصي.

ثم انتقل إلى مكتب في المدرسة الظاهرية حيث تعلم التوحيد وعلوم اللغة على شيخه الشيخ رشيد قزيها المعروف بابن سنان. وقرأ على الشيخ سليم العطار شرح شذور الذهب، وابن عقيل، وجمع الجوامع، وتفسير البيضاوي، وسمع منه دروساً من صحيح البخاري، والموطأ، ومصابيح السنة، وأجازه شيخه إجازة عامة بجميع مروياته سنة (١٣٠١ هـ)، ولما يبلغ القاسمي حينها الثامنة عشرة من عمره.

ومن شيوخه الشيخ بكري العطار، قرأ عليه كثيراً من الكتب في علوم متنوعة وأجازه هذا الشيخ أيضاً سنة (١٣٠٢هـ)، ومن شيوخه الشيخ محمد الخان والشيخ حسن جبينه الشهير بالدسوقي الذي قال عنه القاسمي: «وقد انتفعت بصحبة هذا الأستاذ وتهذبت بآدابه وإرشاداته ونوادره عن الأقدمين».

على أن مجالس هؤلاء الأعلام كانت حافلة بعشرات من طلاب العلم فلم يبزغ نجم واحد منهم كما بزغ علامة الشام القاسمي، ولم يترك أحد منهم من الآثار ما تركه، فقد كان يأخذ نفسه بالجد والمحافظة على الوقت والمواظبة على العمل منذ كان حدثا صغيرا، وكان الله هيأ نفسه لتكون تربة كريمة تنبت فيها بذور العلم والمعارف فتزهر وتثمر حتى تغدو روضة يانعة تمتع العقول وتسحر الألباب.

يقول القاسمي: «وقد حبب المولى إلى من حداثتي القراءة والمطالعة ونسخ الكتب وتأليف الرسائل» ويقول: «وأذهب المولى بفضله عن عبده حب البطالة وصرف الأوقات سدى فطالعت من كتب الأدب والتاريخ ما لا أحصي» ويقول أيضا: «وقد اتفق لي بحمده تعالى قراءة صحيح مسلم بتمامه رواية ودراية في أربعين يوما، وقراءة سنن ابن ماجة كذلك في واحد وعشرين يوما، وقراءة الموطأ كذلك في تسعة عشر يوما، وقراءة تقريب التهذيب مع تصحيح سهو القلم فيه وتحشيته في نحو عشرة أيام، فدع عنك الكسل واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

دعا الشيخ القاسمي إلى العلم، ونبذ التعصب والتقليد، وتصفية العقيدة مما علق بها من أفكار وفلسفات واعتقادات دخيلة، وإرجاع مجد الإسلام، ورفع شأنه، وجعله الحكم على شئون الحياة كلها.

كما دعا إلى نبذ التعصب والجمود، وفتح باب الاجتهاد لمن ملك القدرة على ذلك، وكثيراً ما كان يستشهد بأقوال الأئمة الأربعة للتدليل على أفكاره، فكان يقول: «إن من يطلع على كتب هؤلاء الأربعة رحمهم الله يرفض التقليد، لأنهم أمروا تلامذتهم بالاجتهاد، وأن لا يجعلوا كلامهم حجة»...فكانت النتيجة أن اجتمعت عليه الجموع ولفقوا له تهمة خطيرة يستحق عليها السجن والتعذيب!...إنها تهمة الاجتهاد، وتأسيس مذهب جديد في الدين سموه «المذهب الجمالي» وشكلوا لذلك محكمة خاصة، مثل أمامها مع لفيف من إخوانه العلماء، كان ذلك سنة (١٣١٣هـ) وله من العمر ثلاثون عاماً، فرد التهمة وأخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق ثم كانت هذه المحنة سبباً في رفع قدره ومكانته وشهرته.

يقول في كتابه الاستئناس [ص ٤٤]: «وإن الحق ليس منحصراً في قول، ولا مذهب، وقد أنعم الله على الأمة بكثرة مجتهديها».

وفى كتاب إرشاد الخلق [ص ٤] يقول: «وإن مراد الإصلاح العلمي بالاجتهاد ليس القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراد، وإنما المراد إنهاض رواد العلم، لتعرف المسائل بأدلتها».

ولقد اتصف رحمه الله بصفات العلماء الحميدة، فكان سليم القلب، نزيه النفس واللسان، ناسكاً، حليماً وفياً لإخوانه، جواداً سخياً على قلة ذات يده، يأنس به جليسه ولا يمل حديثه، حريصاً على الإفادة من أوقاته ولو كانت قصيرة...فقد جمع مفكرة جميلة سماها «السوانح» حوت من الفوائد واللطائف الشيء الكثير.

وكان يربي تلاميذه على حب الاعتماد على النفس، وعدم الكسب بالدين، والركون إلى الطغاة والظالمين ومسايرتهم على ضلالهم، رغبة في عَرَضٍ من أعراض الدنيا، ويستشهد على ذلك بابن تيمية، فإنه عَرَضَ عليه الحاكم منصب قاضي عسكر براتب مغرٍ فأعرض عنها مخافة أن يكون عبداً وأسيراً لها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ومن صفاته المشرقة عفة اللسان والقلم،وسعة الصدر،ورحابته، وبشاشة الوجه وطلاقته، فقد كتب ولده الأستاذ ظافر القاسمي عن هذا الجانب فقال: «عرف عن القاسمي أنه كان عف اللسان والقلم، لم يتعرض بالأذى لأحدٍ من خصومه، سواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة، أو في مجالسه وندواته، وكانت له طريقته في مناقشة خصومه، لم يعرف أهدأ منها، ولا أجمل من صبره، وكثيراً ما قصده بعض المقتحمين في داره، لا مستفيداً، ولا مستوضحاً، ولا مناقشاً، بل محرجاً، فكان يستقبلهم بصدره الواسع، وعلمه العميق، فلا يخرج المقتحم من داره إلا وقد أفحم وامتلأ إعجاباً وتقديراً».

وكان رحمه الله إماماً وخطيباً في دمشق، وكان يلقي عدة دروس في اليوم الواحد، للعامة والخاصة، ويشارك في الحياة الاجتماعية، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقوم بواجبه في الدعوة والإصلاح، والنصح والتذكير، والنقاش والحوار، ومواجهة البدع والخرافات، والانحرافات والضلالات.

وقد كان رحمه الله آية في الحفاظ على الوقت، وقد تحسر مرة وهو واقف أمام مقهى قد امتلأ بأناس فارغين ينفقون الوقت في اللهو والتسلية فقال لبعض محبيه: « آه كم أتمنى أن يكون الوقت مما يباع لأشتري من هؤلاء جميعا أوقاتهم».

وعن آثاره العلمية يقول ظافر القاسمي في مقدمة كتاب قواعد التحديث عند الترجمة لأبيه: «أما كتبه التي ألفها فقد قاربت المائة، وأقدم ما عثرت عليه من مؤلفاته مجموعة سماها «السفينة» يرجع تاريخها إلى عام (١٢٩٩هـ) ضم فيها طرائف من مطالعاته في الأدب، والأخلاق، والتاريخ، والشعر، وغير ذلك، وله من العمر ستة عشر عاماً، ومضى يكتب ويكتب إلى أن عجب الناس من بعده كيف اتسع وقته– ولم يعش إلا تسعة وأربعين عاماً –لهذا الإنتاج الضخم، فضلاً عن تحمل مسئولية الرأي، وترجيح الأقوال ومناقشتها، والرجوع إلى المصادر، وفضلاً عن أعبائه العائلية، فلقد كان له زوج وسبعة أولاد، وفضلاً عن إمامته للناس في الأوقات الخمسة دون انقطاع، ودروسه العامة والخاصة، وتفقده للرحم، ورحلاته، وزياراته لأصدقائه، وغير ذلك من المشاغل».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقد ذكر الدكتور «نزار أباظة» في كتابه عن القاسمي (١١٣) عنواناً من مؤلفاته رحمه الله، مابين مطبوع ومخطوط وما بين كتاب كبير يشتمل على مجلدات كثيرة ورسائل صغيرة قليلة الصفحات.

من أشهر مؤلفاته رحمه الله:

- محاسن التأويل وهو تفسير للقرآن الكريم.
- دلائل التوحيد.
- إصلاح المساجد من البدع والعوائد.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث.
- شذرة من السيرة النبوية.
- رسالة الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس.
- كتاب المسح على الجوربين.
- تعطير المشام في مآثر دمشق الشام.
- حياة البخاري.
- شمس الجمال على منتخب كنز العمال.
- ميزان الجرح والتعديل.
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين.
- جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب.

ولاشك أن أجل مصنفاته تفسير القرآن المسمى بمحاسن التأويل فهو من أقوى وأنفع التفاسير التي ترد على أهل البدع كالمعتزلة والخوارج والأشعرية فإنه لا يكون للزمخشري كلام اعتزالي إلا ويعقبه بكلام أهل العلم «وهو ابن المنير صاحب الإنصاف» في الرد على الزمخشري، ولا يترك مناسبة فيها رد على الخوارج أو غيرهم إلا حشد أقوال أهل السنة في الرد عليهم.

قال فيه أمير البيان شكيب أرسلان: «وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهما ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليه خناصرها، أن لا تقدم شيئا على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال القاسمي».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «هو علامة الشام، ونادرة الأيام، والمجدد لعلوم الإسلام، محي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن».

ومن بليغ كلام القاسمي رحمة الله تعالى عليه:

– الحق يصرع إذا عُمِدَ إلى إظهاره بالسباب والشتائم.

– أحكام الباطل مؤقتة لا ثبات لها في ذاتها، وإنما بقاؤها في نوم الحق عنها، وحكم الحق هو الثابت لذاته، فلا يغلب أنصاره ما داموا معتصمين به.

– التبذير في أشرف الأغراض قصد واعتدال.

–التقليد جذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك فيهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي، يوقع الإنسان في الخمول والكسل.

– الذكاء كالشرارة الكامنة في الزناد، لا تظهر إلا بالقدح، فإذا لم تحتك الأفكار بالعلوم مات ذلك النشاط والذكاء في مكامنه وانزوى في زوايا الصدور.

– المكسال شيخ في شبابه، لأن دقيقة البطالة أطول من ساعة العمل.

– عدم تقدم الكثيرين هو من عدم محاولتهم التقدم.

– إن كتاباً يطبع خير من ألف داعية وخطيب، لأن الكتاب يقرؤه الموافق والمخالف.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن البنا

الداعية الإمام والمجدد الشهيد

«أنور الجندي» عملاق من عمالقة الفكر الإسلامي –ولا نزكي على الله أحدا– أريد عن قصد تغريبي علماني خبيث أن تموت كتاباته وأفكاره، ويختفي اسمه من سجل الشرفاء الذين عاشوا لدينهم ومبادئهم وأمتهم، في خضم موجة من صناعة «الرموز الهشة الجوفاء» التي لا تبني سوى قاعدة شبابية وجماهيرية لا تملك سوى الصخب والضجيج واتباع كل ناعق، ولا تقدم لأمتها شيء إيجابي غير ثقافة الاستهلاك والتبعية للغرب وهوية متذبذبة.

ومن واجب هذا الجيل أن يتصدى لتلك المحاولات ويحيي إضاءات هذا المفكر العملاق وأمثاله، فرأيت أن أغوص في عالم مؤلفاته، وأقتبس من زبدة أفكاره في مقالات تحمل «اسم الكتاب» الذي أقتبس منه، وعملي المتواضع ما هو إلا قطوف دانية من كتب الأستاذ أقدمها لكل مخلص من أبناء هذه الأمة في عصر يفضل فيه الكثيرون المعلومات الخفيفة والروائع الموجزة.

يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله تعالى:

** والد الأستاذ حسن البنا هو أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بـ «الساعاتي»، وهو عالم جليل من علماء السنة المشرفة، وله مؤلفات:

–«بدائع المسند في جمع وترتيب مسند الشافعي»

–«الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام الشيباني»

–وشرحه «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني»

** إن الوطنية المجردة التي فتنت الكثيرين والتي كانت باهرة إذ ذاك لم تفتن هذا الشاب الذي لم يبلغ العشرين، ولكنه رآها قاصرة عاجزة عن تحقيق الهدف، فقد كانت الحركة الوطنية إذ ذاك تتحرك في إطار الفكرة الغربية، وتلتمس الوسائل إلى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الاستقلال والحرية وفق أسلوب الديمقراطية الغربية، وكان هذا أكبر نصر حققه الاحتلال والنفوذ الغربي، أن قضى على الرعيل الأول والمدرسة الإسلامية التي واجهت الاحتلال أو ولي الأمر، أولئك الأبرار الذين آمنوا بأن قضية الوطن العربي أو المصري إنما هي قضية إسلامية أساسا، وأنها لا تعالج إلا عن طريق إعلاء فكرة الوحدة الإسلامية والجامعة القرآنية.

** وعن حسن البنا العالم ينقل عنه: فحفظت وأنا في هذه المرحلة من التعليم خارج المناهج الدراسية كثيرا من المتون في العلوم المختلفة، فحفظت ملحة الإعراب للحريري، ثم الألفية لابن مالك، والبيقونية في المصطلح، والجوهرة في التوحيد، والرحبية في الميراث، وبعض متن السلم في المنطق، وكثيرا من متن القدوري في فقه أبي حنيفة، ومن متن الغاية والتقريب لأبي شجاع في فقه الشافعية، وبعض منظومة ابن عاشر في مذهب المالكية، ولست أنسى أبدا توجيه الوالد لي بالعبارة المأثورة «من حفظ المتون حاز الفنون» ولقد كان أثرها في نفسي عميقا إلى درجة أنني حاولت حفظ متن الشاطبية في القراءات مع جهلي التام بمصطلحاتها، وحفظت مقدمتها فعلا، ولازلت أحفظ بعضها إلى الآن.

** يقول البنا رحمه الله: اعتقدت أنه ليس هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية، وتهدي الناس إلى الطريق العملية الواضحة لهذه السعادة كتعاليم الإسلام الحنيف الفطرية الواضحة العلمية. ولهذا وقفت نفسي منذ نشأت على غاية واحدة هي: إرشاد الناس إلى الإسلام حقيقة وعملا، ولهذا كانت فكرة (الإخوان المسلمين) إسلامية بحتة في غايتها وفي وسائلها لا تتصل بغير الإسلام في شيء.

** من أقواله: من يقتل وقته يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة.

** لقد كان أسلوب الدعوة التي حمل لواءها الأستاذ البنا له مظهر خاص وطبيعة مختلفة فهو لم يبدأ من المسجد وإنما بدأ من المقهى! فقد كان الهدف أن يصل إلى من هم ما زالوا خارج المسجد، أولئك الذين تشغلهم الحياة ولهوها، ولذلك فهو آثر اقتحام المقاهي ساعة أن تكون غاصة بالناس، ولقد كان لهذا الأسلوب الجديد أثره البعيد، فقد استطاع أن يكسب نفوسا غافلة، وأن يفتح آذانا صما وقلوبا غلفا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** يقول البنا عن نصائح الشيخ محمد سعيد العرفي له: لا تتحرج من أن تضم إلى الدعوة المقصرين في الطاعات المقبلين على بعض المعاصي الخسيسة، ما دمت تعرف منهم خوف الله، واحترام النظام، وحسن الطاعة، فإن هؤلاء سيتوبون عن قريب، وإنما الدعوة مستشفى فيه الطبيب للدواء وفيه المريض للاستشفاء، فلا تغلق الباب في وجه هؤلاء، بل إن استطعت أن تجذبهم بكل الوسائل فافعل، فإن هذه هي مهمة الدعوة، ولكن احذر من صنفين حذرا شديدا ولا تلحقهما بصفوف الدعوة أبدا: الملحد الذي لا عقيدة له وإن تظاهر بالصلاح فإنه لا أمل في إصلاحه، وهو بعيد عنكم بأصل العقيدة فماذا ترجو منه. والصالح الذي لا يحترم النظام ولا يقدر معنى الطاعة، فإن هذا ينفع منفردا، وينتج في العمل وحده، ولكنه يفسد نفوس الجماعة، يغريها بصلاحه ويغرقها بخلافه!! فإن استطعت أن تستفيد منه وهو بعيد عن الصفوف فافعل، وإلا فسد الصف واضطرب، والناس إذا رأوا واحدا خارج الصف لا يقولون: خرج واحد، ولكن يقولون: صف أعوج، فاحترس من هذا كل الاحتراس.

** ويقول البنا عن الشيخ محمد سعيد العرفي، وكان يقول: العالم معلق بخيوط من الوهم، وإنما يكشف الإيمان وحده الحقائق أمام المؤمنين، ولهذا ينتصرون وإن ضعفت قوتهم، ويهزم غيرهم وإن استعد، ومن هنا كان الإيمان أقوى أسلحة العاملين في الحياة.

** أما الاستعمار فقد آزر كل القوى في سبيل تحطيم هذا الوليد الذي لم يكتمل، ذلك أن الاستعمار كان يعرف أن الانطلاق من مفهوم الإسلام هو أخطر ما يمكن أن يواجهه، أما الانطلاق من مفهوم الوطنية أو الحرية أو القومية فذلك كله من صناعته ومن تنظيمه، فهو الذي أعد الحركة الحزبية عام ١٩١٩على النحو الذي عرفت عليه، حين قضى على الحركة الوطنية الأولى التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وكانت خطرا عليه، لأنها تنطلق من مفهوم الإسلام، أما الحركة الحزبية (سعد زغلول، عدلي، ثروت، النحاس) فإنها عملة ضربت في نطاق الاحتواء الغربي الاستعماري، فلا خوف منها ولا خطر، فإذا عادت قوى الأمة لتسقى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بماء السماء فإن ذلك هو الأمر الذي لا يحسن السكوت عليه والذي لابد من القضاء عليه.

** من رسالة البنا إلى أحمد خشبة وزير الحقانية:

إن صدور الأمة محرجة أشد الحرج لشعورها بأنها تحكم بغير كتاب الله وقانونه وشريعته، وإن الشعوب التي تعودت الصبر حينا فإن الانفجار نتيجة طبيعية لهذا الصبر في كثير من الأحيان، وليس يجرح النفس شيء أكبر من الاصطدام بالعقيدة الراسخة الثابتة، وإن قوانيننا الحالية تنافي الإسلام وتصدمه وتحطمه في نفوس المؤمنين به، وهم كل هذا الشعب، وقد تفتحت أذهان الأمة وأدركت بعد ما بينها وبين دينها في هذه الناحية، فشعرت بالحرج الشديد إن بقيت الحال على ما هي عليه، فلا تلجؤوا الناس إلى عصيان القوانين واحتقار الشرائع، والتبرم بالقضاة والأحكام.

** ولا ريب أن هذه الرسائل [لكافة المسئولين] وثيقة تاريخية تكشف عن شخصية صاحبها، وكيف أوتي عقلا مرنا، وإيمانا عميقا، وقدرة على فهم أدواء المجتمعات، وكيف استوعب فهم الإسلام كنظام اجتماعي وسياسي وهو أصدق ما تتطلع إليه البيئات، وقد أجاب فيها عن كل التساؤلات، وعرض لكل الشبهات التي أثيرت حول مفهوم الإسلام الصحيح، دينا ودولة، ومصحفا وسيفا، ونظاما اجتماعيا وعبادة، في وجه محاولة ضخمة استمرت أكثر من سبعين عاما لقتل هذا المفهوم والقضاء عليه وانتزاع حق الإسلام من مختلف مجالات القانون والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية، فكان من شأن أن يعاود تصحيح هذا الفهم، وتحرير النفس الإنسانية منه أن يشق عليه الأمر. كذلك نرى قوة العارضة وصدق الإيمان وهما متلازمان في بيان الرجل.

وتكشف هذه الرسائل عن ذلك الاقتدار الحق في فهم الأخطار وعلاج الأمراض وكشف وجوه العمل الصحيحة لمعالجتها والقضاء عليها، وهي تشير من قريب أو بعيد إلى الإيمان الراسخ بالفكرة الإسلامية وصلاحيتها كعلاج أساسي لهذه الأمة، بعد أن جربت أيدلوجيات الغرب وأنظمته، ثم فشلت هذه الأنظمة في أن تحقق شيئا نافعا لهذه الأمة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** إن طبيعة الإسلام ليست طبيعة روحية بحتة، فهو دين روحي وعملي معا، وهو لم يحصر نفسه في حدود المساجد والمعابد، ولم يحفل بالطقوس والمظاهر، وإن الدين الذي قال لبنيه (ابنوا مساجدكم جما) أي غير مزينة ولا مزخرفة ولا مبالغ في بنائها ورفعها (وابنوا مدائنكم مشرفة) أي محصنة مسورة، مجهزة بأدوات الدفاع وما إليها، إن الدين الذي يجعل هذا من شعاره لعظيم العناية بشؤون الدنيا ومصالح الناس، كما يعني تماما بصلاح الروح والآخرة.

وشعار الإسلام: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص:٧٧]

** كانوا يقولون له: لِم لَم تؤلف الكتب؟ فكانت إجابته: «إنني أؤلف الرجال»

** وفي خطاب وجهه المرشد إلى: شريف صبري، مصطفى النحاس، على ماهر، عبد الفتاح يحيي، حسين سري، محمود فهمي النقراشي، محمد حسين هيكل، إبراهيم عبد الهادي، مكرم عبيد، أحمد لطفي السيد، علي الشمسي، حافظ عفيفي، محمد حافظ رمضان، بوصفهم رؤساء الأحزاب والكتل والقوى السياسية يقول:

«إننا معشر الإخوان المسلمين لن نقحم أنفسنا في مجموعكم، ولن نزاحمكم ميدانكم، ولن ننازعكم رئاستكم. وقد أبيتم علينا سواء أكنتم في الحكم أم خارجه أن نظهر بأي صورة على المسرح السياسي، أو ننفذ من أي طريق مهما كان صحيحا سليما قانونيا إلى ميدانه الرسمي، فرضينا صابرين، وعملنا كوطنيين مجاهدين، وسنقف في صف هذا الشعب –ونحن أعرف بمكاننا منه– نوجهه ونسدده، ونقوده ونرشده، ونرقف معه ما أنتم فاعلون، فإن اجتمعتم وأحسنتم وجاهدتم أيدناكم ونصرناكم وكنا لكم الفداء، وإن أبيتم إلا الفرقة والخلاف واتباع الأهواء، وآثرتم القعود وممالأة الغاصبين والأعداء، فسنمضي –وهذا الشعب معنا بإيمانه ويقينه ووطنيته ودينه وتنظيمه وتكوينه– إلى الغاية مجاهدين، وفي سبيل الله مستشهدين، وندعكم مع القاعدين من المخلفين، فإما إلى النصر، وإما إلى القبر، وكلاهما بركة وخير {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} [التوبة:٥٢]»

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** يقول البنا في رسالة للنحاس باشا زعيم الوفد: وأن أعذر إلى الله وإلى الناس، وأن أبرئ ذمتي من تبعة فتنة:

لم أكن من جناتها علم الله .. وإن بحرها اليوم صالي

فإن أنتج الأثر المطلوب فذاك، وإن كانت الأخرى فقد أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، وسنستعدي على الباغين سهام القدر، ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو اقسم على الله لأبره {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ (٤٢) [الشورى]

** ونشر الدكتور (إنريكو إنسابتو) في مجلة (إسكامبي إنتركونتنتل) في روما مقالا تحت عنوان: «بعث جديد للإسلام» قال فيه:

أدلت إلينا هذه الحرب الأخيرة بنهضة للإسلام، إنها يقظة عالم يموج بثلاثمائة مليون نفس، وإنها بعث جديد لمدنية رفيعة أصيلة عريقة، أما باعث هذه النهضة الإسلامية والنافخ فيها من روحه فحركة سياسية تستوحي من الإسلام غايتها ووسائلها، هي حديثة عهد بالوجود، ولكنها تنحدر من أصول تضرب في أعماق القدم، وهي حركة الإخوان المسلمين التي تؤيدها جموع حاشدة من المريدين والأتباع من مصر إلى الباكستان.

** وعن قضية فلسطين يقول البنا في المؤتمر العربي الكبير بالأزهر:

ليس لهذا العدوان الذي اجتمعنا اليوم من أجل التفكير في وسائل دفعه عن أرض العروبة والإسلام نظير في تاريخ البشرية كلها، فلم يحدث أن تآمرت طائفة من الناس على أرض أمة من الأمم فاحتلتها بالخديعة، ثم اقتطعت منها ما شاءت بالإرهاب، ثم سخرت أمم المادة والشهوات لتحكم لها بما أرادت، بشراء الذمم واحتكار الضمائر والمساومة على الأصوات، ثم زعمت أنها ستقيم دولة وتنشئ حكومة لتعيش بين هذه المجموعة الضخمة من الشعوب رغم أنفها

إن قرار التقسيم الظالم الذي يقر قيام دولة صهيونية في قلب بلاد العرب لا ينال فلسطين وحدها، ولكن يتعداها إلى كل وطن عربي آخر بجوارها، ثم إلى الأوطان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الإسلامية جميعا، فإن اليهود لا يخفون نواياهم، ولكنهم يجاهرون ويهتفون بأن ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل، بل إنهم ليحلمون بيثرب موطن بني قريظة وبني النضير سابقا، ومهوى قلوب المسلمين وأفئدتهم اليوم، ومستقر أكرم إنسان عرفته الإنسانية سيدنا محمد –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ولن يصلوا إلى شيء بإذن الله {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً} [الكهف:٥]

** يقول الأستاذ البنا: أقول وأنا شديد الأسف: إنكم الآن القوة الوحيدة الصامدة أمام الخطرين الداهمين اللذان يهددان العالم الإسلامي أولا ويهددان البشرية كلها بعد ذلك، وهما: خطر الإلحاد، وخطر الاستعباد، فإن هذه المادية الطاغية الجارفة التي استولت على تفكير وتصرفات الدول الكبرى، فجعلتها لا تزن الأمور إلا بميزان المنافع والمصالح الشخصية والاستعمارية، ولا تقيم وزنا لما عدا ذلك من المثل العليا وقواعد الخير والإنصاف والسمو، ودفعت بها بعد ذلك إلى الرغبة والتحايل، على أن تبقى قيود العبودية وأغلالها في أعناق وأيدي وأرجل الشعوب الناشئة التي لا ترضى أبدا بغير الحرية والتقدم

هذه المادية التي تقودها اليهودية العالمية وتمولها الدول الاستعمارية لا علاج لها إلا في دعوتكم، ولا قوة تصمد أمامها الآن مع الأسف إلا جماعتكم، ولذا أبشركم وأنذركم منذ الساعة ستتعرضون لأشد الامتحانات وأقسى الاختبارات.

أجدد البيعة على أن أظل –كما عرفتموني جميعا في أول يوم– عاملا مجاهدا مكافحا في سبيل دعوة الحق، لا ألين ولا أمل ولا أتغير، حتى يحق الله الحق، والله على ما أقول وكيل.

** في صبيحة يوم الاغتيال استيقظ الأستاذ البنا على رؤيا رآها واستبشر بها خيرا، فقد رأى في منامه سيدنا علي رضي الله عنه يخاطبه

«يا حسن لقد انتهت مهمتك، وأديت رسالتك، وقبلك الله وقبل منك» وقد أسر فضيلته بهذه الرؤيا أحد أفراد أسرته، وقال: إن رؤيا علي في المنام معناها الاستشهاد.

** في اثنتي عشرة ساعة قتل الشيخ البنا، وشرح، وغسل، وانطوت صفحة حياته، عادت النساء اللاتي حملن النعش على أكتافهن، وعاد الوالد الواله الحزين،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقبل أن يغشى مدافن حي الإمام الشافعي كانت ثلة من الجنود تحاصر الطرق المؤدية إلى المقبرة، وقوات كبيرة تحيط بمنزل الفقيد لتمنع الداخلين ولو كانوا من مرتلي آي الذكر الحكيم، وتقبض على الخارجين، ولو كانوا من جيران الراحل الكريم.

ولقد قبض أحد رجال البوليس في ذلك اليوم على رجل من أصدقاء الفقيد متلبسا بجريمة إحراز مصحف كان يخفيه في طيات ثيابه، فأسلموه إلى من بيدهم أوامر الاعتقال.

** يقول الأستاذ عبد الرحمن البنا في رثاء أخيه حسن البنا: أنت تاريخ التحول في حياة مصر الماجنة إلى مصر المؤمنة، يوم قيامك بدعوتك يوم إشراقها ونهضتها، ويوم غدر الغادرون بدء ظلامها ونكبتها.

** يقول الأستاذ سعيد رمضان: كان حسن البنا نسمة حلوة جادت بها رحمة الله على الإنسانية الظامئة، ثم مرت عابرة بعد أن ذكرتنا بأيام الأنس الأولى: أيام الأنبياء والمرسلين وأحباب الله في أرضه، وحببت إلينا الجنة والخير، والمثل العليا والسمو، وكل ما بينه وبين الله نسب من القبول والرضا، لأن حسن البنا كان نسبة خالصة ليس فيها لغير الله نصيب، كان روحا نعب منه ولا يغيض، وبحرا صافيا تذوب فيه كل أوساخنا، ويظل هو طهورا مرسلا لا يضيق ولا يعتكر

** كانت استجابة التحدي ليست في الكلمة ترد على الكلمة، وإنما في (بناء الرجال) أو (تأليف الرجال) بدلا من تأليف الكتب.

وكان هذا هو أخطر ما واجه الاستعمار والتغريب والغزو الثقافي (قيام الجماعة المؤمنة) الفاهمة التي لا تخدعها الأضاليل البراقة ولا الألوان الزاهية ولا التفاهات أو الصغائر، أو الأهواء المضحوك بها على الأمم والشعوب حتى يموت حقها ويضيع عنها الطريق.

هذا هو الخطر، فقد كان الاستعمار حريصا على خلق ذلك الطابع من التفاهة والسذاجة والبساطة لدى الأمم حتى تظل تخدعها الأهواء الباطلة والكلمات المعسولة، حتى لا ترى إلا ما تحت أقدامها، فلا تعرف لها رسالة كبرى أو غاية عليا، وتمتصها تلك الأهواء والروايات والمسرحيات والأغاني الخليعة والضحك السخيف،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وترى كل ذلك شيئا مسليا ومالئا للوقت ومعزيا عن نقص الحياة، وهو في الحقيقة مخدر قاتل، ومتعة زائفة خادعة لا يلبث صاحبه أن يستفيق منه فلا يجد إلا سرابا، ثم يجد واقعة المر، فيعود مرة أخرى ليغرق نفسه فيه!!.

وهذا كله هو الخطر المحرم الذي صنعه حسن البنا في الجيل الذي بناه

** لقد صنع حسن البنا جيلا من الناس على مثال نفسه الكبير، وعلمه الغزير، وإرادته الصارمة، وأسلوبه في التفكير إذا فكر وفي التعبير إذا عبر، بل في طريقة تلاوته للقرآن إذا تلا قاعدا يتأمل أو قائما يصلي.

** كانت همته فوق قدرته، وقدرته فوق التعب والزمن، يتسامى فوق الطاقة البشرية، وأعماله الضخمة الموفقة أشبه بكرامات الأولياء منها بجهود العباقرة، عزيمة تتضاءل دونها العزائم، وهمة لا تبلغها العصبة أولي القوة، إلا بروح من الله ورضوان، كان يعمل للدعوة الإسلامية كأنه المكلف بها وحده.

** كل ما أستطيع أن أقوله هنا أن الرجل أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه، وهي المغريات الثلاثة التي سلطها المستعمر على المجاهدين، وقد فشلت كل المحاولات التي بذلت في سبيل إغرائه.

** كان مذهبه السياسي أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها، وبعد أن قيل أن السياسة والأخلاق لا يجتمعان.

وكأنما أراد أن ينشئ للشرق روحا جديدة من المثل العليا، هذه المادة الضائعة التي هزم بها الشرق الدنيا وفتح بها أطراف الأرض.

كان يريد أن ينشئ القوة التي تصمد في وجه الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم وهما: الإلحاد والاستعباد.

** وإنني على ثقة من أن حسن البنا رجل لا ضريب له في العصر، وأنه قد مر في تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذي لا يتكرر.

** لقد كان يحب فكرته حبا يفوق الوصف، ولم يكن في صدره شيء يزحم هذه الدعوة، كان يعشق فكرته كأنما هي حسناء لا يجهده السهر ولا يتعبه السفر، وقد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أوتي ذلك العقل العجيب الذي يصرف الأمور في يسر ويقضي في المشاكل بسرعة ويفضها في بساطة ويذهب عنها التعقيد.

** فلما أفضيت إليه بخواطري في الخوف من أن يجتمع الناس جميعا على دعوة واحدة، لاسيما أن هناك من المواهب الإسلامية ما يحول دون ذلك، قال لي: إن هذه الخلافات لا تحول دون ارتباط المسلمين، وإنها إحدى عوامل السعة ومقدرة الإسلام على مجاراة العصور والأزمنة والأقطار.

ونحن نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لابد منه، وضرورة لابد منها، وقد قال الإمام مالك للخليفة أبي جعفر المنصور حين طلب إليه أن يوطئ للناس كتابا يجمعهم عليه، قال: «إن أصحاب رسول الله قد تفرقوا في الأمصار، وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة».

فضلا عن أن التطبيق يختلف باختلاف البيئات، وقد أفتى الإمام الشافعي في مصر بغير ما أفتى به في العراق، وقد أخذ في كليهما بما استبان له، ولذلك فإن الإجماع في الفروع مطلب مستحيل، وهو يتنافى مع طبيعة الإسلام، ونحن نلتمس العذر لمن يخالفوننا في الفروع، ونرى أن هذا الاختلاف ليس حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب.

** من أقواله الخالدة: إننا قد عرفنا الطريق إلى أوطاننا الإسلامية: إنها هي الجهاد والموت والفداء. إنها هي الطريق الوحيد الذي سلكه المؤمنون في كل زمان ومكان.

** يقول البنا رحمه الله: والخصومة بيننا وبين القوم ليست خصومة شخصية أبدا. ولن تكون، ولكنها خصومة فكرة ونظام: هم يريدون لهذه الأمة نظاما اجتماعيا ممسوخا من تقليد الغرب في الحكم والسياسة والقضاء والتعليم والاقتصاد والثقافة، ونحن نريد لها وضعا ربانيا سليما من تعاليم الإسلام وهديه وإرشاده.

** يقول البنا رحمه الله: أيها الجالسون على كراسي الحكم: أما آن لكم أن تفقهوا بعد أن من استعز بغير الله ذل، وأن الناس من خوف الذل في ذل، ومن خوف الفقر في فقر، وأن من حرص على الموت وهب الله له الحياة، فإذا أردتم القوة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الصحيحة فالتمسوها في طاعة الله وأداء فرائضه ومناصرة أحكامه، وتأييد المجاهدين في سبيل حماية أرض الإسلام ومقدسات الإسلام، ولا تتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة. اصدقوا الله ساعة من نهار، وجربوا هذا الطريق، وثقوا أنكم الرابحون {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر:٣٦]

** يقول البنا عن نفسه: أنا ورقة بيضاء ناصعة البياض، أنا من ضوء محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وعلى ضوء محمد أسير، وهذا سر ما يدركني من نجاح، فهو من توفيق الله وحده، لست عبقريا كما تصورنني، ولست فذا مفردا في علم أو خبرة، فهذا البناء الضخم يساهم في بنائه كثيرون مجهولون لعلهم عند الله أكثر ثوابا مني، فأنا قد أخذت في الدنيا حظا من شهرة ومعرفة حرم منها هؤلاء.

** وعن (صناعة الموت) يقول رحمه الله: الموت صناعة من الصناعات، من الناس من يحسنها فيعرف كيف يموت الموتة الكريمة، وكيف يختار لموتته الميدان الشريف والموقف المناسب، فيبيع القطرة من دمه بأغلى أثمانها، ويربح بها ربحا أعظم من كل ما يتصور الناس، فيربح سعادة الحياة وثواب الآخرة، ولم ينقص من عمرة ذرة، ولم يفقد من حياته يوما واحدا، ولم يستعجل بذلك أجلا قد حدده الله.

** يقول البنا: إن فلسطين هي خط الدفاع الأول، والضربة الأولى نصف المعركة، فالمجاهدون إنما يدافعون عن مستقبل بلادكم وأنفسكم وذراريكم، كما يدافعون عن أنفسهم وبلادهم وذراريهم، وليست قضية فلسطين قضية قطر شرقي ولا قضية الأمة العربية وحدها، ولكنها قضية الإسلام وأهل الإسلام جميعا، ولا محل للتدليل على حقوق العرب فيها.

** يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور، وحكمة مبرة في كتاب مسطور... حسن (البنا) .. إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه. ولكن من يقول: إنها مصادفة، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسان البناء. بل عبقرية البناء.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عز الدين القسام

شيخ المجاهدين

(١٨٨٢-١٩٣٥م)

عرفته أودية فلسطين وسهولها وجبالها وسفوحها قائداً جليلاً وفارساً مغواراً لا يعرف الانحناء للمحتل ولا يصافح الأيدي الآثمة التي تلطخت بدماء الشهداء، فقد كان فارس البندقية المقاتلة، حارب أعداء الإسلام دون يأس أو قنوط.

وإذا كان الشيخ الجليل عز الدين القسام قد استشهد في معركة خاضتها مجموعته مع قوات الانتداب البريطاني في أحراش قرية (يعبد) القريبة من جنين بعد قدومه من بلدته في الساحل السوري إلى فلسطين بسنوات قلائل، إلا أنه تحول منذ ذلك الحين إلى رمز فلسطيني يعبر عن البعد الإسلامي للقضية الفلسطينية.

هو العالم العامل، والوطني المثالي، والمجاهد الصابر الصادق الشهيد المرحوم الشيخ محمد عز الدين بن عبد القادر القسَّام، ولد عام١٨٨٢م في بلدة جبلة من قضاء اللاذقية في سوريا، ونشأ في أسرة مسلمة كريمة، على هدى الدين والصلاح والفضائل، حيث كان والده يعمل معلمًا للقرآن الكريم في كتَّاب كان يملكه، وقد تلقى الشيخ دراسته الابتدائية في كتاتيب البلدة.

ثم أوفده والده –وهو في الرابعة عشر من عمرة– إلى مصر ليلتحق بالأزهر الشريف، فدرس على فطاحل العلماء والمصلحين فيه، أمثال العالم محمد أحمد الطوخي، وقد تجلت مواهبه في مصر فكان من المبرزين في العلوم.

وبعد انتهاء دراسته بالأزهر رجع إلى بلدته، وعين مدرساً بالجامع الكبير «جامع المنصوري» فغرس في تلاميذه معاني العزة والكرامة، وبث فيهم روح الجهاد في سبيل الله، ومرشداً إياهم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفور قيام الإيطاليين باحتلال ليبيا عام ١٩١١، نجح المجاهد عز الدين القسام الذي تخرج لتوه من الأزهر في القاهرة في جمع التبرعات والمتطوعين في سوريا من أجل مساندة ثورة عمر المختار، حيث أعرب الكثير من السوريين عن استعدادهم للجهاد، وكونوا سرية من ٢٥٠متطوعاً، بل وخرجوا في مظاهرات رددوا خلالها «يا رحيم يا رحمان غرق أسطول الطليان» لكن السلطات التركية آنذاك لم تأذن لهم بالسفر إلى ليبيا، فعادوا بعد أربعين يوماً من الانتظار، وبنوا مدرسة بمال المتبرعين لتعليم الأمّيين.

وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها، حتى وضعت فلسطين والعراق تحت الانتداب الإنجليزي، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وأعطى وزير خارجية بريطانيا بلفور وعده المشئوم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في ٢نوفمبر١٩١٧م.

في هذه الأثناء انضم الشيخ القسام إلى عمر البيطار ورفاقه لمقاومة الاحتلال الفرنسي «ثورة جبل صهيون (١٩١٩-١٩٢٠م)»، واستطاعت فرنسا التغلب عليهم لقلة ذخيرتهم وأسلحتهم، ولضعف تنظيمهم، فصدر عليه حكما غيابيا بالإعدام، وفاوضوه على إلغاء ذلك الحكم وتحقيق ما يتمناه من منصب فرفض، ولما اشتدت عليه الملاحقة والطلب رحل إلى فلسطين في ضاحية الياجور بالقرب من حيفا، والتي كانت قاعدة من قواعد التهويد في ذلك الحين عام١٩٢٢م، وهناك عمل مدرساً بالمدرسة الإسلامية، ثم انضم إلى جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٦م، وانتخب رئيساً لها عام ١٩٢٨م وأصبح مدرساً وخطيباً في جامع الاستقلال عام ١٩٢٩م، وفي نفس السنة عين مأذوناً شرعياً، وقام بتأسيس مدرسة ليلية لمحو الأمية.

وقد مكنته كل هذه الأعمال من الاتصال بكافة طبقات الأمة، فبدأ بتأليف القلوب، ونشر المحبة، وإزالة الخصومات ونبذ الأحقاد، وتعميق الوازع الديني في النفوس، والتوعية بمؤامرات الحكومة البريطانية على فلسطين، والتوعية بمخاطر هجرة وبيع الأراضي لليهود، وعمل على تكوين قاعدة إيمانية صلبة من المجاهدين ضد أعداء الأمة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كما بدأ بتصحيح العقيدة، ومحاربة «القاديانيّة» التي حرّمت الجهاد ضد الانجليز، وكفّر «البهائيّة» الموالين للاحتلال، والذين جعلوا من مقام الباب في جبل الكرمل حجّهم.

وكان يتصف بقوة الإيمان، وحسن السيرة والمعاشرة. كما كان لبقاً وخطيباً بارعاً، وعاقلاً يدرك ماذا يصنع ويفهمه كل الفهم، غير متسرع ولا مندفع، وكان يلوم بعض المشايخ وطلبة العلم على أمور منها:

- محاولاتهم وسعيهم الحثيث إلى تفريغ الدين وجعله هياكل نظرية مفرغة.
- إقصاء الدين عن الساحة الحياتية، واقتصارهم على المواعظ النظرية فقط.
- إغراق بعضهم في التنعم بعيشهم بينما غالبية الشعب تعاني من الفقر والحاجة.
- عدم دعوتهم إلى الجهاد وطرد الإنجليز والصهاينة.
- إنفاق الأموال في تزيين المساجد وزخرفتها بدلاً من الإعداد للجهاد.

تميزت دعوة القسَّام في تلك الفترة بوضوح الرؤية، حيث كان يعتبر الاحتلال البريطاني هو العدو الأول لفلسطين، ودعا في الوقت نفسه إلى محاربة النفوذ الصهيوني الذي كان يتزايد بصورة كبيرة، وظل يدعو الأهالي إلى الاتحاد ونبذ الفرقة والشقاق حتى تقوى شوكتهم، وكان يردد دائماً أن الثورة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة لإنهاء الانتداب البريطاني والحيلولة دون قيام دولة صهيونية في فلسطين، وكان أسلوب الثورة المسلحة أمراً غير مألوف للحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك، حيث كان نشاطها يتركز في الغالب على المظاهرات والمؤتمرات، لكن الناس التفوا حوله وساعدوه، وفي عام ١٩٢٥م أسس (المنظمة الجهادية)، وبدأت عملها في سرية بالتحريض على الجهاد، والتدريب عليه، وقسمت هذه المنظمة إلى خمس مجموعات هي: المجموعة الفدائية أو وحدة التدريب العسكري، ومجموعة التهيئة والأعداد، ومجموعة التمويل، ومجموعة الوعظ والدعاية، والمجموعة السياسية.

ورغم ريادته في تشكيل منظمة مسلحة تخوض غمار المواجهة ضد المحتل، إلا أن المؤرخين الذين أرخوا لمنظمته أجمعوا على أنه نجح في تجاوز أخطاء البدايات، فأثنوا على دقة تنظيمه، وقدرته الفائقة على الاختيار والكتمان والتروي الشديد، فلم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يكن القسام في عجلة من أمر إعلان الثورة المسلحة، حيث كان مؤمناً بضرورة استكمال الإعداد والتهيئة، لذا فإنه رفض أن يبدأ تنظيمه في الثورة العلنية بعد حادثة البراق ١٩٢٩م لاقتناعه بأن الوقت لم يحن بعد.

لقد آمن القسام أن الاكتفاء بالإضرابات والتظاهرات الاحتجاجية لا يخلف إلا الضوضاء والشهداء والمعتقلين، فيما العربة الصهيونية تمضي بهدوء وصمت، تحت حراسة حراب المحتل ورعايته، فانطلق يعمل على إعداد الجماهير نفسياً للثورة المسلحة، وساعده في ذلك عدد من المجاهدين العرب أمثال الشيخ كامل القصاب (سوري) وهاني أبو مصلح (لبناني) فكانت أنشطته العلنية في الوعظ والتدريس ستاراً لعمله الأساسي في بناء الثورة المسلحة، واختيار الصالحين لها من بين تلاميذه ومستمعيه، وأعانه عمله مأذوناً شرعياً على ارتياد القرى المجاورة، والتعرف على أهلها وعقد صلات معهم.

واتسعت دائرة نشاطه السري حتى وصلت أخبارها لحاكم لواء حيفا الإنجليزي، فأرسل إليه، وقال له: «يا شيخ إنك متحرك وذو نشاط مناوئ لنا»، فرد عليه الشيخ قائلاً بعد أن أخرج المصحف من جيب جبته: «هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه».

وهكذا مرت السنوات وتكاثر أتباعه والمؤمنين بدعوته، وقد كان يختار هؤلاء بعد اختبار يمتد سنوات، وشرط الانضمام أن يشتري المجاهد سلاحه الأول من ماله الخاص ليكون بذل المال تدريباً عملياً على الاستعداد لبذل الروح في سبيل الله.

ولم يسم القسام منظمته، إذ لم ينشغل بالعناوين، أما الهدف فتلخصه كلمات الشيخ الموجزة لتلاميذه أنصاره :«هذا جهاد نصر أو استشهاد» فالدرب درب بذل ومغارم دنيوية، لا مواقع فيه للمغانم الزائلة.

وفي عام ١٩٣٥م رفع الشيخ راية الجهاد –وكان عمره قد تجاوز الستين –وترك حيفا إلى جبال جنين القريبة منها. كانت خطته أن يتوزع رجاله على قرى المناطق الجبلية حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المجاهدين، فإذا اكتمل العدد الذي يريده

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هاجم مدينة حيفا واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام حكومته، ويقوم أعوانه في المدن الأخرى بمثل ذلك.

وبعد يومين فقط، وقبل أن يتم له ذلك، قتل أحد أعوانه فرداً يهوديا من دورية شرطة بريطانية، فهاجمت قوات كبيرة جميع القرى المجاورة، فاشتبك معهم أعوان القسام، وقتل اثنان من أفراد الشرطة، فأدركوا أن الجهاد الحاسم على وشك الاستنفار، فأرسلت سلطات الاحتلال البريطانية نجدات إلى تلك المناطق تساندها طائرات استكشافية، فحاصروا الشيخ ومعه مجموعة من أعوانه، ودارت معركة أبلى فيها وأتباعه بلاءً حسنًا، وكان في مقابل كل مجاهد أربعين جندياً، إلا أنههم قتلوا معه الشيخان محمد الحنفي ويوسف الزيباوي، وجرح ثلاثة، وتمكن الباقون من الإفلات، وصلى عليه وعلى رفاقه جمع غفير، وصلى عليه الناس صلاة الغائب في كل مكان. وحمل الراية من بعده إخوانه وتلاميذه ومنهم الشيخ فرحان السعدي، ومحمد صالح الحمد (أبو خالد)، وعطية أحمد عوض، ويوسف سعيد أبودرة، وعبد الله الأصبح، وحسين العليّ الزبيدي.

حين ترجل الشيخ عز الدين القسام عن أكف مشيعيه وأعناقهم، ووسد لحده ألقى خطبته الأخيرة، فدوت كلماته الصامتة في سمع الزمان ولازالت، فالرجل الذي تنقل بين مصر وسوريا وفلسطين خطيباً مفوهاً وعالماً شرعياً ينشر الهدى والتعاليم السمحة، غدا مفجر أول ثورة فلسطينية مسلحة ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية.

وفي اليوم التالي للجنازة كتب الأستاذ والمؤرخ الفلسطيني «أكرم زعيتر» يقول: «لقد سمعتك قبل اليوم خطيباً مفوهاً، تتكئ على السيف وتهدر من فوق المنبر، وسمعتك اليوم خطيباً تتكئ على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك اليوم أخطب منك حياً».

لقد كان الشيخ القسام صاحب شخصية فريدة من نوعها .. صنعه الإسلام فأحسن صنعه .. يذكر سلوكه وشخصيته، بسلوك السلف الصالح في دينه وورعه وتقواه وجهاده، وقول الحق مهما ترتب على هذا القول من تضحية، فهو رحمه الله لا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يخاف في الله لومة لائم .. وإن سيرته لتدلل على تلك الروح التي أشربت بالجهاد والإباء في كل لحظة من لحظات حياته .. لقد أغري بالمال والسلطان فأبي... رفع سلاحه لرفع كلمة الله... وبقى رافعًا سلاحه ضد الصليبية واليهودية في كل من سورية وفلسطين حتى آخر لحظة من حياته...لا يقبل أن يكون المسلم ذليلاً أبدًا .. مهما كبرت قوة الطواغيت وأعداء الإسلام...ولم يساومهم ليشتري حياته بثمن بخس... وما أعظمها من كلمة قالها الشيخ القسام وهو محاصر في غابة «يعبد» قبيل استشهاده، وقد وجهه إليه النداء أن استسلم ونعدك بأن تصبح نائبًا لمفتي فلسطين ونعطيك الأمان لك ولجماعتك...فرد عليه القسام بكلمة واحدة: «خسئت»، وقال لرفاقه: «لو أردت المساومة لما غادرت سورية».

يقول د. محمد مورو: «لقد تعلم الجميع –ولكن بعد وقت طويل ضائع– أن عز الدين القسام قد وصل إلى لب المنهج الصحيح للمواجهة، فالذين تحركوا تحت شعارات مختلفة من وطنية وقومية وماركسية وغيرها قد فشلوا جميعاً في تحريك الجماهير، ووصلوا بالقضية إلى أسوأ حالاتها، أو سقطوا جميعاً إلا من رحم ربك في مستنقع التفاوض الآسن، ومنذ اللحظة الأولى وضع عز الدين القسام يده على الطريق الصحيح لتحريك الجماهير «الأيدلوجية الإسلامية» وهي الوحيدة القادرة على المواجهة والحشد، لأنها عقيدة الجماهير، وبسبب طبيعة التحدي باعتباره صراعاً حضارياً بين الإسلام والغرب المتحالف مع اليهود، صراعاً يمتد في الزمان والمكان في الجغرافيا والتاريخ، ولقد وعى الشيخ عز الدين القسام ذلك الارتباط بين اليهود الصهاينة باعتبارهم طليعة استعمارية عنصرية تستهدف أمة الإسلام وليس فلسطين وحدها، وبين الاستعمار الإنجليزي الوجه الآخر للتآمر الصليبي، وبالتالي فهم أنه لا طريق لمواجهة هذا التحدي الحضاري إلا بالإسلام وبالكفاح المسلح، لأنه ليست هناك أرضية للالتقاء وبالتالي فلا مجال للمفاوضات والحلول الوسط، ووصل الرجل إلى الأسلوب الصحيح للمواجهة، أما هؤلاء الذين فقدوا خيار الإسلام أو خيار البندقية فمازلت سقطاتهم تتوالى، ومازالت الكوارث على فلسطين وعلى الأمة تتوالى بسببهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كان عز الدين القسام يدرك أيضاً أن الجماهير الكادحة هي القادرة على الجهاد والمواجهة، فتوجه الرجل بخطابه إليهم، وعاش بينهم، وشكل تنظيمه المسلح منهم، أما الأسر الإقطاعية فقد كان يدرك عدم جدواها، وعدم قدرتها على الكفاح المسلح، وهكذا طرح عز الدين القسام الشعار الخطير وهو «المسلمون الكادحون على طريق الكفاح المسلح».

ولم يغفل الشيخ عز الدين القسام الجوانب الأخرى في حركته، فمارس النضال السياسي كجناح آخر من أجنحة الحركة، ومارس التعليم، ومحو الأمية، وألف لجاناً للدعوة والدعاية، وبحلول عام (١٩٣٥م) كان عز الدين القسام قد نجح في تشكيل خمس لجان داخل تنظيمه هي «الدعوة والدعاية – التدريب العسكري – التموين – الاستخبارات – العلاقات الخارجية».

هل كان عز الدين القسام يحلم بالانتصار ووقف الهجمة ودحرها؟! بالطبع لا، ولكنه كان يدرك أن ظروف الأمة وظروف الهجمة لا تسمح إلا بحفر رافد للمنهج الصحيح من خلال الدم، رافد للوعي والثورة، رافد للإسلام والجهاد، يمكنه أن يكون أساساً للبناء حتى لا تتوه معالم الطريق الصحيح، فتضيع القضية برمتها.

صحيح أن الشيخ عز الدين القسام طلب من مفتي فلسطين في ذلك الوقت أن يعلن الثورة المسلحة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها فيه الشيخ عز الدين القسام في الشمال، ولكن المفتي رفض، ومع ذلك أي برغم الرفض الذي يعني بداهة أن إعلان الثورة في الشمال سيفشل حتماً؛ استمر الشيخ عز الدين القسام، وأعلن الثورة في الشمال رغم إدراكه بفشلها الحتمى، ولكنه أراد أن يخط ويحفر بدمه رافداً عميقاً للتوجه الصحيح، ونبعاً أصيلاً ونبراساً للمستقبل، واستشهد الرجل مع رفاقه الذين قتلوا أو أسروا، ولكنه كان بالفعل قد وضع الطريق الصحيح، وقطع الطريق الخطأ الذي يمكن أن يضيع القضية برمتها وإلى الأبد.

كان عز الدين القسام يدرك حقيقة تفاؤل المستقبل رغم يأس المرحلة، وكان يعرف أن الاستشهاد هو مفجر الوعي، وأن الحسابات لا ترتبط باللحظة الآنية بل تنظر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بعين المستقبل، كان عز الدين القسام قد انتصر في الحقيقة حين استشهد، ونجح حين توقفت انتفاضته سنة (١٩٣٥م)».اهـ

إن الأملَ يحدونا ونحن على علمٍ أن الليلَ يعقبُه النهار، وأنه عند اشتدادِ الظلمةِ يقتربُ الفجر، وأن أشدَّ الساعاتِ حِلكةً هي التي يعقبُها الضياءُ والعاقبة للمتقين.

والأمةُ إن ضُيِّق عليها في دينها وأُهينت مقدساتُها؛ فهي تغلي وتقذفُ بغضبِها وتصبه على أعدائِها انتقاماً للدين الذي ارتضاه لها ربُها.

وإن فرط من فرط، وتخاذلَ من تخاذل، وضعف من ضعف، وتولى من تولى.. فهناك من لا يفرطُ ولا يتنازلُ ولا يتخاذل ولا يضعف ولا يتولى، بل يُقدمُ ويتمسكُ ويقوى كلُما ازداد العدو كيداً وحرباً، والنصوصُ الصحيحةُ الصادقةُ تعدنا بذلك، والتاريخُ يشهد، والأيامُ دول، قال تعالى: { وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } [آل عمران: ١٤٠] ولنا ألفُ عودةٍ وعودة، قال –صلى الله عليه وسلم–: «لا تزالُ طائفةٍ من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ». [أخرجه البخاري ومسلم]

إن الأعداء يذكون ناراً تستعر.. وستحرقهم عما قريب.. يوقدونها بالدماء وانتهاك الحرمات والمقدسات والتشريد والهدم والمصادرةِ والاستهتارِ بالقيم والمشاعر.. والمراوغةِ والحصار، كلُّ هذا لن يمر سديً ولن يُتركوا عبثاً؛ فلهم موعدٌ ويومٌ أسود، بسواد قلوبهِم وأيديهم وصفحاتهِم عبر التاريخ.

إن البشائرَ بالانتصار عليهم كثيرةٌ جداً؛ بل هي مستقرةٌ في نفوسِ بعضهِم أكثرَ من نفوس بعضِ أبناءِ المسلمين مع الأسف؛ فمتى يستيقظ أبناء الأمة؟ [الشيخ عز الدين القسام/محمد بن عبد الله الهبدان]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

علي الطنطاوي

(١٣٢٧هـ/١٩٠٩م-١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)

هو علي بن مصطفى الطنطاوي، ولد في مدينة دمشق في ١٢ حزيران (١٩٠٩م)، لأسرة ذات علم ودين. أصله من مدينة (طنطا) في مصر حيث انتقل جده محمد بن مصطفى في أوائل القرن التاسع عشر إلى دمشق، وكان عالماً أزهرياً حمل علمه إلى ديار الشام فجدد فيها العناية بالعلوم العقلية ولاسيما الفلك والرياضيات. وقد نزح معه ابن أخيه أحمد بن علي جدّ علي الطنطاوي، وكان هذا إمام طابور متقاعد في الجيش العثماني.

أما أبوه الشيخ مصطفى فكان من العلماء المعدودين في الشام، انتهت إليه أمانة الفتوى في دمشق. وكان مديراً للمدرسة التجارية في دمشق، ثم ولي منصب رئيس ديوان محكمة النقض عام (١٩١٨م) إلى أن توفي عام (١٩٢٥م).

وأسرة أمه أيضاً من الأسر العلمية في الشام، كثير من أفرادها من العلماء المعدودين، ولهم تراجم في كتب الرجال.. خاله (محب الدين الخطيب) الكاتب الإسلامي الكبير الذي استوطن مصر وأنشأ فيها صحيفتي «الفتح» و «الزهراء» وكان له أثر في الدعوة فيها في مطلع القرن العشرين.

تلقى علي الطنطاوي دراسته الابتدائية الأولى في العهد العثماني، فكان طالباً في المدرسة التجارية، ثم في المدرسة السلطانية الثانية وبعدها في المدرسة الجقمقية، ثم في مدرسة حكومية أخرى إلى سنة (١٩٢٣م) حيث دخل «مكتب عنبر» الذي كان الثانوية الوحيدة في دمشق، ومنه نال البكالوريا سنة (١٩٢٨م). ثم ذهب إلى مصر ودخل دار العلوم العليا، ولكنه لم يتم السنة وعاد إلى دمشق في السن التالية فدرس الحقوق في جامعتها حتى نال الليسانس سنة (١٩٣٣م).

كان علي الطنطاوي من الذين جمعوا في الدراسة بين طريقي التلقي على المشايخ، والدراسة في المدارس النظامية، فقد تعلم في هذه المدارس إلى أن تخرج

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من الجامعة. وكان يقرأ معها على المشايخ علوم العربية والعلوم الدينية على الأسلوب القديم.

عندما عاد الطنطاوي إلى الشام دعا إلى تأليف لجان للطلبة على غرار تلك التي رآها في مصر فألفت لجنة للطلبة سميت «اللجنة العليا لطلاب سورية» وانتخب رئيساً لها، وقادها نحواً من ثلاث سنين. وكانت هذه اللجنة بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقود النضال ضد الاستعمار الفرنسي لسوريا.

جهوده العلمية والدعوية

ابتدأ الطنطاوي التدريس في المدارس الأهلية في دمشق وهو في الثامنة عشرة من عمره، وقد طبعت محاضراته التي ألقاها على طلبة الكلية الوطنية في دروس الأدب العربي عن (بشار بن برد) في كتاب عام (١٩٣٠م).

بعد ذلك عين معلماً ابتدائياً في مدارس الحكومة سنة (١٩٣١م) حين أغلقت السلطات جريدة «الأيام» التي كان يعمل مديراً لتحريرها، وبقي في التعليم الابتدائي إلى سنة (١٩٣٥م). وكانت حياته في تلك الفترة سلسلة من المشكلات بسبب مواقفه الوطنية وجرأته في مقاومة الفرنسيين وأعوانهم في الحكومة.

عام (١٩٣٦م) انتقل الطنطاوي للتدريس في العراق، فعين مدرساً في الثانوية المركزية في بغداد، ثم في ثانويتها الغربية ودار العلوم الشرعية في الأعظمية، ولكن روحه الوثابة وجرأته في الحق فعلا به في العراق ما فعلا به في الشام، فما لبث أن نقل مرة بعد مرة، فعمل في كركوك في أقصى الشمال، وفي البصرة في أقصى الجنوب. وبقي يدرس في العراق حتى عام (١٩٣٩م)، لم ينقطع عنه غير سنة واحدة أمضاها في بيروت مدرساً في الكلية الشرعية فيها حتى عام (١٩٣٧م).

ثم رجع إلى دمشق فعين أستاذاً معاوناً في مكتب عنبر، ولكنه لم يكف عن مواقفه التي سببت له المتاعب، فنقل إلى مدرسة دير الزور سنة (١٩٤٠م) ولبث فيها فصلاً دراسياً أبعد بعدها قسرياً بسبب خطبة حماسية ألقاها في صلاة الجمعة ضد المستعمر الفرنسي.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عام (١٩٤١م) دخل الطنطاوي سلك القضاء، فعين قاضياً في «النبك» مدة أحد عشر شهراً ثم قاضياً في «دوما» من قرى دمشق، ثم قاضياً ممتازاً في دمشق مدة عشر سنوات، فمستشاراً لمحكمة النقض في الشام، ثم مستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر.

وقد اقترح الطنطاوي –يوم كان قاضياً في دوما– وضع قانون كامل للأحوال الشخصية فكلف بذلك عام (١٩٤٧م)، وأوفد إلى مصر مع عضو محكمة الاستئناف الأستاذ (نهاد القاسم) –الذي صار وزيراً للعدل أيام الوحدة– فأمضيا تلك السنة كلها هناك حيث كلف هو بدراسة مشروعات القوانين الجديدة للمواريث والوصية وسواها. وقد أعد مشروع قانون الأحوال الشخصية كله وصار هذا المشروع أساساً للقانون الحالي في سورية.

وكان القانون يخول القاضي الشرعي في دمشق رياسة مجلس الأوقاف وعمدة الثانويات الشرعية، فصار الطنطاوي مسؤولاً عن ذلك كله خلال العشر سنين التي أمضاها في قضاء دمشق، فقرر أنظمة الامتحانات في الثانويات الشرعية، وكان له يد في تعديل قانون الأوقاف ومنهج الثانويات، ثم كلف عام (١٩٦٠م) بوضع مناهج الدروس فيها فوضعها وحده بعدما سافر إلى مصر واجتمع فيها بالقائمين على إدارة التعليم في الأزهر واعتمدت كما وضعها.

انتقل الطنطاوي عام (١٩٦٣م) بعد انقلاب الثامن من آذار، وإعلان حالة الطوارئ في سورية، إلى المملكة العربية السعودية ليعمل مدرساً في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية في الرياض، ومنها انتقل إلى مكة، للتدريس فيها ليمضي فيها وفي جدة خمساً وثلاثين سنة.

بدأ الطنطاوي هذه المرحلة الجديدة من حياته بالتدريس في كلية التربية بمكة، ثم لم يلبث أن كلف ببرنامج للتوعية الإسلامية، فترك الكلية وراح يطوف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات، وتفرغ للفتوى يجيب على أسئلة وفتاوى الناس في الحرم . في مجلس له هناك . أو في بيته ساعات كل يوم، ثم بدأ برنامجيه (مسائل ومشكلات) في الإذاعة، و(نور وهداية) في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التلفزيون اللذين قدر لهما أن يكونا أطول البرامج عمراً في تاريخ إذاعة المملكة وتلفزيونها.

يعتبر الطنطاوي من أقدم المحاضرين الإذاعيين في العالم العربي، إذ بدأ يحاضر من «إذاعة الشرق الأدنى» من يافا من أوائل الثلاثينات، ومن «إذاعة بغداد» سنة (١٩٣٧م)، ومن «إذاعة دمشق» سنة (١٩٤٢م) لأكثر من عقدين متصلين، وأخيراً من إذاعة المملكة وتلفزيونها نحواً من ربع قرن متصل من الزمان.

نشر الطنطاوي أول مقالة له في جريدة عامة في عام (١٩٢٦م)، ولم ينقطع عن النشر في الصحف منذ ذلك التاريخ، فشارك في تحرير مجلتي خاله محب الدين «الفتح» و «الزهراء» حين زار مصر عام (١٩٢٦م)، ثم كتب في جريدة «فتى العرب» ثم في «ألف باء»، ثم كان مدير تحرير «الأيام» التي أصدرتها الكتلة الوطنية سنة (١٩٣١م) وخلال ذلك كان يكتب في «الناقد» و «الشعب» وسواهما من الصحف.

وفي سنة (١٩٣٣) أنشأ الزيات المجلة الكبرى «الرسالة» فكان الطنطاوي واحداً من كتابها، واستمر فيها عشرين سنة إلى أن احتجبت سنة (١٩٥٣م). وكتب في مجلة «المسلمون» و «النصر» وفي مكة كتب في مجلة «الحج» وفي جريدة «المدينة»، ونشر ذكرياته في «الشرق الأوسط» على مدى نحو خمس سنين. وله مقالات متناثرة في عشرات الصحف والمجلات التي كان يعجز هو نفسه عن حصرها وتذكر أسمائها.

شارك الطنطاوي في طائفة من المؤتمرات، منها حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدتها جامعة الدول العربية في دمشق في عهد الشيشكلي، ومؤتمر الشعوب العربية لنصرة الجزائر، ومؤتمر تأسيس رابطة العالم الإسلامي واثنين من المؤتمرات السنوية لاتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا. وأهم مشاركة له كانت في المؤتمر الإسلامي الشعبي في القدس عام (١٩٥٣م) والذي تمخضت عنه سفرته الطويلة في سبيل الدعاية لفلسطين، وقد جاب فيها باكستان والهند والملايو وإندونيسيا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لما جاوز الطنطاوي الثمانين من عمره وبدأ التعب يغزو جسمه آثر ترك الإذاعة والتلفزيون واعتزل الناس إلا قليلاً من المقربين يأتونه في معظم الليالي زائرين، فصار ذلك له مجلساً يطل من خلاله على الدنيا، وصار منتدى أدبياً وعلمياً تبحث فيه مسائل العلم والفقه واللغة والأدب والتاريخ.

الثمرات

يعد الشيخ علي الطنطاوي أحد رموز الدعوة الإسلامية الكبيرة في العالم العربي وشخصية محببة ذائعة الصيت نالت حظاً واسعاً من الإعجاب والقبول، وله سجل مشرف في خدمة الإسلام والمسلمين.

كان الطنطاوي أديباً وداعية يتمتع بأسلوب سهل جميل جذاب متفرد لا يكاد يشبهه به أحد، يمكن أن يوصف بأنه السهل الممتنع، فيه تظهر عباراته أنيقة مشرقة، فيها جمال ويسر، وهذا مكنه من طرح أخطر القضايا والأفكار بأسلوب يطرب له المثقف، ويرتاح له العامي.

وكان – رحمه الله– قريبا من الناس متفهما لهم، وناقش الكثير من المشكلات الاجتماعية وبعض الاعتقادات الخاطئة، وتميز بأدبه ومقالاته، ومن أعز أصدقائه الكتاب الذي كان لا يفارقه. وكان قريبا من المثقف والعامي.

حمل الطنطاوي على كاهله راية الإصلاح الديني في الميادين كافة: التشريعي والسياسي والاجتماعي، فكان في ما يؤلف ويحاضر الداعية المسلم الذي يهجم على الخرافات والتقاليد البالية والسلوكيات المستوردة؛ فيصحح عقائد الناس ويقوم أخلاقهم، كما كان يتصدى لظلم رجال السلطان وأصحاب الدعوات الهدامة بمنطق الحق القويم وسلاسة الأسلوب وعذوبة العبارة مما قيض له قبولاً عند عامة الناس، كما نصب له في الوقت نفسه كثيراً من المعادين والشانئين. وكتبه في ميادين الإصلاح المختلفة كثيرة متعددة الاتجاهات تشهد له بعمق الفكرة وطول الباع وسلامة المنهج، وقد سبق زمانه في طروحاته الإصلاحية على صعيد التشريع والسياسة والاجتماع.

ترك الطنطاوي عدة مؤلفات هي:

. تعريف عام بدين الإسلام. . هتاف المجد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

. صور وخواطر.
. من حديث النفس.
. الجامع الأموي.
. قصص من التاريخ.
. قصص من الحياة.
. أبو بكر الصديق.
. عمر بن الخطاب. (جزآن).
. في إندونيسيا.
. في بلاد العرب.
. في سبيل الإصلاح.
. رسائل سيف الإسلام.
. رجال من التاريخ.
. الهيثميات.
. التحليل الأدبي.
. من التاريخ الإسلامي.
. دمشق.
. مقالات في كلمات.
. مباحث إسلامية.
. فصول إسلامية.
. نفحات من الحرم.
. صور من الشرق.
ـ صيد الخاطر لابن الجوزي (تحقيق).
. فكر ومباحث.
. بشار بن برد.
. مع الناس.
. رسائل الإصلاح.
. مسرحية أبي جهل.
. ذكريات علي الطنطاوي. (ثمانية أجزاء).
. أخبار عمر.
. بغداد.
ـ حكايات من التاريخ (من أدب الأطفال).
ـ أعلام التاريخ (سلسلة للتعريف بأعلام الإسلام).

الحياة العائلية

رزق الشيخ الطنطاوي خمساً من البنات، وقد كان لفقد إحداهن (بنان) ـ وقد اغتالتها يد الإرهاب الآثم في مدينة آخن الألمانية– أكبر الأثر في نفسه، ولكنه احتسبها عند الله. وتمسك بالصبر والتسليم بقضاء الله.

يصف الشيخ علي الطنطاوي موت ومقتل أبنته في مذكراته:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

«إن كل أب يحب أولاده، ولكن ما رأيت، لا والله ما رأيت من يحب بناته مثل حبي بناتي، ما صدقت إلى الآن، وقد مر على استشهادها أربع سنوات ونصف السنة وأنا لا أصدق بعقلي الباطن أنها ماتت، إنني أغفل أحيانا فأظن إن رن جرس الهاتف، أنها ستعلمني على عادتها بأنها بخير لأطمئن عليها، تكلمني مستعجلة، ترصّف ألفاظها رصفاً، مستعجلة دائما كأنها تحس أن الردى لن يبطئ عنها، وأن هذا المجرم، هذا النذل ... هذا ... يا أسفي، فاللغة العربية على سعتها تضيق باللفظ الذي يطلق على مثله، ولكن هذه كلها لا تصل في الهبوط إلى حيث نزل هذا الذي هدّد الجارة بالمسدس حتى طرقت عليها الباب لتطمئن فتفتح لها، ثم اقتحم عليها، على امرأة وحيدة في دارها، فضربها ضرب الجبان والجبان إذا ضرب أوجع، أطلق عليها خمس رصاصات تلقتها في صدرها وفي وجهها، ما هربت حتى تقع في ظهرها كأن فيها بقية من أعراق أجدادها»

النسخة الأخيرة من العالم الموسوعي

كأنه قبضة من أرض الشام، عُجنت بنهري النيل والفرات، لوحتها شمس صحراء العرب، فانطلقت بإذن ربها نفساً عزيزة أبية، تنافح عن الدعوة وتذود عن حياض الدين. ذلكم هو العلامة الكبير، الفقيه النجيب، والأديب الأريب الشيخ «علي الطنطاوي».

كان الطنطاوي قوة فكرية من قوى الأمة الإسلامية، ونبعاً نهل منه طالبو العلم، والأدب في كل مكان، كان قلمه مسلطاً كالسيف، سيالاً كأعذب الأنهار وأصفاها، رائعة صورته، مشرقاً بيانه، وفي ذلك يقول عن نفسه: «أنا من (جمعية المحاربين القدماء) هل سمعتم بها؟ كان لي سلاح أخوض به المعامع، وأطاعن به الفرسان، وسلاحي قلمي، حملته سنين طوالاً، أقابل به الرجال، وأقاتل به الأبطال، فأعود مرة ومعي غار النصر، وأرجع مرة أمسح عن وجهي غبار الفشل. قلم إن أردته هدية نبت من شقه الزهر، وقطر منه العطر، وإن أردته رزية حطمت به الصخر، وأحرقت به الحجر، قلم كان عذباً عند قوم، وعذاباً لقوم آخرين».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تفتح وعيه على قنابل الحلفاء تدك عاصمة الأمويين، وفلول الأتراك تغادر المدينة، وديار الشام مقفرة بعد أن عز الطعام وصارت أوقية السكر (٢٠٠ جرام) بريال مجيدي، كان يكفي قبل الحرب لوليمة كبيرة. وكان أول درس قاس تعلمه وعاشه: تفكك الدولة العثمانية وتحول ولاياتها السابقة إلى دويلات. فسوريا أصبحت أربع دول: واحدة للدروز، والثانية للعلويين، والثالثة في دمشق، والرابعة في حلب.

كان الفتى علي الطنطاوي وقتها مازال تلميذا في المدرسة لكن وعيه كان يسبق سنه، فعندما أعلن في مدرسته عن المشاركة في مسيرة لاستقبال المفوض السامي الجديد «الجنرال ويفان» الذي حل محل «الجنرال جورو»، رفض ذلك وألقى خطبة حماسية، قال فيها: «إن الفرنسيين أعداء ديننا ووطننا ولا يجوز أن نخرج لاستقبال زعيمهم».

لله درك يا فتى! أدركت ما لم يدركه الكبار، فكيف تستقبل أمة عدوها الذي سلبها حريتها؟ وكيف تنسى ما قاله قائد هذا العدو بعد معركة «ميسلون» ودخول الشام عندما زار (الجنرال جورو) قبر صلاح الدين وقال له: «ها نحن عدنا يا صلاح الدين.. الآن انتهت الحروب الصليبية».

تلك المعركة التي كانت نقطة تحول في وعي الفتى علي الطنطاوي، فقد خرج منها بدرس ممهور بدماء الشهداء واستقلال الأمة.. درس يقول: إن الجماهير التي ليس عندها من أدوات الحرب إلا الحماسة لا تستطيع أن ترد جيشاً غازياً. أصبح الاحتلال الفرنسي واقعاً جديداً في سوريا، وغدا حلم الدولة المستقلة أثراً بعد عين، وكما حدث في كل بقاع العالم الإسلامي كان العلماء رأس الحربة قي مواجهة المحتل، وتولى الشيخ «بدر الدين الحسيني» شيخ العلماء في مدن سوريا قيادة ثورة العلماء الذين جابوا البلاد يحرضون ضد المستعمر، فخرجت الثورة من غوطة دمشق، وكانت المظاهرات تخرج من الجامع الأموي عقب صلاة الجمعة فيتصدى لها جنود الاحتلال بخراطيم المياه ثم بالرصاص، والشاب علي الطنطاوي في قلب تلك الأحداث.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

في أحد الأيام كان على موعد لصلاة الجمعة في مسجد القصب في دمشق، فقال له أصحابه: إن المسجد قد احتشد فيه جمهور من الموالين للفرنسيين واستعدوا له منذ أيام وأعدوا خطباءهم، فرأينا أنهم لا يقوى لهم غيرك، فحاول الاعتذار، فقطعوا عليه طريقه حين قالوا له: إن هذا قرار الكتلة – كان مقاوموا الاحتلال ينضوون تحت لواء تنظيم يسمى الكتلة الوطنية وكان الطنطاوي عضوا فيها– فذهب معهم وكان له صوت جهوري، فقام على السّدة مما يلي «باب العمارة» ونادى: «إليّ إليّ عباد الله»، وكان نداء غير مألوف وقتها، ثم صار ذلك شعاراً له كلما خطب، فلما التفوا حوله بدأ ببيت شوقي:

وإذا أتونا بالصفوف كثيرة * * * جئنا بصف واحد لن يكسرا

وأشار إلى صفوفهم المرصوصة وسط المسجد، وإلى صف إخوانه القليل، ثم راح يتحدث على وترين لهما صدى في الناس، هما الدين والاستقلال، فلاقت كلماته استحساناً في نفوس الحاضرين، وأفسدت على الآخرين أمرهم، وصرفت الناس عنهم. ولما خرج تبعه الجمهور وراءه، وكانت مظاهرة للوطن لا عليه.

في (١٩٢٨م) دعاه خاله (محب الدين الخطيب) للقدوم إلى مصر، وكان قد أصدر مجلة «الفتح» قبل ذلك بعامين، فسافر علي الطنطاوي إلى مصر للدراسة في كلية دار العلوم، لكن المناخ الثقافي في مصر في ذلك الحين شده للانخراط في العمل الصحفي الذي كان يشهد معارك فكرية وسجالات أدبية حامية الوطيس حول أفكار التقدم والنهضة والإسلام والاستعمار وغيرها، وكان طبيعياً أن يأخذ الشاب علي الطنطاوي موقعه في صفوف الذائدين عن حياض الإسلام المناوئين للاستعمار وأذنابه، وظل الطنطاوي في موقعه لم يتراجع أو يتململ أو يشكو تكالب الأعداء أو قلة الإمكانات، فكان الفارس الذي لم يؤت من ثغره.

وظل طوال تنقله بين عواصم العالم الإسلامي يحن إلى دمشق ويشده إليها شوق متجدد. وكتب في ذلك درراً أدبية يقول في إحداها:

«وأخيراً أيها المحسن المجهول، الذي رضي أن يزور دمشق عني، حين لم أقدر أن أزورها بنفسي، لم يبق لي عندك إلا حاجة واحدة، فلا تنصرف عني، بل أكمل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

معروفك، فصلّ الفجر في (جامع التوبة) ثم توجه شمالاً حتى تجد أمام (البحرة الدفاقة) زقاقاً ضيقاً جداً، حارة تسمى (المعمشة) فادخلها فسترى عن يمينك نهراً، أعني جدولاً عميقاً على جانبيه من الورود والزهر وبارع النبات ما تزدان منه حدائق القصور، وعلى كتفه ساقية عالية، اجعلها عن يمينك، وامش في مدينة الأموات، وارع حرمة القبور فستدخل أجسادنا مثلها.

دع (البرحة) الواسعة في وسطها وهذه الشجرة الضخمة ممتدة الفروع، سر إلى الأمام حتى يبقى بينك وبين جدار المقبرة الجنوبي نحو خمسين متراً، إنك سترى إلى يسارك قبرين متواضعين من الطين، على إحدهما شاهد باسم الشيح أحمد الطنطاوي، هذا قبر جدي، فيه دفن أبي، وإلى جنبه قبر أمي فأقرئهما مني السلام، واسأل الله الذي جمعهما في الحياة، وجمعهما في المقبرة، أن يجمعهما في الجنة، {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} {رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} رب ارحم بنتي واغفر لها، رب وللمسلمين والمسلمات».

اشتهر الشيخ الطنطاوي بسعة أفقه وكثرة تجواله وحضور ذهنه وذاكرته القوية؛ ولذلك تجيء أحكامه متسمة بصفة الاعتدال بعيدة عن الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط.

ومن المجالات التي سبق إليها الكتابة في أدب الأطفال والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية. وتحقيق بعض كتب التراث، وله جولات في عالم القصة فهو من أوائل كتابها.

كانت مساجلاته تملأ الأوساط الفكرية والأدبية طولاً وعرضاً، وكان لا يكف عن إصدار رسائله التي يحذر فيها من مغبة الانخداع بالنحل الباطلة. ومن طريف ما تعرض له في إحدى مساجلاته ما يرويه عن نفسه: «كنا يوماً أمام مكتبة (عرفة) فجاء رجل لا نعرفه فاندس بيننا وحشر نفسه فينا، وجعل يتكلم كلاماً عجيباً، أدركنا منه أنه يدعو إلى نحلة من النحل الباطلة، فتناوشوه بالرد القاسي والسخرية الموجعة، فأشرت إليهم إشارة لم يدركها: أن دعوه لي، فكفوا عنه وجعلت أكلمه وأدور معه وألف به، حتى وصلت إلى إفهامه أني بدأت أقتنع بما يقول، ولكن مثل هذه الدعوة لا بد فيها من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حجة أبلغ من الكلام، فاستبشر وقال: ما هي؟ فحركت الإبهام على السبابة، وتلك إشارة إلى النقود. قال: حاضر، وأخرج ليرتين ذهبيتين يوم كانت الليرة الذهبية شيئاً عظيماً. مد يده بالليرتين فأخذتهما أمام الحاضرين جميعاً، وانصرف الرجل بعد أن عرفنا اسمه، فما كاد يبتعد حتى انفجرت الصدور بالضحك، وأقبلوا عليّ مازحين، فمن قائل: شاركنا يا أخي، وقائل: اعمل بها وليمة، أو نزهة في بستان، قلت: سترون ما أنا صانع، وذهبت فكتبت رسالة، تكلمت فيها عن الملل والنحل والمذاهب الإلحادية، وجعلت عنوانها «سيف الإسلام» وكتبت على غلافها «طبعت بنفقة فلان» باسم الرجل الذي دفع الليرتين، وبلغني أنه كاد يجن ولم يدر ماذا يفعل، ولم يستطع أن ينكر أمراً يشهد عليه سبعة من أدباء البلد، وقد بلغني أن جماعته قد طردته بعد أن عاقبته».

كما كان الفقيد –يرحمه الله– داعية شجاعاً ثابتاً على مبدئه لا يلين، ولا يهادن، كان يقتحم الأهوال، وينازل الرجال، يلج عرين الآساد، وربما عرض نفسه –باختياره– لمخالب تمزق جلد التمساح، كل ذلك في سبيل إيمانه بفكرته الإسلامية، والتضحية من أجل إعلائها مهما كان الثمن.

وقد ترك الشيخ علي الطنطاوي أثراً كبيراً في الناس، وساهم في حل مشكلاتهم عن طريق كتابته ورسائله وأحاديثه، وقد كان له دور طيب في صياغة قانون الأحوال الشخصية في سوريا، وهو واضع مشروع هذا القانون على أسس الشريعة الإسلامية، كما وضع قانون الإفتاء في مجلس الإفتاء الأعلى، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي في بغداد. وفي كل أعماله كان يبتغي الأجر من ربه ويسعى إلى واسع مغفرته، يقول: «ينجيني قانون {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة:٢٨٦] إني والله أخشى ذنبي ولكني لا أيأس من رحمة ربي.. وآمل أن ينفعني إذا مت صلاة المؤمنين عليّ ودعاء من يحبني، فمن قرأ لي شيئاً أو استمع لي شيئاً فمكافأتي منه أن يدعو لي، ولدعوة واحدة من مؤمن صادق في ظهر الغيب خير من كل ما حصّلت من مجد أدبي وشهرة ومنزلة وجاه».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تقول حفيدته «عابدة العظم»: نشأت وترعرعت في كنف جدي وأمي وأنا أعتقد –كما يظن ويعتقد كل طفل– أن كل الناس يتربون ويتوجهون في بيئة إن لم تماثل بيئتي فهي مشابهة لها، وكنت أسمع الناس يمتدحون جدي فلا أدرك من الحقيقة إلا أن الناس عرفوه لأنه يحدثهم في الراديو والتلفزيون، فأحبوه، فامتدحوه، وكنت أنا مثلهم أحبه كثيراً؛ لما أراه منه، فلم أعر الأمر اهتماماً.

وما لبثت أن كبرت قليلاً، واختلطت بالناس، فبدأت أدرك شيئاً فشيئاً الفروق الجوهرية بين جدي مربياً وبين سائر المربين، وكنت كلما اجتمعت مع أقراني لمست التباين بين أسلوبه في التوجيه وبين أسلوب بقية الوالدين، وكنت كلما سمعت مشكلات الآباء في تربية الأبناء، أعترف لجدي بالتميز والإبداع في معالجة الأخطاء وتعديل الطباع، وساهمت خالاتي وأمي في تبصيري، وذلك بما كنّ يقصصنه عليّ من قصصهن مع جدي، وبما كن يكنّه له من الاحترام والشكر والتقدير، وبما كنّ يحملنه من إيمان عميق بالله، ومبادئ عظيمة تعلموها من شرع الله.

فلم أكد أتفهم هذه الحقائق، وأتبين الأثر الكبير الذي أوجده جدي فينا، حتى شرعت في كتابة المواقف المهمة العالقة في ذاكرتي، إذ أحسست بأن هذه التوجيهات حري بها أن لا تبقى حبيسة معرفة بعض الناس الذين هم أحفاد الطنطاوي، بل ينبغي أن تنشر ليطلع عليها الناس، لتكون لهم عوناً في تنشئة أبنائهم وبناتهم، ولهذا أصدرت عنه كتابي.

وعن كتابها «هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي» تقول:

(لم أكن عند جدي عندما عُرض الكتاب عليه لأول مرة. فقد حمله إليه زوج خالتي «نادر حتاحت» بصفته ناشر الكتاب، ولما قرأه جدي اتصل بي هاتفياً، وقال: الكتاب جيد، بل هو جيد جداً، وأسلوبه جميل. لكنه عقّب بقوله: ومن الصعب عليّ يا ابنتي أن أمتدح هذا الكتاب، أو أدلي برأيي الصريح عنه، لأنه عني، وأخشى أن يظن الناس أني أفعل لأجل ذلك. ثم ختم كلامه بقوله: وأنا لست كما وصفت، فأنت التي جمّلت الحوادث وصورتيها بتلك الطريقة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان ذلك تواضعاً منه، فأنا ما كتبت غير الحقيقة، وما صورت إلا ما رأيته، وما قال ذلك جدي إلا تواضعاً).

وعن رؤية الشيخ الطنطاوي للمرأة –وخصوصاً أنه لم يرزق بالبنين– تقول:

(جدي إنسان كأي إنسان آخر، يحب أن يرزق البنين، فيحملون اسمه ويتعلمون مما علمه الله، ويكونون خلفاء له، وهو لم يتوقع أصلاً ألا يولد له ذكر، فلما جاءته ابنته الأولى رضي بقضاء الله وسعد بها، بل أحبها وأخواتها –من بعد– حباً شديداً، وأولاهن من العناية والرعاية والاهتمام ما لم يوله أب آخر ممن أعرف أو سمعت عنهم.

أما احترامه للمرأة فهو شيء معروف عنه، وكان في أحاديثه يدافع عن النساء ويذبّ عنهن، ويحذر الرجال من الظلم والتعدي، وكان يردد دائماً: أن الدرجة للرجل على المرأة درجة واحدة، وليست سلماً! حتى لقّبوه بـ «ناصر المرأة»، وهو كذلك معنا، فقد كان يؤثرنا أحياناً –نحن الحفيدات – على الأحفاد، وقد بذل لنا الكثير، وأكرمنا زيادة عنهم في بعض المواقف، ولكن دون أن يشعروا؛ حتى لا يتسبب ذلك في أذاهم).

وحول شخصية الشيخ علي الطنطاوي، وكيف جمع بين العلم والدين والأدب والحياة، تقول:

(ساءلت نفسي هذا السؤال مرة، ثم وجدت الجواب في سيرة جدي، فقد مر بظروف قاهرة ومؤلمة، فعوضه الله بمجموعة من العطايا، أهلته للنجاح.

كان يتيماً وحيداً بلا أب ولا أم ولا سند مادي أو معنوي، فأعطاه الله العقيدة السليمة، وقوة الشخصية، فكان بلسانه وقلمه سيفاً مسلولاً على أعداء الله ورسوله، يترصد الباطل ويقتله، ينازل الفسوق فيقهره، ويبارز الكفر والانحلال والمجون فيغلبهم جميعاً، وكان صدّاعاً بالحق، لا يسكت عن إنكار منكر، ولا تمنعه منه هيبة ذي سلطان، جريئاً لا يهاب أحداً ولا يخشى إلا الله، متمرداً على العادات والتقاليد المخالفة للإسلام، فرفع الله بعمله هذا ذكره بين الناس.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان محباً للعزلة والانفراد فأعطاه الله حب العلم، والشغف بالقراءة والاطلاع، ورزقه الذكاء والذاكرة العجيبة، وسرعة الاستيعاب، فلم تكن إلا سنون حتى جمع علماً غزيراً متنوعاً، فهو أديب، ولغوي فقيه، وعالم نفس، وهو قارئ نشيط في الطب والفلك، فسهل الله له بعلمه الطريق إلى عقول الناس.

وكان هيّاباً للاجتماع بالناس، فأعطاه الله القدرة على مخاطبتهم من بعيد، أي عن طريق وسائل الإعلام على اختلاف مشاربهم، وأعطاه روح الفكاهة، وحلاوة الأسلوب، والابتكار في العرض، والقدرة على الإقناع، والمرونة في الإفتاء فوصل إلى قلوب الكثيرين).

وتقول «أمان علي الطنطاوي» ترثي والدها الفقيد:

(إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن، وإنا عليك يا أبتاه لمحزونون، أبتاه أنت شمس حياتنا ونور أيامنا.. أبتاه يعز علينا الفراق، ويحز في النفس غياب صوتك ووجهك، لكنك في القلب أنت، في العقل أنت.. أبتاه يا نبض أيامي، أبتاه ملهم أفكاري.. أبتاه يا أحب وأغلى الناس، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته. أبتاه ها قد لحقت بـ «بنان» التي حزنت عليها دوماً ولم تذكر اسمها إلا هذا العام، ولم تلح في طلبها إلا وأنت مريض بالإشارة، أشرت بإصبعك الثاني، قلت لك: بنان، هززت رأسك. يا أحب الناس ها قد التقيت بـ «بنان» جعلك الله وإياها من أهل الجنة).

يقول الشيخ «مجاهد محمد الصواف» الذي رافق الشيخ علي الطنطاوي منذ كان في العاشرة من عمره:

(من أبرز سماته –رحمه الله– هدوء الشيخ وفهمه لما يجري في العالم، وارتباطه العميق بالدعوة إلى الله، والتزامه في ذلك بالقرآن والسنة، وهو ما مكنه من طرح موضوعاته وما يهدف إليه من نشر التوعية والدعوة بشكل يقبله الناس. وكان كاتباً رائعاً إذا أمسك القلم؛ إذا أراد أن يبكي أبكى، وإذا أراد أن يضحك أضحك، فيجمع في أسلوبه الدعوي كل أساليب التربية، فكان يجيب عن أطنان من الرسائل، ولم يكن يتحرج في الإجابة عن أي سؤال يطرح في مجتمعنا، واستطاع بحكمته ووسطيته وأسلوبه الرائع في طرح القضايا والمشكلات أن يكسب القبول من الناس جميعاً).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقال الدكتور «حسن محمد سفر» ـ أستاذ نظم الحكم الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة:

(بفقدان العلامة الشيخ علي الطنطاوي، فقد العالم الإسلامي علماً من أعلام الفكر والثقافة الإسلامية، وكان –رحمه الله– يطل على المسلمين من الشاشة بأسلوب مبسط، يبين فيه أحكام الإسلام ووجهة نظر المجتهدين من علماء الشريعة فيما يتعلق بالمسائل والأحكام والفتاوى، وكان هذا الأسلوب الشيق مميزاً يضيف إليه سماحته من الطرف والقصص ما يربط به الموضوع، فتستخلص منه العبر والعظات، وقد كان هذا الأسلوب محبباً لدى الشباب، فرحم الله هذه الثلة المباركة من علماء الإسلام، وعوضنا في سماحته كل خير، وحفظ الله علماءنا، ليؤدوا الرسالة التي أنيطت بهم، والحمد لله على كل حال).

الشيخ «محمد فيصل السباعي» ـ مدير إدارة النشر بجامعة أم القرى وأحد المقربين من الشيخ الطنطاوي ـ يقول:

(لقد رافقت الشيخ علي الطنطاوي في كثير من الفترات، عرفت فيها حماسه وغيرته على الإسلام، وعرفت فيه رمزاً من رموز العلم والتعليم، عرفته –رحمه الله– قرابة نصف قرن، وكان عالماً عاملاً كثير التواضع للجميع، وبخاصة في مجال الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان –رحمه الله– موسوعة متنقلة، وإنا لنشهد له بالخير والصلاح، ولا نزكيه على ربه، ونسأل الله تعالى أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والمثوبة، ويعوض العالم الإسلامي بفقده، ويلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وأن يسكنه فسيح جناته). [٤]

الشيخ علي الطنطاوي كما عرفته .. د.عائض القرني

إذا قلت: علي الطنطاوي، حضرت دائرة المعارف، وموسوعة الأدب، وجامعة الفنون، فصرت معه في عالم من المنقول والمعقول، والقديم والحديث، والعلم والأدب، والنثر والشعر، تقرؤه، فإذا الآية والحديث، والقصة والمثل، والبيت

---

[٤] على محمد الغريب مجلة الأسرة السعودية بتصرف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والحكاية، والنكتة والخاطرة، يضحكك ويبكيك، يطربك ويشجيك، يفرحك ويحزنك، فأنت معه بين بسمة ودمعة، ووصل وهجر، وسلم وحرب، يحدثك عن الأنبياء والعلماء، والحكماء والشعراء، والملوك والسوقة، والأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والملائكة والشياطين، يقص عليك أخبار مالك والشافعي، وابن تيمية وابن حزم، وابن سيناء وابن رشد، والفارابي وابن خلدون، والمتنبي وأبي تمام، وفولتير وسارتر، وديكارت وكانت، وشكسبير تولستوي، وإقبال وطاغور، يرتحل بك من برج إيفل إلى تاج محل، ومن هضبة التبت إلى مقاصير الحمراء، ومن ضفاف دجلة إلى روافد الراين، يتحفك بتاريخ العرب ودهاء العجم، وصبر الأتراك، وصمود الأكراد، وسخرية الفرنسيين، وبرود الإنجليز، يجمع لك في مجلس واحد عدل نور الدين، وشجاعة صلاح الدين، وهمة نابليون، وأبهة الناصر في الزهراء، وحنكة معاوية في دمشق، وملك هارون ببغداد، يهدأ فإذا هو رخاء حيث أصاب ويزبد ويرعد، فإذا هو قاصف من الريح، وعات من الموج، تعيش معه وعظ الحسن البصري، وزهد الثوري، وبديهة إياس، وموسوعية الشعبي، وسخرية برناردشو، وجاذبية غوته، وتصوير هيجو، ينقلك بقوة براعته، وأسر إبداعه من عالمك الصغير إلى عالمه الكبير، ومن أفقك الضيق إلى أفقه الواسع، ومهما حاولت أن تتماسك أمام أسره وسحره فهيهات، سوف تستسلم لسلطان بيانه، وتعلن الطاعة لنور برهانه؛ لأن حديثه يكاد يضيء من بريق نوره –ولو لم تمسسه نار– ذاكرته، وسوف تعترف بتميزه وعمقه وموسوعيته وأصالته.

لم أقرأ لأديب ولا لكاتب معاصر أعذب عبارة، وألطف إشارة، وأحسن لفظًا، وأعظم أسرًا، وأبرع كتابة، وأجمل أسلوبًا من علي الطنطاوي، لكأنّ مقالته صبح تنفس، أو روض أخضر باكرته صبا باردة، أو جنة بربوة أصابها وابل.

قرأت كل كتبه وأعدت الكثير منها، وحفظت قطعًا جميلة، وتحفًا غالية منها، وخطبت ببعض إشراقاته، فسالت من سماعها الدموع، ووجلت من بلاغتها القلوب، استفدت من كتبه جلال الحق، وإشراق النفس، وسمو الروح، وحلاوة الجملة، وطلاوة الحرف، قطفت من روضه أينع الثمار، وألذ الطلع، فحديقة علمه صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد، وبستان أدبه فيه من كل زوج بهيج؛ تفسيرًا وحديثًا وأدبًا وثقافة، وفي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

رحاب فنونه حدائق ذات بهجة مما يهيج ويبهر؛ لأنه يغرب ويطرب ويعجب والمعاصرون من الأدباء طرائق جدد، ومذاهب شتى، منهم عميق الفكر، راسخ المعلومة، لكنه قلق العبارة، شاق الطريق، فاتر الأداء، ومنهم البارع في عرضه، الجميل في لفظه، لكن بضاعته مزجاة، وجعبته فارغة، وكفه صفر، ومنهم خالي الوفاض من المعنى، على جرف هار في المبنى، (حشفًا وسوء كيلة)، أما الشيخ علي الطنطاوي فهو ثر المعرفة، واسع العلم، راسخ الفهم، عميق الفكر، وهو مع ذلك صاحب أبرع مقالة تتصدر الكتاب العربي، والمجلة السائرة، والصحيفة اليومية، سهولة في أصالة، ويسرًا في رصانة، وعذوبة في عمق:

خُلّلْ من السحر الجميل من روعة الإيحاء والإغراء

إذا أصّل لنا نسينا ابن سينا، وإذا نظر سقطت أسهم سقراط، له تفنن الجوزي، وعبقرية ابن حزم، وتبيان الجاحظ، وسلاسة ابن حيان؛ لأنه جرد الأسفار، وطاف الديار، وطوى منشور الزمان، ونشر مطوي المكان، فهو جامع لأحداث العصر، وأنباء كل مصر، إن أحبَّ أطنب وأسهب، وإن شاء أوجز وألغز، مع جودة خاطر ماطر، وصحة نفَس عاطر، ولا غرابة فهو خليفة مجدد الأدب، وإمام الكتاب، مصطفى صادق الرافعي.

والشيخ علي الطنطاوي لا يتركك تقرأ له بقلب خامد، وطرف جامد، وحس هامد، بل يبعث في نفسك شعورًا حيًا، فيهز عاطفتك، ويلهب حماسك، ويوقظ روحك هذا إذا كان القارئ له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أما إذا كان ميت الشعور، يابس الإحساس، مقفر المعرفة، فهذا لا كلام معه: {أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[النحل: ٢١]

ما في الخيام أخو وجْدٍ نطارحه حديثَ نجْدٍ ولا خِلٌّ نجاريه

لقد عرفت الطنطاوي قبل ثلاثين سنة، تأبطت كتبه في جبال الجنوب، وتصفحت مقالاته في روابي نجد، وطالعت ذكرياته في مغاني الحجاز، استقبلتني كتبه في دمشق، وهزتني مقالاته في القاهرة، ولقيت قصصه في باريس، وسمعت أخباره في قرطبة، وهو مصري المَحْتِد، دمشقي المولِد، حجازي الهوى، نجدي الجوى، صوته في المذياع،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وصورته في الشاشة، وأدبه في الصحيفة، وإشراقه في الكتاب، سافرت وكتبه معي، ونمت ورسائله على مخدتي، وكنت مرة في الطائرة إلى جاكرتا، وبين يدي كتابه: (رجال من التاريخ) فأبكاني وأشجاني، وأتيت أرتجل خطبة في جمع بعدما حفظت مقطوعة: (نحن المسلمون) من أول (قصص من التاريخ)، فسمعت نشيج الحضور بيني وبين الطنطاوي غير نسب الدين العظيم، والمعتقد الحق، صفات متقاربة متجاذبة مع اعترافي بفضله وتقدمه وسابقيته، فقد حببني في الأدب شعرًا ونثرًا، على نزعة فطرية سابقة، وولع قديم وحنين دائم، {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} [القمر: ١٢]

وما شرقي بالماء إلا تذكرًا لماء به أهل الحبيب نزولُ

وشجعني على الموسوعية وتعدد الفنون والضرب في كل غنيمة بسهم وهبوط وديان المعرفة، وشحذ ما عندي من طبع دعوب، ومزاح متأصل، ونكتة منكوتة في الدم جعلتني أعجب بطرائفه ولطائفه، وأضحك معه وأحفظ –كما يحفظ– مما تخف له الروح، ويهش له الخاطر، ولله هو مواهب متعددة، وروح متجددة، نهج حنيفي، ومذهبي حنفي، وخلق أحنفي، يكاد سنا برق لموعه يذهب بأبصار حُسّاده.

وحرصت على لقاء الشيخ الطنطاوي وتمنيت ذلك، وقبل أن ألقاه بأشهر كنت ألقي درس السبت بـ «أبها» في جمع من الناس، فوصلتني إشاعة موته، وصدق ذلك بعض الأصدقاء وقووها عندي، فأخبرت الناس بموته وهو حي يرزق، وترحمت عليه وغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته وبكيت.. فلما انتهى الدرس ثبت أن الشيخ «علي» لم يمت، وأنه لا يزال مصرًا على الحياة على رغم أنوفنا!! ولو كانت تنطلي عليه الحيلة لصدقنا ومات، فصار بكاؤنا عليه هباءً منثورًا، وزرته بمكة في بيته بالعزيزية وعرّفه صاحبه بي، وقد سمع ببعض أشرطتي واستشهادي بكلامه، فهش وبش، وحيّا ورحب، وقال لي: أنت الذي أماتني قبل أن أموت؟! ثم استشهد ببيت المتنبي:

يا كم دُفنت ويا كم مت ثم انتفضت فزال القبر

ومازحني وداعبني ثم حدثنا بشيء من ذكرياته المشجية، فبكى مرتين وهو يقص علينا أحسن قصصه، بكى حينما تذكر زميله وصديقه الكاتب اللامع والداعية الصادق

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سيد قطب –رحمه الله– وقال والدمع يغسل خده: كان خيرًا مني وأفضل مني وأنفع مني ثم تنهّد وترحم عليه.

ثم بكى لما ذكر ابنته بنان –رحمها الله– التي قتلت بألمانيا، فجادت عيناه بأحر وأصدق الدموع على فلذة كبده، وصنو روحه، فكان دمعه أصدق خطبةٍ قرأتها، وأعظم موعظة سمعتها، حرم الله تلك العيون على النار، وآنس الله تلك الجفون بصحبة الأبرار.

وكل ما ذكرته عن الشيخ علي الطنطاوي عظيم ويستحق عليه التكريم، لكن أعظم من سعة علمه وكثرة فنونه ودائرة معارفه أنه قد رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد –صلى الله عليه وسلم– نبيًا، وهنا عظمة الإنسان، وغاية نبله، وذروة كماله البشري، حيث يبارَك في علمه، ويصلُح عمله، ويرتفع ذكره، ويستقيم منهجه، وتطيب كلماته، وتعذب عبارته، ويحلو أدبه، وهذا بعينه الذي حببنا في شيخ الجيل، وأستاذ الأدب، وكاتب العصر علي الطنطاوي.

ألا، فتبًا وسحقًا لمن عق دينه، ونسي ربه، وكتم شهادة عنده من الله، وألغى الدليل، ورفض المحجة البيضاء، وتدثر بلباس الزور، وتزمل برداء الغرور، فهو إنسان في فهم ثور، {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ} [الانشقاق:١٤].

فلا يلوم لائم تعلق الجيل المؤمن، والشباب الصادق بهذا الأستاذ الجهبذ، وهذا العلم الأعجوبة؛ لأنهم وجدوا فيه الأمانة والإيمان مع ورع النفس، وطهر الضمير، وعفة القلم، وصفاء الفكر، أما المرتزقة الآثمون المفلسون في عالم القيم {فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } [محمد:٨]، نتاجهم سراب بقيعة، وحصيلتهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، صار ذمهم شهادة على كمال من جرحوه، وأصبحت تزكيتهم وصمة عار لمن مدحوه، ومن خير وأفضل ما كُتب عن الشيخ علي الطنطاوي كتاب (علي الطنطاوي كان يوم كنت) للدكتور أحمد آل مربع وفقه الله تعالى. [٥]

---

[٥] جريدة الجزيرة السعودية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مواقف تربوية طريفة للشيخ علي الطنطاوي –رحمه الله –

من الذي يستطيع أن يتحدث في المواقف التربوية ثم يتجاوز الشيخ الأديب الأستاذ علي الطنطاوي –رحمه الله– والذي قضى فترة من عمره معلما تشرفت به مهنة التعليم في هذه الأزمنة أن يكون مثله معلما للمرحلة الابتدائية، ومن يقرأ ما كتبه –رحمه الله– يدرك حجم ما ورد فيها عن التعليم من مواقف طريفة أو نقد لاذع أو ذكريات مضحكة أو باكية.

ومن هذه المواقف ما ذكره في معرض ثنائه على أستاذه (عبد القادر المبارك) فعندما كان يدرس في بغداد، أقيمت حفلة سمر في آخر سنة (١٩٣٦م)، فسأل الطلاب مدرسيهم، على عادة اعتادوها: هل يأذنون لهم أن يقلدوهم؟ فكان منهم من أذن، ومنهم من أبى، وكان الشيخ علي –رحمه الله– ممن أذن، فقام طالب يقلد الشيخ بزعمه، ولكنه قلد الشيخ المبارك أستاذ الطنطاوي فقال الشيخ علي: ويحك هذا شيخنا المبارك، فإذا بالطلاب يصيحون من الأركان الأربعة: بل هذا أنت، هذا أنت. فإذا الشيخ علي –رحمه الله– لطول ما حاكى الشيخ قد صار مثله ... يعني في لهجته ونغمته، لا في علمه ولغته فأين هو من علم الشيخ كما ذكر ذلك عن نفسه، وإن كان هو في أنفسنا أفخم من شيخه الذي لا نعرفه كمعرفتنا بالشيخ الطنطاوي – رحمه الله– ولكن هذا الثناء منه على أستاذه جميل ولطيف حيث بلغ إعجابه به إلى درجة أنه شابهه في حركاته ولهجته.

ولقد زرت الشيخ في بيته فذكر موقفا طريفا آخر حينما كان أيضا في العراق معلما، فقد سبقت شهرته إلى المدرسة التي وجه إليها، وكان لا يزال شابا، فوقف عند باب الفصل يهيئ نفسه للدخول على الطلاب، فسمع المدرس داخل الفصل يثني عليه وما تميز به من الأدب والعلم، فدخل إلى الفصل بثقة وسرور ونسي مع دخوله الاستئذان على المعلم فلم يشعر المعلم إلا بهذا الشاب داخل الفصل يقطع عليه حديثه عن الشيخ علي الطنطاوي، فالتفت إليه المعلم وقال: من أذن لك بالدخول يا حمار؟ وألجمت هذه الكلمات الأستاذ الطنطاوي وكانت صدمة له.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

صورتان متضادتان في ثوان معدودة، فبينما كان يمدحه إذا به يشتمه، لابد أن هذا المعلم سمع بالشيخ علي الطنطاوي ولكنه لا يعرف أن هذا الشيخ هو هذا الشاب الذي أمامه، وشرد ذهن الشيخ في هذه التداعيات ولم يرجع إلا على صوت المعلم يخاطبه، سنعرف الآن أأنت أكثر علما أم الحمار؟ وألقى عليه مباشرة سؤالا عن بيت من الشعر، فانطلق فارس البيان في الجواب والتفصيل حول هذا البيت وقائله واستطرد في الحديث بصورة أدهشت المعلم حتى قال له: كأنك في علم وبيان الشيخ علي الطنطاوي، ولكنك لست في صورته التي رسمتها له في ذهني. فقال له: بل هذه الصورة الحقيقة لعلي الطنطاوي الذي سمعت عنه ولم تره. هذا الموقف الطريف لعل الشيخ قد كتبه بأسلوبه العذب في كتبه، ولكن حسبي أني رويت عنه هذا الموقف مشافهة. [٦]

هكذا رباني جدي علي الطنطاوي [٧]

حفيدة الطنطاوي –رحمه الله– تروي تجربته التربوية، وقامت بنشرها في حلقات في مجلة "المجتمع «الكويتية» عام (١٤١٧هـ)، ثم جمعتها في كتاب يحمل هذا العنوان، نشرته دار المنار عام (١٤١٨هـ)، وأعيدت طباعته عام (١٤٢١هـ)، ونحن ننقل ملخص تجربة الشيخ علي الطنطاوي –رحمه الله– من هذا الكتاب.

تجربة تربوية فريدة:

تقول حفيدة الشيخ علي الطنطاوي –رحمه الله– عابدة المؤيد العظم عن تجربة جدها: اهتم جدي بموضوع التربية، ونبه الناس إليه في خطبه وكتبه وأحاديثه، وذلك بإنشاء دعامتين أساسيتين:

١– بناء الإيمان العميق.

٢– زرع الإحساس الدائم بمراقبة الله.

---

[٦] هاشم محسن باصرة

[٧] عابدة المؤيد العظم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وضرب لذلك مثلاً وهو عملية البناء، فهو لا يقوم إلا بأساس، ويضع من أراد أن يبني أساساً متيناً بحسب عدد الطوابق، وكلما زادت الطوابق زاد الأساس، ونحن نريد جيلاً عميق الإيمان قوي البنيان يفهم الإسلام فهماً صحيحاً مستقيماً لا اعوجاج فيه، ويتوجب على المربي استغلال المواقف لغرس هذه المبادئ مع التركيز الدائم.

ثم أتم جدي مثاله: تأتي بعد ذلك أعمال مهمة مكملة، لكنها ليست من الأساسيات، مثل: بناء الحوائط ووضع الشبابيك والتركيبات الداخلية، فهي مثل السنن المؤكدة التي ينبغي أن نشجع أبناءنا عليها بطرق متعددة لكن لا نجبرهم عليها، وأخيراً تأتي التشطيبات النهائية حيث يتم كل فرد بناء بيته حسب ذوقه، الرخام أو الدهان أو ورق الجدران...

وأكثر ما يعجبني في جدي أنه كان قدوة في كل ذلك يطبق ما يدعو إليه، فأثبت أن عمل الدعاة في التوجيه لا يتناقض مع تربية الأبناء، فكيف استطاع ذلك؟

بدأ بالتنبيه إلى وجود الله وقدرته منذ طفولة بناته، فإذا طلبت إحداهن منه شيئاً، قال لها: اطلبيه من الله فهو يسمعك ومعك أينما كنت، فإذا أتى بالمطلوب بعد أيام، قال: لأنك قلت: يا رب، رزقني الله مالاً وقدّرني على شراء ما تريدين، وربما اشترى لهن شيئاً لطيفاً ووضعه على طرف سريرها بعد أن تنام، وفي الصباح يخبرها إذا سألت بأن الله رزقها فلتحمده ولتشكره.

وإذا أقدمت إحداهن على ذنب صغير بَيَّن لها أنه عمل سيئ وطلب منها الاستغفار والتوبة لئلا يغضب الله منها ويحرمها ثوابه ولا يجيب دعاءها، وصارت إحداهن تدعو أحياناً بالمستحيل لشدة ثقتها بقدرة الله وقربه منها.

وقد كان يراقبنا عند الوضوء مثلاً وينبهنا إلى وجوب غسل العقب جيداً ويحذر: «ويل للأعقاب من النار» [٨].

---

[٨] رواه البخاري (٥٨)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعندما رأى صلاتي السريعة ولما تفرض عليَّ الصلاة أخذني إلى غرفته ونصحني وذكرني وبيّن أن الصلاة المطمئنة الخاشعة لا تأخذ أكثر من خمس دقائق ولا شيء أهم من الصلاة أستعجل لأجله.

كما كان يمنعنا منعاً عنيفاً من نتف الحواجب أو الأخذ منها ويصوره من العظائم، وكذلك يفعل في لبس ما يصف أو يشف.

أما السنن فكان يحثنا عليها دائماً ويرغبنا ويشجعنا بالجوائز أحياناً لكنه لم يكن يجبرنا أو يكرهنا على شيء منها.

ملامح من شخصية المربي الناجح:

تقبل النقد:

في بعض الجلسات العائلية يطلب منا أن نعينه على نفسه فنهدي إليه عيوبه، كنا نشعر بالحرج فهو كبير العائلة، ونحن نحبه ونحترمه، لكنه كان يصرّ على سماعنا ويقنعنا بأنه لا يوجد كمال في الدنيا، والإنسان مهما كان منصفاً لا يستطيع معرفة نفسه تماماً، وأن يُبَصَّر المرء في الدنيا بعيوبه خير من أن يحاسب عليها في الآخرة... فنذكر له على استحياء وأدب بعض ما نعرفه، فيشكرنا ويعد ببذل جهده للتقويم، وعند اتفاقنا يشهدنا جميعاً بأنه سيحاول التغلب على عيبه ويرجو منا تنبيهه إذا نسي وعاد.

هيبة المربي:

ينجح كثير من الآباء في أن يكون مهاباً قاسياً، يسير أهل بيته وفق مشيئته، لكن قليلاً منهم من ينجح في ضبطهم بالمحبة والمودة واللطف واللين، وهكذا كان جدي، فقد كان يتابع أحوالنا ويهتم بأمورنا ويسأل عن كل فرد، ويحل مشكلاتنا المادية والمعنوية على كثرتنا، ورغم هذا اللطف فقد كان حازماً في موضع الحزم.

فربما مازحنا ثم يعرّفنا أنه حان وقت الجد، وإذا أخطأنا تارة أو تقاعسنا عن ندائه رمانا بنظرة صارمة فتردنا عن الخطأ، وإن كان الخطأ كبيراً زاد إلى نظرته كلمات قاسيات معبرات بهدوء ودون صياح، فالصياح يفقد المربي هيبته، والانفعال يقلل من احترامه ويُدني منزلته، وكانت الأمور تقف غالباً عند هذا الحد، ولئن كان قد اضطر نادراً إلى ضرب بعض الأحفاد كما سمعت فلأن آخر الدواء الكي.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ونظريته التي علمها بناته أن الضرب للتأديب لا للانتقام، فلم يضرب أحداً؛ لأنه كسر شيئاً دون قصد ولو كان ثميناً، بينما عوقب أحد الأحفاد حين كسر زهرية رخيصة عبث بها فوقعت أرضاً، وعلة العقاب التمرد على القانون فالزهرية للزينة لا للعب.

قد يكون المربي اليوم هو الأقوى والأقدر، لكنه غداً الأضعف والأحوج إلى الرعاية والعناية والبر والحب، وما لم يفكر بهذا فهو الخاسر، والضغط يولد الانفجار.

مع الصغار:

في عالم الصغار:

كان جدي لطيفاً معنا ونحن صغار ودوداً، يرحب بنا إذا دخلنا غرفته تاركاً ما بيده مقبلاً علينا فيجلسنا على ركبتيه ويمازحنا ويتفاعل مع قصصنا.

وإذا وجد منا فتوراً ابتكر أسلوباً ليدخل البهجة لقلوبنا، فربما بنى لنا من وسائد الكنب بيتاً للعب، أو صنع لنا طعاماً نسرّ بتناوله، وربما خرج بنا في نزهة ممتعة، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فيا أيها الآباء: ادخلوا عالم أولادكم وعيشوا معهم جَوَّهم وخاطبوهم بلغتهم، واعلموا أن لكم بإدخال الفرحة قلوبهم أجراً ومثوبة، ثم استغلوا هذه اللحظات من القرب في التوجيه وزرع المفاهيم والقيم والأفكار التي تريدون.

المراقبة والمتابعة:

لما كان الكبار يعجزون عن حل شجاراتنا حيث لا يعلمون الظالم من المظلوم، صار جدي يلقي علينا نظرة بين الحين والآخر من نافذته المطلة على الحديقة ليتأكد من سلوكنا، فإذا لاحظ شيئاً مريباً على أحدنا نبهه آخر النهار دون أن يلاحظ الآخرون، وإذا حدث شجار وصراخ وقف بهدوء خلف النافذة مراقباً ما يحدث، ونحن منشغلون بالمشاجرة ثم يخرج إلينا وهو عالم بما جرى فيحقق في الأمر دون أن يشير إلى ما رآه، ثم يوقع العقاب على من يستحقه فقط.

الصدق مع الصغار:

حدثتني والدتي أنها اشتكت وهي صغيرة ألماً في بطنها، فرأى الطبيب حاجتها إلى صورة إشعاعية، وهذه الصورة تحتاج إلى تناول شَربة من الملح الإنجليزي ذي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الطعم البشع والرائحة الكريهة، إلا أن أمي رفضت تناوله فحاولت معها جدتي لإقناعها بأن طعمه ليس كرائحته، فلما تذوقت بعضاً منه ازداد إصرارها على عدم شربه، فحاولت الجدة لإجبارها ورغبت ورهبت لكن دون جدوى، فلما حضر جدي قام بتولي المهمة، فكان صادقاً وأخبرها ببشاعة طعمه، وأنه هو لم يستطع مرةً أن يشربه، وطلب منها أن تكون أشجع منه وأقوى، وتفعل ما لم يستطعه هو؛ ليتم لها الشفاء بإذن الله. قالت أمي: عندما صدقني والدي شربته جرعة واحدة وأنا سادة أنفي مغمضة عيني، لشعوري بأنه مقدر بمعاناتي غير مستخف بآلامي.

إن الأطفال أذكى مما نتصور، فسرعان ما يكتشفون كذبنا عليهم فيلجؤون إلى الأسلوب ذاته للتعامل معنا، والكذب سهل الاكتساب صعب العلاج.

ورغم صدق أهلنا معنا إلا أننا لجأنا في بعض المرات إلى الكذب خوفاً من العقاب، فما تساهل جدي في هذا الأمر، إلا أنه عالجه بحكمة، فإن شك في كذب أحدهم استدعاه ووعده إن صدق بألا يعاقبه، فإذا سمع منه وجهه وعلمه لئلا يخطئ مرة أخرى، وبهذا الأسلوب صرنا نصدقه ونصدق أمهاتنا مهما كان حتى صار الصدق من طباعنا حتى لو أيقنا بالعقاب.

ومن ذلك تعامله مع التكاليف الشرعية والدنيوية، فقد كان يرغبنا فيها بالأجر والثواب لكنه يبين لنا صعوبتها كالصلاة والحجاب أول ما بدأنا فيه، ومن قوله: «كل المعالي ثقيلات على النفس، ترك التلميذ الرائي والإقبال على الدرس ثقيل، وترك العالم مجلس التسلية والاشتغال بالقراءة والإقراء ثقيل، وترك النائم فراشه والنهوض إلى صلاة الفجر ثقيل، وهجر الرجل زوجه وولده ومشيه إلى الجهاد ثقيل، ولا تنكروا وصف الدين بأنه ثقيل، فالله سماه بذلك في القرآن: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} [المزمل: ٥] لذلك تجد الطالحين أكثر من الصالحين والغافلين السادرين في الغي أكثر من السالكين سبيل الرشاد».

التربية بالتشجيع:

أهمية الثناء:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من ذلك أن جدي كان يركز على النواحي الإيجابية في شخصية كل حفيد مثنياً عليه أمام الجميع، مقدماً له الهدايا البسيطة التشجيعية من وقت لآخر.

هذه الطريقة بَنَتْ بيننا وبينه المحبة مع الثقة عندما لمسنا اهتمامه الخاص بنا، مما سهل مهمته في الإرشاد لنا، وتقبلنا منه النقد كما تقبلنا المديح، وسعينا للتخلص من السلبية فوراً لنحصل على ثواب الله ثم رضا جدي وثنائه علينا علناً.

أساليب مبتكرة للتشجيع:

كانت لجدي خزانة خاصة لا يملك مفاتيحها غيره، فيها أشياء كثيرة يسميها (النفائس) من طرائف وهدايا متنوعة الأشكال والأحجام تناسب الصغار والكبار والذكور والإناث من الأحفاد، وهي تصل جدي خفية، ويقدمها في الوقت المناسب مكافأة لمن يستحقها أو يحتاج إلى التشجيع، كما كانت تتجدد باستمرار، حيث يعطي بناته الكبار مبلغاً من المال ويوصيهن بشراء المزيد عند ذهابهن إلى السوق مما يفرح الأطفال.

كم ابتكر شهادات تقدير يخطها بالخطوط العربية تكون تذكاراً أو تقديراً لإنجاز متميز من أحد الأحفاد، فمرة فازت إحدى الحفيدات الصغيرات جداً بشهادة لنجاحها في صنع الشاي دون مساعدة أحد، فخطها وجعل من شهد الواقعة من الكبار أن يوقعوا عليها شاهدين، ومرة استحق أحد الأحفاد هذه الشهادة وسماها: (شهادة الذوق الرفيع في إعداد المائدة)، ومرة حصل حفيد له صام أول مرة وعمره خمس سنوات على هذه الشهادة التي كتب فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم.. يوم الأحد غرة رمضان ١٤١١.. أول يوم صامه فلان، وفقه الله وجعله من الصالحين.. مكة المكرمة).

ولم يكن جدي يبالغ في منح هذه الشهادات في كل المناسبات، بل يختار ما يظنه إنجازاً متميزاً لأحد الصغار، ولهذا بقيت لهذه الشهادات قيمتها، حتى إن بعض الأحفاد لا زال يحتفظ بهذه الشهادة بعد ربع قرن من الزمان.

من العقاب إلى الثواب:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

اضطررنا لظروف البناء أن نجتمع في دار جدي، وكانت أمهاتنا يعاملننا كالكبار مما يزيد بهجتنا فإذا حضر وقت الأكل تركتنا أمهاتنا على طاولة الطعام دون إشراف نأكل ونتحدث، وربما تركنا الطعام نلعب ونضحك، وكانت أمهاتنا يقمن بتنبيهنا باستمرار لنكف عن العبث ونسرع في تناول الطعام، ورغم اجتهادنا في طاعتهن إلا أن شعورنا بالحيوية كان يلهينا أحياناً عن تلك التوصيات فنستحق العقاب.

ولما جاء جدي في العطلة الصيفية ورأى ما يحدث، دخل المطبخ، وتناول ثلاثة أطباق فوضع في أولها عشر ليرات، وفي الثاني سبع ليرات، وفي الثالث خمساً، ثم قال: أنتم في مسابقة «مَنْ ينهي طعامه أولاً» وهذه الليرات جوائز المسابقة، وأنا أنتظر الفائزين الثلاثة في غرفتي، مما أشعل الحماسة في نفوسنا، لقد استطاع جدي أن ينقلنا من جو التهديد بالعقاب إلى جو التربية بالثواب، بلمسة مبدعة، كما جعل إنهاء الطعام هدفنا، وجاء رغبة ذاتية.

تقويم علاقة الوالدين بالأولاد:

التربية على بر الوالدين:

كان أولاً حريصاً على بناته، ربما سهر من أجلهن وربما منعهن من الدراسة بسبب قلة النوم فجعل البرمجة له، ثم كان يتحين الفرص لتركيزنا بأهمية البر، وأيضاً يؤنب من يسترخي وأمه تعمل، ولم يذكر أمه إلا وفاضت عيناه مما يجعلنا نخشى أن نفقد أمهاتنا ثم نتحسر بعد ذلك على عدم البر بهن.

العقاب الرادع:

لما حيل بين جدي وبين بلده دمشق استأجر ذات صيف منزلاً كبيراً في أحد مصايف الأردن الهادئة ليجمع شمل العائلة المفترق، لكن البيت كان بلا كهرباء، فلا تعمل الأجهزة فيه كغسالة الملابس مثلاً، وكنا نحن الصغار نلعب حول البيت في الحدائق والبساتين الواسعة، وفي المساء نعود وقد اتسخت ملابسنا، فنغتسل ثم ننام تاركين أمهاتنا لغسيل الملابس، وفي الصباح نجد الملابس نظيفة فنخرج بها بعد وصايا الأمهات للحفاظ على الملابس، لكننا ننسى التوصيات عندما نندمج في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

اللعب، وفي كل مرة يتكرر الموقف، وربما الضرب والمنع من اللعب، لكن ذلك لم يفد شيئاً، فكيف عالج جدي المشكلة؟

استخدم أسلوباً رادعاً قاسياً حازماً لكنه كان مفيداً فيما بعد، فلما عُدنا ذات ليلة منهكين من اللعب نحلم بالفراش، ألزم كل واحد بغسيل ملابسه قبل النوم كما كانت أمه تفعل، اعتذرنا وحاولنا لكن دون جدوى.

تعبنا تلك الليلة وتجرحت أيدينا الناعمة، وأنهكنا النعاس حتى أشفقت علينا أمهاتنا، ورجونه بالعفو عنا، لكنه كان مصمماً على المضي في العقوبة، لكن ذلك كان علاجاً ناجعاً طوال الصيف، فلم نعد بعدها لأنانيتنا وأثرتنا.

أساليب مختلفة للإقناع:

في نفس الدار كانت البهجة والسعادة، ولم نكن نشكو إلا من كثرة الأعمال المرهقة في المنزل، فلما كثرت شكوانا كلف جدي واحداً يطوف المنزل منادياً لاجتماع خاص بالأحفاد مما أثار الفضول في نفوسنا، فاندفعنا نحوه مسرورين، وقد تهيأنا لتقبل ما سيقال لنا، فأخبرنا أنه جمعنا بناء على شكوانا سالفة الذكر، وقال: إنكم أولاً تقضون النهار كله في اللعب، فهل يعقل أن ترهقكم الأعمال التي لا تتجاوز ساعة أو ساعتين، وثانياً: العمل رياضة مفيدة من وجهين: تحرك عضلات الجسم وتخفف العبء عن أمهاتنا فننال رضاهن ويرضى الله عنا، وثالثاً: إذا ساهمنا في الإفساد فلا بد أن نساهم في الإصلاح، ولو تقاعس الكل عن العمل فمن سيعمل؟ رابعاً: أمهاتنا مثلنا يستثقلن العمل لكنه واجب يجب القيام به. وأخيراً: العمل جزء من الحياة لا بد أن نتقبله، وقد تقبلنا أكثر منه أيام المدرسة، فخرجنا من الغرفة بنفس غير التي دخلنا بها.

العدل والحسم صفتان ضروريتان في المربي الناجح:

العدل في المعاملة:

بعد قناعتنا بأهمية العمل بقيت عندنا مشكلة: عدم شعورنا بعدم العدل، حملنا الشكوى إلى جدنا قاضي الصيف، وكل منا يناقشه لإقناعه بأنه يحمل العبء الأكبر حتى إذا انتهينا كلنا أعلن أنه سيحل المشكلة، ثم أمسك ورقة فكتب عليها الأعمال

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المنزلية المطلوبة يومياً، ثم عرضها علينا لينتقي كل واحد العمل الذي يفضله مراعياً أعمارنا وقدراتنا رغم تقاربنا مسنداً للأكبر أعمالاً أكثر أو أصعب، وبعد التوزيع بالتساوي سطر جدولاً منظماً كتب فيه أسماءنا بخط جميل وأمامها الأعمال التي اخترناها، ثم أطلعنا على الجدول ليتأكد من موافقتنا عليه، ووقع كل منا أمام اسمه، وعندئذ علق الجدول على الحائط في الصالة التي نمر عندها طوال اليوم، فكنا بعد ذلك نقوم بأعمالنا بسرعة وإتقان وعن طيب نفس، ثم نقضي نهارنا كما يحلو لنا.

لقد أراحنا جدي بإحساسنا بالعدل والمساواة، وكان طبعاً فيه، ولم أحس أنه فضل أحداً على غيره أبداً، ولقد علمت عندما كبرت أن بعض الأحفاد أحظى لديه من بعض فكان مفاجأة له، وبعض الصغار يملك من الصفات أو غيرها ما يجعله محبوباً مقبولاً بين الكبار، وهذا قَسْمُه فيما لا يملك.

فيا أيها الآباء: إن من حقكم أن تحبوا بعض أطفالكم أكثر من بعض، لكن من حقهم أن تبقى مشاعركم حبيسة قلوبكم فلا يحسوا بأي مفاضلة.

العدل في العطاء:

ومن الأمثلة على ذلك أنني عندما كنت في الثانية عشرة من عمري أردت ساعة جديدة، بيد أن والدي رفض ذلك بحجة أنني صغيرة، لكن جَدّي عندما جاء في الصيف وعلم برغبتي تلك، صحح على إهدائي ساعة، وطلب من والدتي أن تأخذني وأختَيَّ فوراً إلى السوق وتشتري لكل واحدة منا ساعة بالمواصفات التي تريد، مع أن أختَيَّ لم تطلبا شيئاً ولم تعترضا على شراء ساعة لي وحدي، بل إن الصغرى كان عمرها ثمان سنوات ولم تتعلم بَعْدُ كيف تقرأ الوقت.

لقد أفادتني هذه الوصفة في تعاملي مع أبنائي، فكنت كلما ناولت ابني الكبير شيئاً وقف الصغير ذو العامين بكل أدب منتظر حصته دون اعتراض أو مزاحمة، بل كلما لعبت مع الأول انتظر الآخر دوره مهما تأخر.

علاج حاسم وصريح:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عاد أهلنا من إحدى السفرات لبيروت وكان معهم علب تحتوي قطعاً صغيرة من الحلوى اللذيذة التي يحبها الأطفال، وقد وافق زيارة بعض أقاربنا ومعهم صغارهم، فوزع أهلنا هذه العلب علينا وعلى صغار الأقارب فصار لكل واحد علبة.

أما نحن فقد حمل كل حفيد علبته ودار بها على أقاربنا الكبار الزائرين لتذوقها، فَسُرَّ أولادهم بذلك واحتفظوا بعلبهم مغلقة إلى حين اختلائهم بها، وأخذوا قطعاً من علبنا، ولما لاحظ جدي استغلالهم لكرمنا جمع الحلوى من أيديهم وجيوبهم وأعادها إلينا، وقال لآبائهم: إنه فعل ذلك ليعلم أولادهم أن ما فعلوه بخل واضح وطمع وأثرة لا يرضاها الله، ثم نبه الآباء إلى التربية وتقويم السلوك، وبيّن أن تصرف الأطفال هكذا مألوف لأنهم صغار، لكن الواجب على الآباء التوجيه لئلا يتحول السلوك العفويّ طبعاً يصعب الخلاص منه مستقبلاً.

وقد تنتقدون جدي لهذا التصرف، وأنا رغم سروري بعودة الحلوى إليّ إلا أنني وجدته غير لائق، لكن أقاربنا لا يجدوا فيه غضاضة، فجدي مربٍ للجميع، وقد نبههم إلى لمسة تربوية مهمة لم تخطر على بالهم.

لقد تعلمت أن الأسلوب المباشر مفيد في بعض الأحيان، فبعض الناس لا يدركون أنهم المعنيون إذا استخدمنا أسلوباً مبطناً، وأيقنت أن الخطأ الجلي الذي أمام الجميع يحتاج إلى تصحيح أمام الجميع.

تكوين الشخصية القوية والناجحة:

تنمية الشخصية:

كان جدي يكلفنا بالعمل الذي ينمي شخصياتنا ويصقلها حين يكلفنا بأشياء فوق مستوانا وفوق ما هو متوقع من قدراتنا، كما كان يضفي على تكليفه جواً من المرح يستحيل الصعب معه سهلاً ويصبح ممتعاً.

كنت صغيرة عندما طلب مني أن أصنع له قهوة، ولما قلت له: إني لا أعرف هوّن الأمر ثم أخبرني بخطوات صنع القهوة وفي الخامس منهن قال: خامساً: دعيها تغلي وتغلي وتغلي... حتى تغلي ستا وسبعين فَوْرة، وكدت أثناء صنع القهوة أعد الفورات لولا أن نبهتني أمي إلى أنه يمازحني.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان يدفع أحفاده الصغار للإمامة في الصلاة وهم حديثوا عهد بالبلوغ، وربما عهد إلى بعضهم بشراء بعض ما يلزم البيت وهم صغار، كشراء أشياء طريفة تفرح الصغار، ويترك لهم الخيار في الانتقاء، ثم يشكرهم ويشجعهم حتى لو أخطؤوا، وقد كانت المبالغ التي يدفعها لهم أكبر بكثير مما اعتاد أمثالهم حمله مما يشعرهم أنهم قد كبروا في يوم واحد سنوات عديدة.

الجرأة في الحق:

عندما انتقلت إلى المرحلة الإعدادية كانت ساعات الدوام تبدأ بعد أذان الظهر بقليل، وتنتهي قبيل المغرب بدقائق، ولم يكن في شعبتي طالبة واحدة تصلي في المدرسة، بل ربما سَخِرْن مني لاهتمامي بالصلاة، ونصحنني أن أجمعها مع صلاة المغرب، ثم منعت رسمياً من الصلاة داخل غرفة الدرس، فشكوت لوالدتي ما لقيت، وسألتها عن جواز جمع الظهر والعصر كل يوم، فأفتتني بعدم الجواز، ثم شجعتني على الصلاة في المدرسة بإصرار، مستهدية بإرشادات جدي الذي كان مسافراً حيث علمهن ألا يخفن في الله لومة لائم، فعلّي أنا أيضاً ألا أخجل ما دمت أعمل لرضا الله، وقصَّت عليّ بعض مواقف جدي التي تعرض لها وخرج منتصراً، وأن من ابتغى رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، وأشارت علي بحمل بساط صغير للصلاة عليه أمام الجميع في الاستراحة، وبعد مدة قصيرة تحولت نظرات الاستهزاء إلى نظرات احترام، مما أشعرني بالقوة والفخر والسعادة، وشجع ذلك طالبات صالحات في المدرسة على الصلاة في المدرسة، فصرنا نتناوب على الصلاة لعدم اتساع البساط .. إن الجرأة في الحق تدفع الظلم وتحفظ الحق.

العناية بالصحة والقوة:

لعدة مرات في طريق الخروج من المدرسة تحرض ابنة الجيران أخاها الصغير بإيذاء التلميذة الصغيرة بالحجارة، ويتبعها بالسباب والشتائم، حاولت التلميذة الصغيرة التسامح وحذرت البنت وأخاها من عواقب تصرفاتهم هذه عدة مرات، فزادت وقاحة البنت وتطاولت بالكلام؛ لأنها حسبت التسامح جبناً، فقررت التلميذة الصغيرة أن تدافع عن نفسها فوقفت بكل كبرياء وجمعت قبضتها كما علمها أبوها، وضربت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المعتدية لكمة قوية في بطنها انثنت على إثرها متألمة ألماً شديداً، فعادت التلميذة إلى البيت منتصرة، ومن بعدها لم تتعرض لها البنت ولا أخوها بسوء.

كانت التلميذة الصغيرة هي والدتي، أما أبوها الذي علمها الدفاع عن نفسها، وامتدحها ذلك اليوم فهو جدي علي الطنطاوي، وكانت هذه إحدى لمساته التربوية في التسامح مع الضعيف، واستعمال القوة حين لا ينفع إلا القوة.

لقد علم جدي بناته كيفية الدفاع عن أنفسهن والطريقة الصحيحة في قبضة اليد ومكان ارتكاز الضربة.

وكان يمارس الرياضة دائماً، وقد اقتنى بعض أدوات التدريب الشائعة تلك الأيام، وكان يمشي مشية رياضية مشدود الظهر منتصب القامة ويعلمنا ذلك حتى لا تتأذى فقراتنا الظهرية..

كما كان يعتني بالغذاء الجيد ويوصينا بذلك، وبالمواد الأساسية اليومية في الغذاء، وكذلك النوم الجيد عنده من أهم أسباب المحافظة على الصحة.

تنمية المهارات:

كان جدي يستغل جلساتنا العائلية العادية فيحولها إلى جلسات علمية هادفة، وربما استشهد فيها بالشعر أحياناً، فيلتفت فجأة نحو أحد الأحفاد فيطلب منه إعادة البيت مرة أخرى لاختبار انتباهه وسرعة حفظه، كنا نجد في ذلك صعوبة فقد ننسى بعض الكلمات أو نرتبك، إلا أننا صرنا بعد ذلك ننتبه جيداً، وعودنا أنفسنا على حفظ الأشعار فور سماعها.

ومرة فكرنا بكتابة الشعر، فكتبناه في وصف الطبيعة ونحوها بلا وزن ولا قافية! ثم عرضناها على جدي بكل فخر، فلم يسخر منا بل شجعنا وخاطبنا على قدر عقولنا شارحاً بفكرة مبسطة العروض والوزن والقافية.

وعندما لاحظ نبوغاً مبكراً لدى أحد أحفاده وميلاً أدبياً أرشده إلى الكتب القيمة المفيدة وشجعه على الكتابة، وصار يصحح له ما يكتب.

ولما لمس مني اهتماماً بالتجويد صار ينادني من حين لآخر إلى غرفته ليصحح قراءتي، مما شجع بعض الأحفاد للانضمام إلينا، وعندما لاحظ عدم إعطاء بعض

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المدود حقها من بعضنا بسبب انقطاع النفس، صار يدربنا على الاحتفاظ بالنفس الطويل ويجري مسابقات في ذلك، ويشجع الذي يتحسن أداؤه عن اليوم السابق.

بل كان يشجع أي عمل إيجابي مهما كان بسيطاً فيحاور صاحبه موضحاً له قيمة عمله وحاثاً إياه على تقديم الأفضل، مغدقاً عليه من الثناء والتقدير.

الفرصة ذبابة:

استطاعت ذبابة التسلل ذات يوم إلى غرفة جدي، فطلب مني المسارعة بقتلها، فقمت بتثاقل، باحثة عن مضرب الذباب بتكاسل، ومشيت ببطء، ولما وصلت مكانها وجدتها قد طارت فبحثت عنها، إلا أنها اختفت بين كتب جدي وأوراقه، فغضب مني جدي لتباطئي في التنفيذ، خصوصاً وأنني أضعت وقتاً طويلاً ريثما عثرت عليها وقتلتها، يومها قال جدي: احفظي هذا الدرس جيداً يا ابنتي، وإياك أن تنسيه: «الفرصة ذبابة» إن فرص الحياة كفرصة قتل الذبابة تماماً، فإن تباطأت خسرت كثيراً، وستطير الفرص كما طارت الذبابة، وستحتاجين وقتاً طويلاً وجهداً للبحث عنها، وربما لا تعود.

تكوين فضائل الصفات والعادات:

الآداب الإسلامية الاجتماعية:

كان جدي يرسخ الآداب الإسلامية التي تعلمناها من أمهاتنا ويؤكد عليها، كاحترام الكبير والجلوس أمامه بطريقة مهذبة، وعدم رفع الصوت على صوته، وعدم الاشتراك في حديث لا يخصنا، وإذا أردنا المساهمة بالحديث انتظرنا الفرصة المناسبة ولم نقاطع المتكلم، وكان لا يسمح إلا لشخص واحد أن يتكلم وعلى الباقين الإنصات، وإلا تعرضوا لتنبيه، وكأننا في مدرسة نظامية.

وعندما تمتلئ الغرفة يطلب منا التفسح في المجالس، ونجلس الكبار أماكننا، وعندما نجتمع نحن الأحفاد الصغار وحدنا عنده كان يطبق عليها القوانين ذاتها فيخص أكبرنا بالمقعد المريح ثم الذي يليه... وهكذا، رغم قلة فروق السن بيننا، ويطلب من الكبير أن يفتتح الحديث ويتيح للجميع فرصة المشاركة لكن بنظام وبمراعاة الأعمار، ثم يطمئننا بأننا إذا قمنا على راحة الكبار سيأتي من يقوم على راحتنا إذا كبرنا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الإيثار في الطعام:

مما علمنا ألا نتسابق إلى المائدة إذا جاء موعد الطعام، بل ننتظر حتى يجلس الكبار، ثم نتقدم نحن الصغار طامعين في ثواب الإيثار، ندعو بعضنا إلى المكان الجيد أو نتأخر عن الباقين في البدء بالطعام حتى لا تزدحم المائدة.

كما كان يوجهنا إلى الانتباه إلى عدد الحاضرين وإلى كمية الطعام لنقسم الكمية على عدد ا لحاضرين فنعرف حصتنا ونتيح الفرصة لغيرنا، ولذلك كنا نُبْقي آخر قطعة من أي صنف، وصرنا نسمي القطعة الأخيرة من الحلوى من باب الفكاهة القطعة المقدسة.

ومن الابتكارات التربوية لدى جدّي أنه ذات يوم جاء بلوح كبير من الشوكولاتة وقطعه قطعاً غير متساوية بل متفاوتة كثيراً في الحجم، ثم رتبها على صحن كبير، وأخذ يدور علينا يدعو كل واحد لأخذ قطعة ليختبرنا ونحن لا ندري وقد حدثتني إحدى الحفيدات أنها أخذت ذلك اليوم كبرى القطع، تقول: فنظر إليّ جدي طويلاً، وقال: لقد أخذت أكبر قطعة يا ابنتي، فشعرت بالحياء الشديد ولم أدر ما أفعل، ثم علقتْ: لقد مر على هذه الحادثة عشرون عاماً، لكني لم أنس أبداً هذا الدرس، ومن يومها صرت أختار من العصير أقله تعبئة ومن الطعام أقله كمية، وأتأخر في الطعام حتى يستوفي الحضور حاجتهم منه ثم أتقدم طمعاً في الثواب.

احترام الموعد:

احترام الموعد صفة لم يخلفها جدي أبداً، وكان إذا أراد الخروج يعد عدته ويجهز الأوراق اللازمة، ويلبس ثيابه ويجلس على كرسي عند الباب ممسكاً ساعة يدوية صغيرة مراقباً عقاربها، كارهاً دقائق الانتظار الأخيرة، وكنت إذا جلست عنده أتحدث ينشغل عني بانتظار السيارة التي سوف تقله إلى مبنى التلفزيون لتسجيل برنامجه.

وكان يتجهز قبل مواعيده بعشر دقائق، ويجلس في غرفة الاستقبال منتظراً من واعده من الزائرين، ويعد من يتأخر عن موعده مرتكباً ذنباً يستحق العقاب عليه، وقد انتظر مرة رجلاً واعده في زمن محدد، وانزعج كثيراً من تأخره، وبدا على وجهه حتى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مرت ثلث ساعة كاملة، وحينها حضر الرجل، ففتح له الباب كاظماً غيظه، وأدخله غرفة الضيوف، ثم تركه وحده وجلس مع جدتي وبناته ثلث ساعة كاملة، بالقدر نفسه، تاركاً الرجل دون استضافة ليقدم له درساً عملياً بالأذى الذي يسببه تأخره على الآخرين، ثم استقبله وأكرمه.

أما نحن المقربون فقد كنا نحذر تقديم وعد لا نضمن تنفيذه أو الوفاء به.

تقدير النعم والمحافظة عليها:

الاعتناء بالأشياء:

عاش جدي حياة حافلة بالتغيرات، فكان العالم الذي فتح عليه عينيه ودرج فيه أيام طفولته غير العالم الذي نعيش فيه اليوم، فهو قد عايش التطور التقني من أوله، وبدأ حياته صعبة شاقة ثم دخلها التطور فصارت مريحة مما جعل للأشياء عنده قيمتها.

وخوفاً من أن يصيبنا البطر؛ لأننا لم نعانِ كما عانى فقد أشعرنا بقيمة الأشياء في حياتنا، لما توفره من سرعة في الأداء وراحة من العناء، فواجبنا بالتالي المحافظة عليها.

بل كان يحرص حتى على الأشياء الصغيرة التي لا تخطر بالبال، لئلا يصبح سلوك عدم الاهتمام عادة يصعب التخلص منها، وقد كان ينهانا مثلاً أن نتناول شيئاً من التحف فنعبث به أو نقلبه بين أيدينا ونحن نتحدث، بل كان ينهانا عن شد شريط الهاتف اللولبي.

ولم يكن في قاموسنا أن الأشياء ترمى، بل كل شيء مرتب، والفاسد يصلحه، وما أنهكته الأيام فيعطى لعائلة تحتاجه.

المحافظة على النعمة:

فمن ذلك عدم ترك الأنوار مضاءة في الغرف الفارغة، وإحكام إغلاق صنابير المياه، وتناول المناديل من علبتها بحسب الحاجة، وأهم من هذا كله عدم رمي الطعام حتى كسرة الخبز فكان يخوفنا بعقاب الله إن رميناها، وأننا قد نحرم منها في الدنيا قبل الآخرة، بل يحرص حتى على عدم إبقاء شيء من الطعام في الصحون، ومما تعلمنا أن نأكل البائت ولا نجد في ذلك حرجاً.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

في عالم الكتب وفي رحاب المعرفة:

الأحاديث المفيدة:

كان يحول جلساتنا العائلية إلى فائدة وكانت أيضاً ممتعة ومسلية، حتى أننا ونحن صغار كنا نترك اللهو لننضم إلى هذه الجلسات، وقد كان يلتقط كلمة من الحديث الدائر بيننا ليحوّل بها مسار البحث وينتقل إلى الموضوع المفيد.

قال أحدهم بالفصيح: هل تغلق الباب من فضلك؟ فجعل جدي من كلمة (تغلق) مدخلاً إلى حديث طويل ممتع سائلاً عن الدولة التي نسبت إلى (تغلق) ومتى وأين قامت فدخلنا في التاريخ والأعلام حتى وصلنا إلى الدين وما حققته هذه الدولة بسبب تمسكها بالإسلام.

وكان في نهاية هذه الجلسات يرشدنا إلى الكتب التي تفصِّل ما طرح من معلومات، وربما حدثنا عنها وعن مؤلفها مشجعاً على الرجوع إليها.

المراجعة في الكتب:

كان جدي يهتم بالإجابة على أسئلتنا المختلفة، مسمياً لنا الكتب التي استفاد منها مثنياً على علم مؤلفيها مؤكداً المراجعة فيها، حتى حفظنا أسماء بعض الكتب وأسماء مؤلفيها، بل وموضوعاتها الرئيسية من فقه وحديث وتفسير، ونظام الكتب في التبويب...، وكان يدعونا أحياناً إلى مراجعة أسئلتنا الفقهية والدينية رغم صغرنا فيسأل: ما موضوع السؤال (تفسير، تاريخ، فقه)؟ وفي أي كتاب نتوقع الإجابة؟.. ثم يحيلنا على مكتبته الواسعة ونبحث بإرشاد جدي حتى نصل إلى المسألة فنقرأ ويشرح.

قيمة الكتاب:

ما رأيت جدي يحب شيئاً حبه للكتب، ولما اضطرته الظروف مفارقة بلده وترك بيته لم يسأل عن شيء من متاع أو مال غير كتبه، كتب متحسراً: (دنيا طالب العلم مكتبته، ومكتبتي في الشام مودعة في خمسة وثمانين صندوقاً لم تفتح من إحدى عشرة سنة، ولست أدري أأكلتها الأرضة أم هي سالمة لا تزال؟ وأنا هنا محروم منها لا أستطيع الوصول إليها) ولعلها الآن قاربت الثلاثين عاماً.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لقد قال: إنه يقرأ في كل يوم ساعات، فإذا أقلّ القراءة يوماً قرأ مئة صفحة، وإني إذا حاولت استرجاع صورته تخيلته جالساً في زاوية مخصصة واضعاً نظارته ممسكاً بواحد من كتبه وقد حفت به أكوام من الكتب والمجلات والجرائد والأوراق مجمّعة على غير نظام تنتظر دورها للقراءة أو الفرز والتوزيع، هذه هي العدوى الأولى التي نشرها بين أهل بيته (حب الكتب).

والعدوى الثانية: احترام الكتاب والعناية به، حيث كان التعامل مع الكتاب علماً لا بد من إتقانه؛ لأنها نسخة واحدة قد يرثها الأبناء، أما تناول الكتاب من الرف فطريقته أننا نضع السبابة على الطرف العلوي من حرفه الخلفي ونميله برفق...، وتقليب الصفحات له فن آخر، كما كان يحظر علينا وضع قلم رصاص داخل الكتاب، أو نضع الكتاب مطوياً على الأرض... كما كان لا يسمح بخروج الكتاب خارج بيته إلا بظروف استثنائية وتحديد مدة، ثم يسأل المستعير عن كل ما قابله أو هاتفه، وربما ندم على استعارته.

فن القراءة:

يقول: (كنت طوال عمري عائشاً وحدي، أنيس كتابي، فكنت أمضي يومي إلا ساعات المدرسة في الدار لا أجد ما أشغل به نفسي وأملأ به فراغ حياتي إلا القراءة) ولقد تعلمت منه أن أقرأ كل يوم عدداً من الصفحات لا يقل عن عشرين مهما كانت الظروف والمشاغل فإني إن تعللت وتثاقلت عن المطالعة بسبب الظروف ما كنت لأقرأ أبداً؛ لأن الملاهي والصوارف لا تنتهي.

والطريقة الصحيحة التي علمنيها للقراءة:

١- أقرأ العنوان جيداً.

٢- أنتبه لاسم المؤلف، فلا يصح أن أقرأ لأي كاتب، وقد سمى لنا بعض الكتّاب لا نقرأ لهم قبل أن يشتد عودنا كجورجي زيدان مثلاً.

٣- أقرأ المقدمة بعمق، فهي تبين هدف الكتاب، ومحتوى الكتاب، والطريقة التي عرض بها المؤلف الأفكار...

٤- أستعرض فهرس الكتاب فأستوعب محتواه وأحيط بمادته بنظرة سريعة شاملة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

٥- أقرأ الخاتمة إن وجدت بعمق؛ لأنها الزبدة والمغزى.

وبهذا نأخذ فكرة عن مضمون الكتاب في زمن وجيز فإن أحببناه قرأناه أو تحولنا إلى سواه.

مهلاً قبل مغادرة القراءة:

نصيحتي لكم ألا تملوا من التربية بل ثابروا، وكرروا المحاولات، وليس شيء ينفع في التربية كالتكرار والمداومة على التوجيه.

إحدى الحفيدات مقصرة في دراستها رغم تميزها في مواهبها وقدراتها فكان جدي إذا رأى منها هذا العيب يقول:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

لقد ردد على مسمعها هذا البيت مئات المرات شهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام دون يأس، حتى استقام هذا الطبع فيها أو كاد.

وأرى مبتلاة بسرعة الكلام، فنبهها إلى ذلك العيب وأرشدها إلى إخراج كل حرف من مخرجه الصحيح مع إبطاء تدفق الكلمات، واتفق معها على أن تنطق كلمة واحدة كلما ضم أصبعيه وتصمت برهة ريثما يباعد بينهما، واستمرا هكذا سنوات عدة كلما اجتمع بها في الشام صيفاً ثابر على العلاج، حتى حسن كلامها.

وبعد:

فقد أهملت من تربية جدي الأمور العامة التي يشترك فيها معظم الوالدين، والتوجيهات التي يقدمها عادة الآباء للأبناء، وصرفت جهدي في تلمس تلك الملاحظات الصغيرة واللقطات العابرة التي بقيت عالقة في نفسي لإبداع جدي في عرضها.

إنها مواقف بسيطة تقع كل يوم في كل بيت مما يجعلنا لا نلقي لها بالاً ولا نعدها ذات شأن، لكن جدي نجح في اصطيادها فوضع منها منهجاً تربوياً متميزاً.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمات لعلي الطنطاوي

مختارات من أقوال له رحمه الله، اختارتها ابنته أمان علي الطنطاوي مما قاله وكتبه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلسطين

- «كتب الله لهذه الانتفاضة الاستمرار والقوة، لأنها قامت لله لا للدنيا.. وما كان لله فهو المتصل».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «ليست قضية أهل فلسطين وحدهم، ولا قضية العرب، لماذا تسمونها عربية، وفي العرب من لا يرى فيها رأيكم... لما لا تجعلونها إسلامية، إن أيدي المسلمين جميعاً تمتد إليكم لتكون معكم إن جعلتموها جهاداً في سبيل الله».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٩

- «صغرت إسرائيل أكثر لما بدأت هذه (الانتفاضة) صبيان يقاتلون بالحجارة جيشاً يملك أعتى وأقسى ما أوحى به الشيطان إلى أوليائه من وسائل القتل والتدمير والهلاك...».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٣

- «حسبوا الانتفاضة فورة حماسة تستمر ساعات ثم تخمد، فإذا بها تستمر الشهر والشهر الذي بعده، والشهور تتوالى، والانتفاضة لا تزداد إلا قوة».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «كتب الله لهذه الانتفاضة الاستمرار والقوة، ذلك بأنها ليست حركة وطنية ولا قومية.. ولا قامت لمجرد استرداد الأرض بل لأنها جهاد...جهاد لله».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «إن هذه الانتفاضة جهاد بالمعنى الذي عرفه الإسلام، بذل الروح لله وحده، وابتغاء الجزاء منه وحده...جهاد من يظفر به يظفر بنيل الأماني وبلوغ الغايات ومن يمت ينل ما هو أكبر من متع الدنيا كلها، رضا الله والجنة».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «لقد علمونا في المدرسة أن كل أمر مخالف لطبيعة الأشياء التي طبعها الله عليها لا يمكن أن يدوم، فهل ترونه أمراً طبيعياً أن تعيش دولة صغيرة قائمة على الباطل وعلى سرقة الأرض وطرد سكانها؟!»

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٦

- «هؤلاء الذين لا يملكون إلا حجارة أرضهم وأيديهم التي تطلقها، لو كان عندهم مثل سلاح اليهود، أو كان عندهم نصفه، أو رُبْعه أو عُشْره هل كان يبقى اليهود في فلسطين؟!»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «إنكم ترون أننا بحجارة أرضنا، وسواعد أبنائنا، نكاد نطرد الكلاب من بلادنا».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «إن الذين دعوتموهم جنود الحجارة ما ضعفوا وما استكانوا، جادوا بأرواحهم (والجود بالروح أقصى غاية الجود)، ثبتوا هذه الأيام الطوال...ونحن المسلمين الذين فرض الله علينا أخوتهم وأوجب علينا نصرتهم ألا نُلام؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٤

- «أسباب النصر رجال وسلاح، فما الذي ينقصنا منها؟ هل ينقصنا العَدد أم العُدد، أم العلم؟!»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٥

- «لقد غزا ديار الشام من هم أكثر من اليهود عَدداً وأقوى جنداً وعُدداً، وأقاموا فيها دولاً عاشت دهراً، ثم دالت هذه الدول وعاد إلى الأرض أصحابها».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٦

- «إن أقوى أسلحة النصر الإيمان، إنه يكسب صاحبه النصر العاجل، الذي يثير القوة المدخرة، لذلك كانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٧

- «إن القدس بقيت قرابة قرن من الزمان بيد الصليبيين، فهل دام في القدس حكم الصليبيين؟»

كتاب «هتاف المجد»

- «إن اللص الذي ينام ويده على السلاح لا يستطيع من الخوف أن يستسلم للمنام، فكيف يشعر اليهود بالأمن والاستقرار في فلسطين ونحن لهم بالمرصاد».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٨

- «ما أوقح إسرائيل!...هل احترمت مقدسات أحد حتى تطالب بأن تحترم مقدساتها التي لا قداسة لها؟ أما أحرقت المسجد الأقصى؟ أما حاولت زعزعة أساسه، وهز أركانه لعله يسقط؟ أما حفروا بحذاء جداره..ينزلون في بطن الأرض يأملون أن يصلوا إلى الأساس، فيظهر تحته أثر هيكل سليمان، وليس أمامهم إلا جدار الأقصى، ولو حفروا بحذاء قلعة خمسة عشر متراً لتزعزع جدارها ومالت لتنهار... أما دنسوا وآذوا كنيسة القيامة التي يقدسها النصارى وسرقوها».

كتاب «هتاف المجد»

- «سرقوا الكنيسة، أحرقوا المسجد، لصوص ومخربون ويشكون ويبكون إن هاجمهم أطفالنا؟!»

كتاب «هتاف المجد»

- «ما كانت قط قلوب أقوى ولا أطهر من قلوبنا، ولا كانت سيوف أحدُّ ولا أمضى من سيوفنا، ولا كان مجد أعظم من مجدنا، ولا تاريخ أحفل بالنصر والنبل من تاريخنا».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٤

- «نحن لا نبغي عدواناً، ولا نطلب باطلاً، إننا نطلب الحق، وسنحارب إن لم نعط الحق. نحن نحارب لا بغياً ولا ظلماً فلا ينصر الله ظالماً، ولكن دفاعاً عن أنفسنا وعن الحق. نحن نحارب دفاعاً عن كرامة الإنسان».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٨

- «يا أيها العرب في كل أرض، يا أيها المسلمون تحت كل نجم، يا أيها الرجال، يا أيتها النساء، لقد أزفت ساعة المعركة الفاصلة، فليحمل كل رجل منكم وكل امرأة فيكم نصيبه منها، واعلموا أن الظفر لكم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٩

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «إنها معركة الخير والشر قد عادت، ونحن أبداً حملة لواء الخير في الدنيا، ونحن حماة الحق في الأرض، ما أضعنا الأمانة التي وضعها على عواتقنا خمسة ملايين من شهدائنا نثرناهم على الأرض خلال قرون».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٧

- «لقد هببنا لنطهر بلادنا من اللصوص، ولنعيد بناء دارنا، ونرفع عليها لواء مجدنا، ونسترجع تحت الشمس مكاننا».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٧

- «ما سمعت أذن الزمان تاريخاً أحفل منه بالمفاخر، وأعنى بالنصر، وأملأ بالأمجاد، ووالله الذي جعل العزة للمؤمنين وجعل الذلة لليهود.. لنكتُبَنَّ هذا التاريخ مرةً ثانية، ولنَتلُوَنَّ على الدنيا سفْر مجدٍ ينسي ما كتب الجدود».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٧

- «يا أيها المجاهدون في كل مكان اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٢٩

- «لا تجزعوا أن استيأس فيكم ثعلب أو استنسر بغاث، ولا تخافوا إن كان للإسلام عدو يتربص به وبأهله ريب المنون، ينكل بهم وينالهم بكل مكروهة من لسانه ويده، لا، ولا تخافوا إن بغى المستعمر، أو غدرت إسرائيل، أو ضاعت فلسطين، وكان ما نشكو منه ونتألم، فما هي بأولى المحن التي مرت علينا –نحن المسلمين– إنها واحدة مما ألفنا من النوب وعرفنا».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٣١

- «كم ممن ظهر واختفى، وولد ومات، والإسلام هو الإسلام، ما ازداد إلا قوة وأبداً».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٣٢

- «لا تخافوا، فو الله لا الفرنسيون ولا آل صهيون، ولا دول الأرض كلها تستطيع أن تبيد شعباً عربياً مسلماً، أو تذله فتسلبه عزة نفسه وقوة إيمانه».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٣٦

- «الإسلام في ذاته قوة لا يحتاج إلى قوة أتباعه ليؤيده بها، بل هو الذي يؤيدهم بقوته فينصرونه».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٣٩

- «الإسلام ينتشر اليوم بنفسه في أرقى ممالك أوربة، وفي أحط بقاع أفريقيا، والمبشرون لم يستطيعوا أن يدخلوا في النصرانية (مسلماً واحداً) إنهم يجمعون الجهلة الذين لا يعرفون ما الإسلام.. ثم يلقون عليهم عجائب المسيح، فإذا وصلوا إلى موضع المعجزة صاحوا بلسان واحد متعجبين: الله أكبر، لا إله إلا الله».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٣٩

- «هل عرفتم الصواعق المنقضة؟ هل رأيتم الصخور المنحطة من أعالي الجبال؟ والسيول الجارفة؟ والبركان الهائج، و... كل ما في الكون من قوة؟ إنها لن تصد غضبة المسلم إذا كانت لله ولمحارمه ولدينه... وهل يخيف الموت رجلاً يطلب الموت؟؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٤٠

- «إنّ سر قوة هذا الشعب، إنما هي عقيدة القضاء والقدر على الوجه الإسلامي الصحيح».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٤٠

- «إنّ قضية فلسطين قضية حق، لا يستطيع منصف في الدنيا إلا أن يكون معها، وهل فيها منصف واحد؟!»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٤٥

- «أين حقوق الإنسان التي أعلنوها، أين الوعود التي قطعوها على أنفسهم في الحرب الماضية؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦٠

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «ماذا يريد منا هؤلاء؟ وإلى متى يظنون أننا نستطيع أن نصبر؟ إلى متى نصبر ونحن نرى بلادنا في أيدي عدونا؟ ونرى رجالاً مصرعين على أرضنا، ونرى معابدنا قد غدت مثابة للفجور؟ ومقابر أجدادنا أضحت ملاعب الخيل؟.. إلى متى نصبر؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦١

- «يا أيها العرب، إنّ الحق ما قاله فارس الخوري أن مشكلة فلسطين لا تحل في أروقة مجلس الأمن، ولكن على ثرى فلسطين».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦١

- «يا أيها العرب إني لا أخشى شيئاً كما أخشى أن تنسوا قضية فلسطين ولن تنسوها إن شاء الله».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦١

- «لا تيأسوا، إن المستقبل لنا، وسنسترد فلسطين، سنستردها، والله الذي لا إله إلا هو، كما استرددناها من قبل، ممن كانوا أقوى وكانوا أغنى، وكانوا أكثر من الصليبيين، استرددنا القدس بعدما بقيت في أيديهم نحواً من مائة سنة».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦٢

- «في كل شبر من فلسطين بقعة حمراء من أثر الدم الذكي، دم الشهداء الذين سقطوا صرعى دفاعاً عن بيوتهم وقريتهم، وعن شرفهم ودينهم، ودم النساء والأطفال الذين ذبحهم اليهود».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦٥

- «بيوتنا التي عمرناها بأيدينا، أقام فيها اليهود، وفُرشنا التي فرشها لنا نساؤنا نام عليها اليهود».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦٥

- «نحن العرب، نحن المسلمين، نحن أبناء من فتحوا الدنيا، نحن سلائل الأبطال الأماجيد».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٧٢

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «إن لكل أمة يوم عز، تستفرغ فيها قوتها، وتستنفذ طاقتها، ثم تعود إلى خمولها.. لكل أمة يوم واحد ثم تنام إلا هذه الأمة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٧٣

- «هل في الدنيا رجل يحترم رجولته، وإنسان يقدر إنسانيته، يقر منطق الصهيونية وأنصارها، يا صاحب الدار: إني أريد أن أسكن في دارك، فاخرج منها وتنازل لي عنها، وإلا ذبحتك وذبحت أولادك!! »

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٤٥

- «الحق معنا، ولكن سنة الله في هذا الدنيا أنّ الحق إن لم تكن معه القوة سطا عليه الباطل حيناً، وللباطل جولة ثم يضمحل، ونحن لما تركنا سنة الله، ولم نحمِ حقنا بقوتنا كان ما كان في فلسطين».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٤٥

- «إننا ما غُلبنا في فلسطين، وإنما غلبت فينا خلائق غريبة عنا، خلائق قبسها بعض رجالنا من أعدائنا، خلائق التفرق والتردد وموالاة الأجنبي، هذه هي خلائق الهزيمة».

كتاب «هتاف المجد»

- «كانت القدس في أيدي الصليبيين المستعمرين، كانت في أيديهم لا من شهر ولا شهرين، ولا من سنة ولا من سنتين، بل لقد بقيت في أيديهم نحواً من مئة سنة».

كتاب «هتاف المجد»

- «بقيت القدس في أيديهم مئة سنة لو مرت على غير المسلمين ليئسوا منها، ولكن المسلم لا يعرف اليأس، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون».

كتاب «هتاف المجد»

- «اسألوا قوم بلفور كم من حق فلسطين سلب، سلوا قوم بلفور كم من دم أُريق، سلوهم كم من نفوس أزهقت، كم من أرواح ذهبت، كم من ولد أصيب، وهو على يد أمه، وكم من أم أصيبت وفم صبيها على ثديها، فرضع منها مكان اللبن دماً».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٠

- «سلوا أدعياء الديمقراطية، أكانت فلسطين ملك بلفور، بالسجل العقاري، قد شراها بمال، أو ورثها عن أبيه حتى يتصرف فيها هبة ووعداً!!.. لكن لا، لا تسألوهم ولا تكلموهم، بل اعتمدوا على ربكم ثم على أنفسكم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥١

- «إنّ أبطال الرياضة يا سادة إذا لم يتدربوا، قبل أن يدخلوا المباريات المتعبة تذهب قوتهم، ونحن المسلمين أبطال البشر، وكلما بعد عهدنا بالتدريب كتب الله علينا دورة تدريبية جديدة، وكلما انقضت مباراة جاءت مباراة أشد منها».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥١

- «لا تشكوا في النصر، فإنّ النصر لكم إن كنتم مع الله، إن أقمتم دينه، وإن حكمتم شرعه».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٢

- «أنا لا أخشى قوة اليهود ولكن أخشى تخاذل المسلمين، إنّ اليهود ما أخذوا الذي أخذوه بقوتهم ولكن بإهمالنا، إنّ إهمال القوي هو الذي يقوي الضعيف».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٣

- «إنّ هذه الدول لا يمكن أن تدوم، لا يمكن أن يعيش مليون يهودي في أرض مقتطعة من بلاد فيها خمسمائة مليون».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٤

- «لن يكون صلح أبداً، أبداً.. واللسان الذي يتكلم في الصلح يقطع، واليد التي تمتد للصلح تبتر، لا صلح أو يعود الحق إلى نصابه والوطن إلى أصحابه».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٤

- «إنّ قضية يؤمن بها ويدافع عنها ألف شخص لا تموت، فهل تموت قضية فلسطين وقلوب خمسمائة مليون إنسان تخفق بذكرها من العرب المسلمين، والمسلمين غير العرب، والعرب غير المسلمين، من أقصى الشرق إلى أقصى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المغرب، من الصين والملايا إلى الجاليات الإسلامية في باريز ولندن ونيويورك وبونس آيريس؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٤

- «إنّ روح البطولة لا تذهب من نفوس المسلمين إلا إذا ذهبت أرواحهم، إنّ محمداً –صلى الله عليه وسلم– قد جعل كل واحد من أمته بطلاً على رغم أنفه».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٥

- «يا أيها الناس استعدوا وأعدوا للعدو ما استطعتم من قوة، وكونوا أبداً على حذر، ولكن لا تيأسوا ولا تتشاءموا، فإننا ماشون إلى الأمام».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٦

- «إنّ البلاد الإسلامية كلها، تنسى إذا ذكرت فلسطين قضاياها، لأنّ قضية فلسطين هي القضية الأولى لكل قطر مسلم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٥٧

- «انظروا هل التقى عربي ويهودي، إلا كانت العزة للعربي والذل والمسكنة لليهودي، هل كان من العرب لهم إلا النبل والشرف والوفاء».

كتاب «هتاف المجد»

- «لماذا يصير الحق باطلاً إن كان في يدنا؟ لماذا تصير الجريمة مكرمة وعدلاً إن كانت علينا؟ لماذا تصير السيئات حسنات إن كانت السيئة إلينا؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٦٠

- «إنّ الدنيا مقبلة على غمرات سود، ومرتقبة أحداثاً جساماً، وستكون معركة لا يخرج منها إلا البطل، فيا أيها العرب: تيقظوا وتنبهوا وثقوا بربكم وعودوا إلى خلائقكم، واعرفوا أقداركم، واعتمدوا على نفوسكم، وأيقنوا إن فعلتم أنكم منصورون منصورون منصورون... يستحيل أن تغلبكم كلاب يهود».

كتاب «هتاف المجد»

- «(الله أكبر) هذا هو هتافنا في حربنا، ونداؤنا لصلاتنا، ودعاؤنا بين يدي ربنا، فكونوا مع الله، ولا تخشوا شيئا، لأنّ (الله أكبر) من اليهود وممن يشد أزرها».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٣

- «إن كنتم مؤمنين بأنكم تدافعون عن حقكم، فلن يغلبكم أحد».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٤

- «إنه ليس على ظهر الأرض شعب كهذا الشعب الذي صبّ محمد –صلى الله عليه وسلم– البطولة في أعصابه، حتى لا يكون المرء عربياً ولا يكون مسلماً حتى يكون بطلاً».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٤

- «قبل حرب الميدان، يجب الحرب بالعلم، والأخلاق، وبالدستور الاقتصادي الصحيح، وأعدوا لهم كل أنواع القوة: قوة الجسم، وقوة العقل، وقوة القلب، وقوة المال، وقوة الجيش».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٥

- «لا تخافوا سلاحهم فإنّ أجدادنا ما حاربوا الأبيض والأسود، ولا فتحوا الشرق والغرب، ولا ملكوا ثلثي العالم المتمدن في ثلثي قرن،لأنّ سلاحهم أمضى، أو لأنّ عددهم أكثر، ما انتصروا إلا بالإيمان... الإيمان بالله، الإيمان بالظفر، الإيمان بأنّ الحق معهم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٤

- «هل لأمة مثل مالنا من الحزم والعزم، وركوب الفلوات، وافتتاح اللجج، والضرب في الأرض».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٩

- «أفعيينا (معشر العرب) أن نتقلد السلاح ونرجع أمجاد الأجداد؟ أتعجزنا حرب إسرائيل؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٠

- «أهؤلاء الزعانف أوباش الأمم، أم دول أوروبة لما رمتنا عن قوس واحدة أيام الصليبين؟ أهؤلاء أم سيول التتار، لما قادهم إلينا هولاكو فحطوا علينا حط الجراد ؟

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أهذه (الدويلة)... أم دول الصليبيين التي شاخت في أرضنا إذ عاشت فيها أكثر من مئة سنة؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٠

- «أما ترون شباب فلسطين، طلاب الجامعة، تلاميذ المدارس، عمال المصانع، يزلزلون الأرض! إنهم لا يحفلون جندها، ولا يبالون سلاحها، ولا يخشون حديدها ونارها.. إنّ هاهنا شعباً يريد أن يموت ليحيا وطنه، فهل تستطيع إسرائيل أن تبيد الشعب كله؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٠

- «يا أيه الحاكمون في بلاد العرب؟ لا تطفئوا هذه الحماسة، لا تزهقوا هذه الروح».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٠

- «أما نصرنا الله في أيام أشد من هذه الأيام؟ أضاعت ثقتنا بالله ثم بأنفسنا وبماضينا وبأمجادنا؟ ألا ترونها تتلظى في العروق الدماء وتتفجر في الرؤوس الحماسة؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٠

- «إلى السلاح – يا عرب، إلى السلاح – فنحن في حرب ما بقي في فلسطين يهودي واحد. إلى السلاح – فنحن في حرب ما بقي في بلد إسلامي معتد واحد. إلى السلاح– يا عرب، إلى السلاح جميعاً، إلى الحرب، وإن فقدتم السلاح فحاربوا بالعصي، وحاربوا بأيديكم، واطلبوا الموت يعجزوا عنكم، لأنهم لا يستطيعون أن يقتلوا ملايين تريد الموت».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩١

- «فإذا كنتم مؤمنين بأنكم تدافعون عن حقكم فلن يغلبكم أحد».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٨٤

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «الطريق الذي يوصل وحده، إلى استعادة الحق المسلوب، والنصر الضائع، طريق المعركة الحمراء، التي لا يظفر فيها إلا من حمل سلاحين، سلاح الإيمان في قلبه وسلاح البارود في يده».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٣

- «إن اليهودي يقاتل حينما يكون في قلعة حصينة، أو دبابة متينة يستر جنبه بالحجارة والحديد، كما قال تعالى: {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٤

- «يجب أن تعرفوا وتؤمنوا أنه لم يغلبنا اليهود على فلسطين ومتى كان اليهود يغلبون المسلمين! »

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٤

- «لم ننهزم نحن، وهل حاربنا حتى ننهزم، إنما انهزمت فينا الأخلاق التي استوردناها من بلاد غيرنا وتركنا لأجلها سلائق عروبتنا وأخلاق ديننا».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٤

- «إن كل حق لا يؤيده فم المدفع حق معرّض للاغتصاب».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٥

- «احمدوا الله على أنّ فينا اليوم حكومات منا ولنا إذا نادت وجدت في الشعب المصغي، وإذا نادى الشعب وجد منها الاستجابة».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٥

- «هل تظنون أنّ أمة هؤلاء أطفالها تعجز عن أن تنال استقلالها بأيديها؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٦

- «لقد غلبنا فرنسا في معارك استمرت سنتين فهل نعجز عن حرب يهود».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٦

- «لقد طلع الفجر وأبصرنا الطريق ولن نرجع إلى ظلام الليل، لقد عرفنا أنه لا يُحتَرم إلا حق القوي، فإلى القوة».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٧

- «سلاح الإيمان في قلوبكم وسلاح الأخلاق والعلم والمال، والله معكم إن تنصروا الله بأموالكم وأنفسكم ينصركم ويثبت أقدامكم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ٩٧

- «أنتم الغالبون ما كنتم مع الله، والنصر لكم ما نصرتم الله وحاربتم لإعلاء كلمة الله»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٦

- «سيصاب منا رجال ورجال، وستخرب لنا دور ودور، وسيأخذ العدو مناطق من أرضنا ومناطق، هذه هي الحرب لكن هذا كله لا يفت في أعضادنا، ولا يدخل الضعف على قلوبنا».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٦

- «لقد محيت بولونيا من خريطة أوربا مرات ثم أعادتها عزائم أبنائها».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٦

- «يا أيها الناس دعوا اللهو والترف ودعوا الخلاف والنزاع، وكونوا جميعاً جنود الله في المعركة الحمراء، فهذه بشائر قد بدت لكم، وهذا هو فجر يومكم الجديد قد انبلج فاصبروا فالنصر لكم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٨

- «اعلموا أنّ أجدادكم ما فتحوا الدنيا ولا حازوا الأرض بكثرة عددهم ولا بمضاء سلاحهم، فأعداؤهم كانوا أكثر عدداً، وأمضى سلاحاً، بل لأنهم كانوا مع الله فكان الله معهم».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٨

- «إنّ في بلادنا (أعني بلاد العرب) كل ضروري فلا نفقد بهذه المقاطعة إلا قليلاً من وسائل الترف، مما يضر ولا ينفع».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١١٨

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «يا أيها العرب إذا لم تعطوا الحق إلا بالحرب.. حرب الكلام، وحرب الحسام، وحرب الاقتصاد، فنحن وراءكم، ونحن أمامكم، ونحن معكم، حتى نطهر فلسطين من كل رجس صهيوني».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١١٩

- «أتأكلون وتشربون، وتلعبون وتطربون، وأهل فلسطين يموتون؟»

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٦٦

قضايا اجتماعية

- «لا؛ لا يصح أن يبنى الزواج على الحب وحده إلا إن صح أن تبنى العمارة الضخمة على أساس من الملح، في مجرى الماء».

كتاب «مع الناس»، ص. ٥٤

- «إنما يبنى الزواج على التوافق في التفكير والسلوك والوضع الاجتماعي والحالة المالية، وبعد هذا كله تأتي العاطفة».

كتاب «مع الناس»، ص. ٥٤

- «إنّ الشباب مختلفون غنى وفقراً، وثقافة وجهلاً، وتقىً وتساهلاً، وجداً وهزلاً، وفي كل صنف من هؤلاء مثيله من البنات ولو أنّ كل شاب يريد الزواج خطب من تماثله في تفكيره ووضعه الاجتماعي، لما كان عشر هذا الاختلاف الزوجي الذي نراه اليوم».

كتاب «مع الناس»، ص. ٨٦

- «المهر شيء لازم، أما الشيء الذي ليس بلازم ولا مطلوب، والذي يمنع الزواج حقاً ويصعب ويعرقل مسيره فهو هذه العادات السيئة المتبعة».

كتاب «مع الناس»، ص. ٩٠

- «إنه لا يصلح ما نشكو من الفساد إلا تسهيل الزواج، ومن يفعل يكن عاملاً لمكرمة وفضيلة، ويكون قائما بطاعة الله وخدمة الوطن».

كتاب «مع الناس»، ص. ٩٢

- «يا من عنده بنات لا تردوا الخاطب الصالح إذا جاءكم ولا ترهقوه بالمطالب».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «مع الناس»، ص. ٩٣

- «يا أيها الشباب عجلوا بالزواج فإنكم لا تطيعون الله بعد إتيان الفرائض وترك المحرمات بأفضل من الزواج، يا أرباب الأقلام، ويا أصحاب المنابر، اجعلوا الزواج من أول ما تعملون له وتسعون لتيسيره، والله يوفقكم ويجزل ثوابها».

كتاب «مع الناس»، ص. ٩٣

السعادة

- «يفتش عنها الناس ويبحث عنها الفلاسفة، ويهيم بها الأدباء، وهي تحت أيديهم، كالذي يفتش عن نظاراته في كل مكان، ويسأل عنها في الدار كل إنسان، والنظارات على عينيه!! إنها السعادة بالرضا والإيمان».

كتاب «مع الناس»، ص. ٦١

- «إنّ لذات الدنيا مثل السراب، ألا تعرفون السراب؟. تراه من بعيد غديراً، فإذا جئته لم تجد إلا الصحراء. فهو ماء ولكن من بعيد..»

كتاب «صور وخواطر»، ص. ١٠

- «وجدت ما تزاحم الناس عليه من متع هذه الدنيا مثل السراب يظن من بعيد لذة، فمن قاربها ووصل إليها لم يلق فيها المتعة التي كان يتصورها».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٦٣

- «لماذا يبكي الشيخ على شبابه ولا يضحك الشاب لصباه؟»

كتاب «صور وخواطر»، ص. ١٦

- «لماذا لا نرى السعادة إلا إذا ابتعدت عنا ولا نبصرها إلا غارقة في ظلام الماضي، أو متشحة بضباب المستقبل؟»

كتاب «صور وخواطر»، ص. ١٦

- «كل يبكي ماضيه، ويحن إليه، فلماذا لا نفكر في الحاضر قبل أن يصير ماضياً؟»

كتاب «صور وخواطر»، ص. ١٦

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «إناّ نحسب الغنى بالمال وحده، وما المال وحده؟ ألا تقدرون ثمن الصحة؟ أما للصحة ثمن؟».

كتاب «صور وخواطر»، ص. ١٦

- «ملاك الأمر كله ورأسه الإيمان، الإيمان يشبع الجائع ويدفئ المقرور، ويغني الفقير، ويسلي المحزون، ويقوي الضعيف، ويسخي الشحيح. ويجعل للإنسان من وحشته أنساً، ومن خيبته نجاحاً... »

كتاب «صور وخواطر»، ص. ١٩

- «إنكم سعداء ولكن لا تدرون. سعداء إن عرفتم قدر النعم التي تستمتعون بها، سعداء إن عرفتم نفوسكم وانتفعتم بالمخزون من قواها، سعداء إن سددتم آذانكم عن صوت الديك ولم تطلبوا المستحيل فتحاولوا سد فمه عنكم، سعداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم».

كتاب «صور وخواطر»، ص. ٢٠

- «كل شيء بقدر الله والله قسم للعبد سعادته وشقائه ورزقه وعمره، فما كان لك سوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك لن تناله بقوّتك».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٣٨

- «الحياة الدنيا كلها، ماذا يبقى منها إن رفع الإيمان؟ أحزانها تنسى، وأفراحها تفقد، وكل شيء فيها إلى زوال».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٦٤

- «إن لهذه الحياة غاية. فإذا لم تفهم غايتها صارت عذاباً لنا قبل عذاب الآخرة، وما غايتها إلا الاتصال بالله ومعرفته والاتصال بالحياة الثانية ژوما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونژ.

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٦٥

المسلم

- «المسلم من علم أن الإسلام لا يشبه الأديان ولا يقاس عليها، لأنه دين وشريعة وسياسة وأخلاق».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٢٣

- «ليس في الدنيا عمل لا يدخل فيه الإسلام ويبين فيه حكم الله».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٢٣

- «المسلم (من علم) أن الشريعة الإسلامية أغنى الشرائع؛ وأنها أسمن وأجمع وأحكم من القانون الروماني، الذي اقتبست منه كل قوانين أوروبة».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٣٤

- «الإسلام لا يعارض العلم الصحيح، ولا الفن النافع ولا الحضارة الخيرة، وإنه دين سهل رحب مرن».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٣٥

- «ديننا أيمان وعقائد، وإسلام وعبادات وإحسان وأخلاق، وسياسة وشريعة، له في كل جانب مصباح يضيء ومنار يهدي».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٤٤

- «لا تقولوا للعلماء رجال الدين، ولا تحملوهم وحدهم واجبات الدين، فإن رجال الدين هم كافة المسلمين».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٤٧

- «إن الرابطة الإسلامية رابطة ژإنما المؤمنون إخوة ژ معجزة من أعظم معجزات الإسلام».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٤٨

- «يا شباب المسلمين تخلقوا بأخلاق الإسلام وانشروها بين الناس وأنقذوا بها العالم».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٦٠

الأخلاق

- «ابدؤوا بإصلاح الأخلاق فإنها أول الطريق».

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٦

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- «متى يجيء اليوم الذي نتكلم فيه كلام الشرف، ونعد وعد الصدق، وتقوم حياتنا على التواصي بالحق».

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٦

- «من علم الغربيين هذه الفضائل إلا نحن؟ من أين قبسوا هذه الأنوار التي سطعت بها حضارتهم؟ ألم يأخذوها منا؟»

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٢

- «لقد انقضى ذلك العهد الذي كان الموظف فيه مسؤولاً أمام رئيسه، وأصبحنا اليوم وكلنا مسؤولون أمام الأمة والتاريخ».

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٠

- «اكفروا بالغرب وعودوا بوجوهكم إلى الشرق، عودوا إلى سلائق العرب، ففي العرب الوفاء والفضيلة والنجدة والإباء والشرف».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٨

- «عودوا إلى آداب الإسلام ففي الإسلام الخير والعدل والحق والنصر والمجد».

كتاب «هتاف المجد»، ص. ١٠٨

- «متى صلحت أخلاقنا، وعاد لجوهرنا العربي صفاؤه وطهره، وغسلت عنه الأدران، استعدنا فلسطين، وأعدنا ملك الجدود».

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٦

- «وعد شرقي؟ أليس عجيباً أن صار اسم الوعد الشرقي علماً على الوعود الكاذبة، واسم الوعد الغربي علماً على الوعد الصادق؟»

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٢

- «أولم يجعل الإسلام إخلاف الوعد من علامات النفاق؟»

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٣

- «لماذا يبطل الحج إن وصل الحاج إلى عرفات بعد فجر يوم النحر بخمس دقائق، أليس لأن الحاج قد أخلف الموعد!.. لماذا يبطل الصوم إن أفطر الصائم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قبل المغرب بخمس دقائق، أليس – والله أعلم – لتعليمه الدقة والضبط والوفاء بالوعد؟».

كتاب «مع الناس»، ص. ٧٣

- «المراد أن نتعود النظام والضبط في أعمالنا كلها، وألا نصاب بطاعون التأجيل والتسويف وإخلاف المواعيد».

كتاب « مع الناس»، ص. ٥٠

- «إنّ الذي لا يقفز إلى الفريسة تقفز منه، ومن لا يغتنم الفرصة في وقتها لا يجدها، والذي يؤجل ما يجب عليه، لا يقدر أن يؤديه كاملاً».

كتاب «مع الناس»، ص. ٥٠

- «يا من يعلم أنّ بعد الدنيا آخرة، وأنّ بعد الحياة موتاً، وألا بد من وقفة للحساب ومشية على الصراط، تب من الآن ولا تؤجل التوبة إلى غد».

كتاب «مع الناس»، ص. ٥١

- «من تاب من ذنب وهو لا يزال مقيماً عليه أو يفكر في أن يعود إليه، فهذا كالمستهزئ بربه والعياذ بالله».

كتاب «فصول إسلامية»، ص. ٣٨

- «بالشكر تدوم النعم، وبالإخلاص تبقى الأمم، وبالمعاصي تبيد وتهلك».

كتاب «مع الناس»، ص. ٩٩

- «إن كل غني يستطيع أن يتصدق بالكثير. ولكن غني القلب بالإنسانية والنبل والحب، هو الذي يستطيع أن يتصدق مع المال، بالعاطفة المنعشة».

كتاب «صور وخواطر»، ص. ٢٣

- «إذا شئتم أن تذوقوا أجمل لذائذ الدنيا، وأحلى أفراح القلوب، فجودوا بالحب وبالعواطف كما تجودون بالمال».

كتاب «صور وخواطر»، ص. ٢٦

الرحيل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قال حفيدة مجاهد عن آخر أيام شيخنا الحبيب علي الطنطاوي: (وبات الشيخ في – في آخر أيامه– ينسى بعضاً من شؤون حياته ؛ فيصلي الصلاة مرتين خشية أن يكون نسيها، ولكن الله منّ عليه وأكرمه بأن حفظ له توقد ذهنه ووعاء ذاكرته حتى آخر يوم من حياته. وصار يتورع من الفتوى خشية الزلل والنسيان، وكان حتى الشهر الذي توفي فيه تفتح بين يديه القصيدة لم يرها منذ عشرات السنين فيُتم أبياتها ويبين غامضها،وربما اختلُف في ضبط مفردة من مفردات اللغة أو في معناها فيقول هي كذلك، فنفتح القاموس المحيط –وهو إلى جواره، بقي كذلك حتى آخر يوم – فإذا هي كما قال.

فلما كانت آخر السنوات تعب قلبه الكبير فأدخل المستشفى مراراً، فصار يتنقل بين البيت والمستشفى، حتى فاضت روحه لبارئها بعد عشاء يوم الجمعة، الثامن عشر من حزيران، عام (١٩٩٩م) في قسم العناية المركزة بمستشفى الملك فهد بجدة، ودفن في مكة في اليوم التالي بعدما صُلي عليه في الحرم المكيّ الشريف.

اللهم ارحمه برحمتك رحمة واسعة ، اللهم اغفر له وأحسن إليه حيث هو، اللهم أبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ، آمين يا رب العالمين.

الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي في ذمة الله [٩]

لقد مات علي الطنطاوي، ألا تريد أن تكتب كلمة في الرجل؟ .... كيف لا؛ وهل مثل علي الطنطاوي من يُتجاهل؟ إن الكتابة عنه كتابة عن الإسلام بشموخه ومحنته في بلدي. وإذا تطلبت شخصية تجمع بين الاعتزاز بماضينا التليد، والإيمان بأن الإسلام لنا ماض وحاضر ومستقبل فدونك علي الطنطاوي. وإذا كنت ممن يعتقد أن رسالة هذه الأمة أوسع من المدى الذي زواها وحاصرها فيه أدعياء القومية الجاهلية وفروخ المدارس التنصيرية، وتريد من يعرب عما في خاطرك ويفصح عما وراء لسانك

---

[٩] همام عبد الملك الشامي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فعليك بعلي الطنطاوي، فهو الأديب العربي المسلم الذي يرى العروبة دائرة في محيط الإسلام الواسع، ولا يمانع أن تكون هذه الدائرة مركزية؛ لا أن تكون العروبة أصلاً والإسلام فرعاً – شأن من أعمى الله بصائرهم، وأضروا بأمتهم أيما ضرر – أو أن يكون الإسلام أثراً أرضياً وامتداداً لجاهليات سومر وبابل وأوغاريت وعاد وثمود والفراعنة، مما يجهد شياطين الحفريات وتلامذتهم لاختراع مزايا ومحاسن لها، يربطون بينها بسياقات تبدو منطقية، كل ذلك من أجل أن يطمسوا كل أثر أنتجته الحضارة الإسلامية ويتجاوزه.

لقد كان علي الطنطاوي شخصية متعددة المناحي، غنية المشاركة، فقد عمل في سلك التعليم، والقضاء، والدعوة إلى الله بمعناها الواسع، وكان خطيباً مفوهاً، وكاتباً بليغاً ألمعياً، وصاحب نظرات ثاقبة في مجالات اجتماعية كثيرة، وكل جانب من جوانب حياته يتطلب كلاماً كثيراً لإبرازه وشرحه. وجملة القول فيه أنه كان مفخرة عربية إسلامية في أي أرض حل فيها، وصاحب حضور قوي إيجابي أينما توجه؛ فهو مفخرة للشام التي ولد فيها ونشأ وترعرع وتعلم، ومفخرة في مصر التي أقام فيها فترة ليست بالطويلة، ومفخرة في العراق التي رحل إليها فترة للتعليم، ومفخرة للسعودية التي عمل فيها قرابة الثلث الأخير من حياته، وكانت منفاه ومدفنه.

مجالان اثنان في حياة علي الطنطاوي يستهويني الإشارة إليهما والحديث عنهما وهما:

- علي الطنطاوي الأديب الملتزم.
- وعلي الطنطاوي الداعية الإسلامي الناجح.

أما المجال الأول فقد كان علي الطنطاوي كاتباً من الطراز الأول، رشيق العبارة، وصاحب أسلوب متميز، متأثر بأدباء العربية الكبار قدماء ومحدثين، ولكنه غير مقلد، بل هو نسيج وحده في اختيار الأسلوب السهل الممتنع. يمد ذلك ويزينه بديهة حاضرة وقدرة على تصريف القول حيثما اقتضت مجالاته. وهو إلى جانب موهبته وبديهته متمسك بأصوله، مستمد من دينه (البوصلة) التي توجهه، لا يرى الأدب مجالاً لدغدغة العواطف، وتحريض الشهوات، بل يراه سلاحاً لمحاربة الظلم بكل أشكاله:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ظلم المستعمر الغريب، والظلم الاجتماعي المنتشر، وظلم الحاكم الذي يعمل من أجل كرسيه فقط.

ويعتقد أن أصحاب الأقلام يجب أن يكونوا أصحاب رسالة يعرفون الشعوب بحقوقها، ويتلون عليها أمجاد أمسها، لا لتخديرها، بل لاستنهاضها من واقعها البائس، ويذكرونها بأن الله خلقها حرة، فلا تذل لأحد كائناً من كان، ولا تخضع إلا لبارئها، وتحرض الناس على كراهية القوانين الأجنبية التي هي أثر من آثار الاستعمار البغيض، وتعرفهم أنهم أصحاب شرع أسمى من قوانين الأجانب، ومن العار أن يعيشوا عالة على أفكار الغرب ومفاهيمه. وأن من واجب أصحاب الأقلام أن يبصروا أهلهم بما هو أخطر من الاستعمار العلني، استعمار الجيوش، وهو استلاب الأفكار وتدجين الشعوب عن طريق إفسادها بالمصطلحات المخدرة مثل: التحرر، تحرير المرأة، والتطور، والمدنية..

ولهذا فمن الطبيعي أن لا يكون لعلي الطنطاوي ومن يرى رأيه في الأدب الذي يلتزم فيه صاحبه قضايا أمته الكبرى وينطلق منها، وعلى رأسها: دينها، وقرآنها، وتاريخها، ومفاخرها، نقول: لا يكون لعلي الطنطاوي مكان على مائدة العابثين من أدعياء الأدب ومشوهي العقول، فكيف تجتمع الفضيلة والرذيلة على مائدة واحدة، وكيف يلتقي السموق والانحطاط، والتميز والانضباع؟!.

أما مجال الدعوة الإسلامية فقد عاش علي الطنطاوي لها حياته، وسخر لها قلمه ولسانه ومواهبه، وكان بحق مجدداً في أساليبها، سواء في خطبه أو في أحاديثه الساحرة التي تخلب عقول مستمعيه، ونادى بتقريب لغة الوعظ والإرشاد إلى العقول والقلوب، والبعد عما صارت إليه من التصنع والتقعر الذي كان يبدو وكأنه نداء في صحراء لا سميع فيها، وطلب من الخطباء أن يطرقوا الموضوعات التي تعني الناس في حياتهم اليومية، وتحل مشاكلهم الناشئة من تعاملهم مع الواقع، وطبق ذلك بنفسه، فكانت خطبه وأحاديثه انعكاساً أميناً لذلك. فكان الناس ينتظرونها بفارغ الصبر، ويتداعون إلى حضورها من مسافات بعيدة، وهذا شيء معروف ومشهور ولا حاجة بنا إلى الإطالة فيه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعلي الطنطاوي يعتبر مدرسة في الجرأة في الحق والصراحة فيما يعتقده، لا يجامل على حساب عقيدته، وله مواقف مشهورة ستظل مشعلاً ومناراً لمن بعده، فقد عاش في فترة الانتداب الفرنسي، مجاهراً بكره الاستعمار وفضح أعوانه، داعياً إلى جهادهم بالمال والنفس، وفي فترة الاستقلال كان صوتاً قوياً يتصدى لدعاة الفساد والانحلال، ولدعاة العصبية الجاهلية التي اتخذتها الطوائف مظلة تحارب بها الإسلام الحق، وكان حرباً على الجمود والتقليد وخرافات الطرقيين الذين أساؤوا للإسلام ونفروا منه؛ وكان مصلحاً اجتماعياً يحذر من الشيوعية والاشتراكية في وقت مبكر وقد ذر قرنها، وقبل أن تطبق في بعض الأمصار الإسلامية، وتكون مثل ريح السموم لا تخلف وراءها إلا الدماء والهلاك، هاهو يكتب عام (١٩٤٧م) – وكان في مصر – مقالاً بعنوان: «إنذار»، يقول فيه:

«لقد نشأت في الشام، وسِحت في البلاد، فرأيت في كل بلد أغنياء وفقراء، وسعداء وأشقياء، ولكن لم أر مثل الذي رأيت في مصر!.

فما هذا التفاوت بين البشر في مصر؟ ما هذا الوضع الذي يجعل من الناس واحداً يملك مليوناً؛ ومليوناً لا يملكون الواحد؟ وألفاً يشتغلون لرجل، والرجل لا يعمل عملاً؟ وإنساناً يظن نفسه من الغنى والكبر إلهاً؛ وأناسيَّ تحسب أنها من الفقر والضعة بهائم؟!.

متى كان هذا في طبع العربي؟ متى كان في شرع المسلم؟ متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ يا ناس، راقبوا الله، فإن هذا ظلم، والله لا يرضى لعباده الظلم، ولا يقرهم عليهم، ولكنه يمد للظالم ثم يأخذه، فاتقوا أخذة الله. يا ناس، اعقلوا، فإن هذا باب الشيوعية، فإن لم تغلقوه دخلت عليكم فأهلكتكم»....وقد كان!!.

وقد كانت له مواقف في عهد الوحدة، ذلك العهد الذي جلب عصر المخابرات بسوئها وتخريبها وتدميرها للضمائر والعقول قبل الأصقاع والدساكر والحقول؛ إلى مسرح السياسة العربية، فلم يكن يعبأ ببطش عبد الناصر ومخابراته، بل كان يقول حيث يعتقد أن السكوت عن قول الحق لا يقل سوءاً عن تزيين الباطل وتأييده.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

في (١٩٩٥/٧/٧م) ميلادية تناقلت وسائل الإعلام خبر تكريم رئيس الدولة التي ينتمي إليها علي الطنطاوي لشاعر فاسق داعر، ورافضي شعوبي مارق، حيث أضفوا عليه صفات عريضة، وادعوا له ما ليس فيه في عرس احتفالي مشهور، دعي إليه بعض فلول الشيوعية، ورموز الطائفية الحاقدين، وتفضل ذلك الرئيس بأن منح هذا الزنيم الأرعن، والطعان اللعان الفاحش البذيء؛ أرفع وسام في سورية، وهو وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة، وأهداه قصراً (فيللا) في أنزه أحياء دمشق.

حين قرأت الخبر تساءلت: على ماذا تمنح الأوسمة وتهدر أموال الشعب؟ وأي استحقاق يستحقه هذا المطرد المذاد عن حياض الفضيلة والخلق الكريم؟ ثم تذكرت بأنه ليس بدعاً أن تهدر الأموال هكذا (هيل بلا كيل) [١٠] ، وتعطى لشاعر مداح هجاء، يقول اليوم ما ينقضه غداً، فهذه شنشنة معروفة عندنا – نحن العرب – وتذكرت أيضاً علي الطنطاوي، غير متأسف أن لا ينال تكريماً رسمياً في بلده، فهذا مما لا يفكر فيه ولا يطمح إليه الدعاة الصادقون إلى الله في هذا العصر، وخاصة في بلد مثل بلده، الذي تفتح أبوابه على مصاريعها لكل أفاك مأفون، ولكل شعوبي يغلي قلبه حقداً على الشام وأهل الشام، وتغلق في وجه المخلصين من أبنائه؛ ولكن لأن مثل علي الطنطاوي يحال بينه وبين العيش في البيت الذي لم ينله منحة من دولته التي تكرم من تكرم، بل بناه بجهده وسعيه، وأين؟! في دمشق التي ما تغنى بها مثل علي الطنطاوي، وما كتب في محاسنها وميزاتها ومفاخرها مثله، حتى ليظن الذي يقرأ ما كتبه الطنطاوي في دمشق أن الأرض –على سعتها– تتضامُّ، وتتداخل في بعضها لتكون دائرة صغيرة هي الغوطتان، ومركزها دمشق.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس
فيما موت زر، إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

بل وأكثر من هذا، لا يكفي علي الطنطاوي أن يذاد عن بيته، في مدينته التي أحبها، وكتب فيها ما كتب، بل يجازى في شيبته التي شابها في كل ما يرفع الرأس،

---

[١٠] مثل في الشام من العامي الفصيح، ومعناه: العطاء بلا حساب.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويجلب المجد الشخص والجماعي؛ أن يقتل هذا النظام الذي يتشدق بالعروبة ورسالتها الخالدة ابنته غيلةً، وهي غريبة شريدة طريدة، فأية عروبة هذه، وأية رسالة خالدة التي تهان النساء في ظلها بالسجن والقتل وصنوف الإهانات الكثيرة الأخرى؟ إن العربي وهو في جاهليته كان يصون سلاحه عن قتل النساء حتى ولو هدفنا له في ساحة القتال؛ فضلاً عن أن يغتالهن غيلة! يا لله ولهذا الظلم غير المسبوق في تاريخ هذه البلاد.

إن مجال الكتابة عن علي الطنطاوي واسع، والأمل بالله كبير أن يتعدل ميل الأيام، ويكتب عنه بإنصاف، حين يرفع نير الخوف والقمع والعزل والتجهيل المتعمد عن سماء بلادي، وعسى أن يكون ذلك إن شاء الله قريباً، ويومئذ يفرح المؤمنون.

وعلي الطنطاوي قبل كل ذلك وبعده بشر، يخطئ، ويصيب، ولا ندعي له العصمة، ونحسب أنه عاش لمبادئه، ومات عليها، فنسأل الله له الرحمة والمغفرة، وللمسلمين الذين عاش لهم ودافع عن قضاياهم العصمة من الزلل والانتفاع بما ترك، وأن يبدلهم خيراً منه. اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله. [11]

" من مصادر الترجمة

–أحمد الجدع (معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين) الطبعة الأولى ١٩٩٩، الجزء الثاني ص (٨٠٠ . ٨٠٥).

. علي الطنطاوي (ذكريات علي الطنطاوي، دار المنار للنشر، السعودية).

. مجلة الفيصل السعودية ، العدد ١٥٨، ص (١٧).

. مجاهد مأمون ديرانية (علي الطنطاوي ١٩٠٩ . ١٩٩٩) دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محب الدين الخطيب

(١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م - ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م)

عالم جليل، سار ذكره في آفاق العروبة والإسلام طوال القرن الماضي، وما يزال الناس يذكرونه بالخير، فقد كان علماً في رأسه نور، وفي قلبه نور، وفي لسانه نور، وفي قلمه نورٌ وشواظ من نار تحرق أعداء العروبة والإسلام في كل مكان، عرباً مستغربين، وغربيين مستشرقين.

هو محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، أصل أسرته من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني. هاجرت أسرته إلى «حماة» في بلاد الشام، ونزح فرع منها إلى قرية «عذراء» وفريق إلى دمشق، وصارت من أكبر الأسر الدمشقية عدداً، ومن أجلّها علماً وفضلاً.

ولد العلامة محب الدين الخطيب في «حي القيمريّة» بدمشق في الشهر السابع من سنة (١٣٠٣هـ = ١٨٨٦م).

كان أبوه الشيخ أبو الفتح الخطيب من أفاضل رجالات دمشق، وكان أمين دار الكتب الظاهرية، وتولى التدريس والوعظ في الجامع الأموي، وكان زاهداً، متقشفاً، يكره معاشرة الحكام، وله «مختصر تاريخ ابن عساكر» في خمسة أجزاء، و«مختصر تيسير الطالب» و «شرح للعوامل».

وأمه السيدة آسية الجلاد بنت محمد الجلاد – المزارع الكبير – تقية صالحة مشهورة بالفضل وعمل الخير، ومن أسرة دمشقية كريمة عريقة، وقد توفيت بريح السموم بين مكة والمدينة، بعد أن أدّت فريضة الحج، ودُفنت هناك في الفلاة، وكان محب الدين طفلاً صغيراً، ماتت وهو في حجرها.

نشأته وطلبه للعلم

نشأ محب الدين الخطيب في هذه الأسرة الكريمة ذات الدين، والخلق، والعلم، وكفله والده ليعوضه حنان الأم، وعند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهو في السابعة بمدرسة «الترقي النموذجيّة»، وحصل منها على شهادة إتمام المرحلة الابتدائيّة بدرجة جيد جداً، ثمّ التحق بمدرسة «مكتب عنبر»، وبعد سنة توفي والده.

رأت أسرته بعد وفاه الوالد أن يترك المدرسة، فتركها ولازم العلماء، وكان في هذه الفترة الشيخ «طاهر الجزائري» –المشرف على المكتبات والمدارس في بلاد الشام– غائباً عن دمشق، فلمّا عاد –وكانت بينه وبين أبي الفتح الخطيب صلة ومودة وإخاء– وعلم بموت والد محب الدين احتواه، وعطف عليه، ووجهه نحو العلم لينهل منه، ويتضلّع من مشاربه، وغرس فيه:

– حب قراءة التراث العربي الإسلامي.

– حب الدعوة إلى الله.

– التحريض على إيقاظ العرب ليقووا على حمل رسالة الإسلام، فهم مادة الإسلام.

ولذلك كان يقول عنه العلامة محب الدين الخطيب: «من هذا الشيخ عرفت إسلامي وعروبتي».

وسعى شيخه الجزائري ليخلف «محب الدين» أباه في دار الكتب الظاهريّة على أن ينوب عنه من يقوم بها حتى يبلغ سن الرشد، وفي فترة الانتظار كان ينتقي لتلميذه «محب الدين الخطيب» مخطوطات من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية وأضرابه فيكلّفه بنسخها. وانتفع «محب الدين» بهذا العمل من ناحيتين:

أ– توسعت ثقافته العلميّة، وترسخ في العلم وبخاصّة انتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته السلفيّة، فاستفاد بذلك اطلاعاً على الإسلام المصفّى من البدع والخرافات والأوهام.

ب– أشغل وقته وانتفع بأجرة النسخ.

كما وجه الشيخ الجزائري تلميذه للالتحاق مرة ثانية بمكتب عنبر. وأوصاه بالتردد على العلماء: أحمد النويلاتي، وجمال الدين القاسمي، ومحمد علي مسلم، حيث كانت لهم غرف في مدرسة «عبد الله باشا العظم»...في هذه الفترة المبكرة تفتحت آفاق التفكير العلمي عند محب الدين الخطيب، وانتفع بما تلقاه في المدرسة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من علوم كونيّة، وأضاف إليها مطالعاته المتواصلة في دار الكتب الظاهريّة، واطلاعه على المجلات الكبرى في عصره: المقتطف، الهلال، الضياء.

وفي هذه الفترة كان يبث أفكار شيخه الجزائري، ويكتب المقالات العلميّة والقطع الأدبيّة التي يعربها من التركيّة، ويرسل بها إلى صحيفة «ثمرات الزمان» في بيروت.

وكان «محب الدين» كثير القراءة في سائر علوم الشريعة، والعربية، والعصرية، وكان حّبه للعربية والعرب شديداً، وكان يرى أن الله تعالى اختص العرب بصفات ومزايا تجعلهم أصحاب رسالة، ومسؤولين عن القيام بأمر العقيدة الصحيحة السليمة.

رحلاته العلميّة والدعويّة

بعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانويّة عام (١٩٠٦م) في بيروت، انتقل إلى عاصمة الخلافة: «إسلامبول» المعروفة يومئذٍ بـ «الأستانة»، وهي «القسطنطينيّة» والتحق بكليتي الآداب والحقوق.

نزل هناك في حي يكثر فيه أبناء العرب وطلاب العلم، ورأى هناك أمراً عجباً...الطلاب العرب يجهلون قواعد لغتهم، وإملاءها، وآدابها، ويتكلّمون بينهم برطانة الترك، فانتخب الشيخ محب الدين الخطيب من الشباب العربي طائفة أقنعها بوجوب تعلّم لسان العرب، واتفق مع صديقه الأمير «عارف الشهابي» أن يقوما على تعليم هؤلاء الشباب العرب لغتهم، وبعد فترة أسسوا «جمعية النهضة العربيّة»، وكان صديقه العلامة الأستاذ «محمد كرد علي» يرسل إليهم الصحف بالبريد.

شعر الأتراك الاتحاديّون الذين انقلبوا على الخلافة العثمانيّة بكيد من يهود الدونمة، وأبقوا للخليفة الاسم ولهم الرسم .. شعروا بنشاط «جمعيّة النهضة العربيّة» فداهموا غرفة الشيخ محب الدين الخطيب، ووجدوا فيها أوراقاً وصحفاً عربيّة، وكاد الشيخ أن يهلك لولا أنّ الله قيّض له رجلاً كانت تربطه بأسرته روابط قويّة.

اشتدت الرقابة الاتحاديّة على الشيخ فغادر «الأستانة» بعد الانتهاء من السنة الثالثة إلى دمشق. ثم اختير الشيخ للعمل في اليمن وانتقل إليها، وفي طريقه إلى اليمن توقف في مصر، ليلتقي شيخه الشيخ طاهر الجزائري، وصديقه محمد كرد علي،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

واتصل فيها بأركان «جمعية الشورى العثمانية» الذين كانوا يطالبون بالحكم النيابي، وإعلان الدستور، ووضع حدّ للحكم الفردي، وكان منهم: الشيخ رشيد رضا، ورفيق العظم، والأديب التركي عبد الله جود .. وسواهم، وفوّضوه بتأسيس فرع جديد لجمعيتهم في اليمن، والبلاد العربية، من الرجال الصالحين.

ونشط في اليمن نشاطاً عظيماً في ميادين: السياسة، والصحافة، والطباعة، والتعليم، والنشاط الاجتماعي، والثقافي، الأمر الذي جعل الأجهزة تراقبه وتضايقه.

ولمّا أعلن الدستور العثماني سنة (١٩٠٨م) رجع إلى دمشق، وأصبح يطالب مع إخوانه هناك بحقوق العرب التي تنكرت لها حركة التتريك، وفي هذه الرحلة شارك في تحرير جريدة هزلية «طار الخرج»، فانتبهت السلطات الحكوميّة للجريدة، فسافر الشيخ إلى بيروت، فأمرت الحكومة بملاحقته، فانتقل إلى القاهرة، وهناك شارك في جريدة «المؤيد»، وفي سنة (١٩١٣م) أسس الشيخ (محمد رشيد رضا) مدرسة «الدعوة والإرشاد» فدرّس فيها الشيخ محب الدين.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى، وأعلنت الثورة العربيّة الكبرى، طلبه الشريف الحسين بن علي برقياً فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميريّة، وأصدر جريدة «القبلة» الناطقة باسم حكومة الحجاز، وكان الشريف حسين يستشيره في كثير من الأمور الخارجيّة مع الشيخ (كامل القصاب).

ولمّا دخل العرب دمشق عام (١٩١٨م) بقيادة الأمير فيصل، عاد الشيخ محب الدين الخطيب، وأنيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسميّة للحكومة باسم «العاصمة».

ولمّا دخل الفرنسيون عام ١٩٢٠م دمشق، غادر الشيخ محب الدين إلى مصر، واستقرّ في القاهرة، حيث عمل في تحرير جريدة «الأهرام» خمس سنوات، وهناك أسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها، حيث قام بطباعة الكتب السلفيّة، ونشر كثيراً منها، وأصدر «مجلة الزهراء»، وهي مجلة أدبيّة اجتماعيّة دامت خمس سنين.

ثمّ أسس مجلة «الفتح» التي تعتبر إلى يومنا هذا من أقوى المجلات الإسلامية التي ظهرت في العالم العربي .. لقد استمرت مجلة الفتح تصدر خمسة وعشرين عاماً في مرحلة من أصعب المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية في تاريخها الحديث،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقد تبنت الفتح في تلك المرحلة العصيبة قضايا العلم الإسلامي واستقطبت حولها كتاب العالم الإسلامي كله، وتصدت للدفاع عن حقائق الإسلام وحقوق المسلمين.

وقد بين –رحمه الله– الفكرة الداعية إلى إصدار الفتح في إحدى افتتاحياتها فقال: «إن الفتح أنشئت لمماشاة الحركة الإسلامية، وتسجيل أطوارها، ولسد الحاجة إلى حاد يترنم بحقائق الإسلام، مستهدفاً تثقيف النشء الإسلامي، وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر أثرها في عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم، وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت أمانته إلى هذا الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته» [العدد الأول من عام ١٣٥٣هـ].

ومن هذه الكلمة الجامعة يبدو أن الفتح كانت مدرسة كبرى تعنى بتثقيف الجيل المسلم وتربيته ومعالجة قضايا واقعه على اختلاف أنواعها. وفي مدة ربع قرن من الزمان والفتح تفتح آفاقاً جديدة أمام المسلمين من الوعي الإسلامي الصحيح، والفكر السياسي النير، والمعالجة السليمة لقضايا العالم الإسلامي على ضوء هذا الدين الحنيف، وبعد هذا الجهاد المرير مع مختلف أعداء الإسلام في الحاضر والماضي على صفحات الفتح، اضطر محب الدين رحمه الله إلى إيقافها.

وحينما سئل عن سبب ذلك قال: «أوقفتها حينما أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرماً يفتش ويعاقب».

ولكن إذا توقفت الفتح فإن محب الدين لم يتوقف، وإنما استمر في طريقه الذي اختطه لنفسه من نصرة هذا الدين حتى الرمق الأخير. فإلى جانب التحقيق والتعليق وكتابة الرسائل والإشراف على ما يطبع في مطبعته الكبيرة، تولى رئاسة تحرير «مجلة الأزهر» لمدة ست سنوات.

وقبل ذلك كان قد أسس «جمعية الشبان المسلمين» بالتعاون مع عدد كريم من شخصيات مصر وعلمائها وعلى رأسهم العلامة المحقق (أحمد تيمور) والشيخ الجليل (محمد الخضر حسين) شيخ الأزهر الأسبق وغيرهما.

وعن غايته من تأسيس هذه الجمعية يقول –رحمه الله–: «كنت أنا وأحمد تيمور باشا والسيد محمد الخضر حسين حريصين على أن تكون هذه المؤسسة الأولى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

للإسلام في مصر قائمة على تقوى من الله وإخلاص، وكنا حريصين على أن يتولى إدارتها رجال يعرفون كيف يصمدون لتيار الإلحاد الجارف بعد أن استولى المتابعون للاستعمار على أدوات الثقافة والنشر في العالم الإسلامي وفي مصر على الخصوص».

ويقول أيضاً: «وكانت الجمعية حدثاً كبيراً من أحداث الحركة الإسلامية لأن دعاة الإلحاد والتحلل كان قد استفحل أمرهم وظنوا أن قيادة الأمة قد أفلتت من أيدي ممثلي الإسلام وانتظمت إلى أيديهم».

وهذه الجمعية وإن تغيرت كثير من الغايات التي وجدت لأجلها فإنها لا تزال قائمة إلى يومنا هذا ولها مجلتها الناطقة باسمها، ومن على منبرها وفي مواسمها الثقافية استمعنا لعدد كبير جداً من علماء مصر ومفكريها.

وقد أحدث قيام جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ردة فعل شديدة لدى دعاة الإلحاد والعلمانيين والمبشرين، فتربصوا بالشيخ محب الدين حتى وجهوا أنظار النيابة العامّة إلى مقال كتبه بعنوان: «الحرية في بلاد الأطفال» نال فيه من كمال أتاتورك، فقُبض عليه وحُكم عليه بالسجن لمدة شهر.

وعلى أثر سوء تفاهم مع القائمين على الأزهر استقال رحمه الله من رئاسة تحرير مجلة الأزهر، وكان ذلك آخر عمل رسمي له، ثم انزوى في مكتبته ومطبعته، وقطع تقريباً كل صلة له بذلك المجتمع، وانكب على التأليف والتحقيق، وحتى الأعمال التجارية الصرفة كانت شبه مقطوعة مع المكتبات المصرية، وكان جل تعامله في آخر أمره مع المؤسسات والمكتبات السعودية.

واليوم الوحيد الذي كان يخرج فيه إلى المجتمع من جزيرته الهادئة القصية هو يوم الجمعة بعد العصر حيث يذهب إلى سوق الكتب المقامة على سور حديقة الأزبكية في القاهرة، ويشتري من الكتب المختلفة القديمة والحديثة، وكان يحملها بيديه الكليلتين وعلى كاهله أعباء الثمانين، ويتمايل في مشيته ويتعثر حتى يجد سيارة تقله إلى بيته، وقد ثابر على هذه العادة الكريمة إلى ما قبيل وفاته –رحمه الله–، وقد جمع من ذلك مكتبة ضخمة خاصة به، فاقت –على ما يبدو– كل مكتبة خاصة في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مصر ماعدا مكتبة العقاد، حيث بلغ تعداد كتبه الخاصة ما يزيد على عشرين ألف كتاب، وكانت فهارسها تبلغ خمسة وستين مصنفاً.

وكان رحمه الله قد جعلها قبل وفاته وقفاً على أهل العلم من ذريته، وقد بنى ولده (قصي) داراً جديدة في محلة الدقي في القاهرة، وخصص الطابق الأول منها لتلك المكتبة، كما قال ذلك هو رحمه الله.

ولقد كان رحمه الله محتفظاً بحيويته حتى أواخر أيام حياته، وكان يعزو ذلك إلى اعتداله في حياته كلها في مأكله ومشربه ومنكحه. وكان ذا صبر وجلد على العمل لا يعرف معهما السامة والملل. وكان منظماً في شؤونه كلها، عصامياً في تدبير أمره وتكوين ثروته، وبناء حياته وشخصيته.

السياسي

كان محب الدين حركة دائبة، ورجل سياسة وإعلام وثورة وإصلاح، شارك في العديد من الجمعيات والهيئات والأحزاب التي يراها سليمة التوجه، ومنها حزب «اللامركزية العثماني»، برئاسة رفيق العظم، وعضوية الشيخ محمد رشيد رضا، وكان محب الدين عضواً في مجلس الإدارة، وأميناً للسرّ.

ومنها جمعية «العربية الفتاة» ذات الدور الكبير في السياسة.

وكان مشرفاً على اللجان التي تشكلت لجمع المال من أجل المجاهدين الذين يستعدون لملاقاة الفرنسيين الغزاة في «ميسلون» قرب دمشق.

وكان محب الدين رجل مؤسسات، ولذلك كان يبادر إلى تأسيس الجمعيات، والعمل في الأحزاب.

الجمعيات

السيد محب الدين ذو عقلية منظمة، يدرس الأمور دراسة منهجية، ويخطط لغده، ثم يقدم.

وكان من توجيه أستاذه الشيخ طاهر الجزائري، أن يعمل على إيقاظ العرب من غفلتهم، وهذا ما حداه لأن يعمل في أوساط الطلبة العرب في الآستانة، ويقوم بعملية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

توعية لهم بلغتهم، وبأمتهم، وما يحيط بها من أخطار، وقد بادر إلى تشكيل جمعية النهضة العربية معهم.

ثم اضطر بعد ملاحقته إلى مغادرة الآستانة إلى دمشق، وأسس فيها فرعاً لجمعية النهضة العربية.

وكان من الأعضاء العاملين في جمعية الشورى العثمانية.

وكان أمير سر جمعية «التعارف الإسلامي» التي أسسها رشيد رضا.

وفي القاهرة كان صاحب فكرة تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وأحد مؤسسيها البارزين، وأمين سرّها.

الصحفي

نستطيع أن نقول أن السيد محب الدين الخطيب هو رائد الصحافة العربية الإسلامية، فقد كان صحفياً بالفطرة، بدأ الكتابة في الصحف وهو ما يزال تلميذاً في «مكتب عنبر»، وأخذ ينشر ما يكتب وما يترجم عن اللغة التركية في صحيفة «ثمرات الفنون» البيروتية.

وعندما عمل في مدينة الحديدة باليمن، أسس شركة مساهمة للصحافة والطباعة، وأصدر جريدة باسم «جريدة العرب» وأنشأ مطبعة باسم «مطبعة جزيرة العرب».

وعندما رجع إلى دمشق، شارك العاملين في جريدة القبس، بتحرير الملحق الأدبي للجريدة «طار الخرج» الكوميدية الناقدة التي أقبل الجمهور على شراء العدد الأول منها بأضعاف ثمنه.

شارك في تحرير «جريدة المؤيد» وترجم ونشر فيها الكثير عن أعمال المبشرين البروتستانت، نقلاً عن مجلتهم «مجلة العالم الإسلامي» الفرنسية، وفضح ما يراد بالمسلمين من شرّ على أيديهم وعقولهم الملوّثة، وكان له من ذلك كتاب «الغارة على العالم الإسلامي» الذي كان له دويّ في العالم الإسلامي.

وفي الحجاز عمل مع الشريف حسين، وحرر له جريدة «القبلة».

وعندما ترك الحجاز وعاد إلى دمشق، تولّى إدارة الجريدة الرسمية «العاصمة» وتحريرها، وكتب فيها مقالات رائعة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعندما قرر الاستقرار في مصر، عمل في تحرير جريدة الأهرام نحواً من خمس سنين، وأنشأ المكتبة السلفية، والمطبعة السلفية، بثمن بيته الذي باعه في دمشق.

وأصدر مجلة الزهراء الشهرية، وهي مجلة أدبية اجتماعية ذات طابع أكاديمي (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) ولكنها كانت تلهب المشاعر، وتوقد العواطف كدأب محب الدين في مقالاته وأبحاثه.

ثم أصدر جريدة «الفتح» من (١٣٤٤ - ١٣٦٧هـ) وهي مجلة إسلامية أسبوعية، تركت لنا حصيلة ضخمة من الثقافة والفكر والتاريخ والسياسة.

والزهراء والفتح هما امتداد لمجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا، التي هي امتداد للعروة الوثقى، وكان محب الدين من كتّاب المنار المهمّين.

ثم تولّى رئاسة تحرير مجلة الأزهر، وكانت افتتاحياته فيها نارية، صبّ فيها الكثير من نفسه وعقله وتوهّج عواطفه.

مجلة الفتح

تعرّضت مصر في مطلع القرن العشرين ميلادي إلى شلاّل هادر من قوى الغزو الفكري المدمّر، يمارس العبث بثوابت الأمّة الإسلامية وتخريب قيَمِها الأصيلة مشمولاً برعاية الاستعمار الإنجليزي الجاثم على أرض الكنانة آنذاك، والذي كانت تلوذ به وتنضوي تحت جناحه هذه القوى المخرّبة.

ولقد بلغ هذا المدّ الطامي مداه حينما أصدر (طه حسين) كتابه: «الشعر الجاهلي» الذي شكّك في وجود إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- رغم ذكرهما في القرآن الكريم.

وكذلك كتاب الشيخ (علي عبد الرازق) الموسوم بـ «الإسلام وأصول الحكم» الذي أنكر فيه وجود نظام سياسي في الإسلام، وادّعى بأنّ الإسلام دين روحي فقط ولا يختلف في هذا السبيل عن النصرانية، ليوفّر بذلك تبريراً «شرعيّاً» يهوّن على المسلمين مصيبة إلغاء الكماليّين للخلافة الإسلامية، وتحويلها إلى دولة علمانية.

في مواجهة هذا البحر الهائج المتلاطم من الغارات الوقحة على مسلّمات الأمة وثوابتها، انبعثت صرخات مخلصة تذبّ عن دينها وهويّتها، إلاّ أنها كانت أصواتاً

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مبحوحة ومشتّتة تفتقد عوامل الترابط والتنظيم، فضاعت أصداؤها في خضمّ هدير أمواج التغريب والغزو الفكري الصاخبة.

وفي عام (١٩٢٦م) التقى مجموعّة من الشباب المسلم المتحمّس في دار المطبعة السلفية في شارع خيرت في القاهرة، منهم: محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، وأبو بكر يحيى باشا، وعبد الرحمن قراعة، والسيّد محمد الخضر حسين، وعلي جلال الحسيني، وغيرهم من الشباب المسلم الذي ذهبت نفسه حسرات على ما آل إليه الحال في أرض الكنانة من عدوان سافر على ثوابت الأمة وهويّتها العربية الإسلامية، وآلمه الضعف الذي اعترى المسلمين فمنعهم من الدفاع عن دينهم.

فتمخّض هذا الاجتماع عن إنشاء جمعية لمقاومة هذه الانحرافات ومجالدة المفسدين بالحجة والبيان.

وبعد إنشائها بأشهر بدا لهم أن الجمعية بحاجة إلى صحيفة تعبّر عن رأي هذه الجمعية، وتساهم في توصيل أفكارها لأكبر شريحة من الرأي العام ولاسيما الشباب المثقف المسلم.

لكن الحصول على امتياز صحيفة إسلامية في ظل تلك الظروف كان أشبه بالمستحيل، بيد أن الأستاذ الجليل «أحمد تيمور باشا» –رحمه الله– بذل جهوداً طيبة ومشكورة لاستصدار امتياز مجلّة، فوُفّق في هذا السبيل، وأصدرت تلك المجموعة مجلّة أُطلِق عليها اسم «الفتح»، وصدر أوّل عددٍ منها في يوم ٢٩ ذي القعدة من عام (١٣٤٤هـ)، الموافق ١ يونيو (١٩٢٦م)، وتسلّم رئاسة التحرير فيها الشيخ الأزهري «عبد الباقي سرور»، ثم بعد ذلك تولى دفّتها الأستاذ محب الدين الخطيب – رحمهما الله – حتى إغلاقها.

وكانت المجلّة في موضوعاتها ومادّتها الإعلامية سيفاً مصلتاً في نحور دعاة الغزو الفكري والتغريب والتنصير والاستشراق، هذا إلى جانب اهتمامها بأحوال المسلمين في كل مكان، فسدّت بذلك ثغرةً كبيرةً رغم إمكانياتها المتواضعة، وضيق هامش الحرية الممنوح لها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كانت مجلة «الفتح» بحق منبراً حراً أصيلاً لا نظير له، بفضل الروّاد والعمالقة من أمثال: أحمد محمد شاكر، وأخيه محمود، وشكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي، وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري، ومحمد الخضر حسين، وعلي الطنطاوي، وتقي الدين الهلالي، وغيرهم ممن طرّزوا حواشي هذه المجلة بإبداعاتهم، وآثارهم القيّمة.

المجلة والتغريب والغزو الفكري:

تولّت المجلة مهمّة الردّ على «طه حسين» بعد إصداره كتابه «الشعر الجاهلي» الذي تضمّن جرأة كبيرة على القرآن الكريم، وأشعل بكتابه هذا فتيل المواجهة بين طه حسين وحزبه التغريبي وبين العلماء والدعاة، فانبرى له العديد من كُتّاب «الفتح» وفنّدوا شبهاته وآرائه الخطيرة أمثال: عبد الرزاق الحسني، وعبد الباقي سرور، وغيرهم، وعن هذه المعركة تقول المجلة مشيرةً إلى مصدر أفكار طه حسين: «ما في الكتاب من مسألة إبراهيم وإسماعيل مسروق من كلام جهلة المبشرين كصاحب مقالة في الإسلام، وما ذكر عن الشعر الجاهلي مسروق من متعصّبة المستشرقين لمرجليوث، فالفكرة على سخافتها ليست له في الموضعين»

وتابعت المجلة تطوّرات قضية طه حسين في المحاكم المصرية، ومحاضر التحقيق والاستجواب، وما صدر بحقه من أحكام.

وإلى جانب الرد على طه حسين تصدّت المجلّة إلى افتراءات وهجمات دعاة التغريب في مصر، أمثال: أحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، وتوفيق الحكيم، وحسين فوزي، وميشيل عفلق، ومحمود عزمي، وإسماعيل أحمد أدهم، وغيرهم.

ومما يجب أن يُذكر في هذا المقام أن مجلة الفتح قد أحرزت قصب السبق في كشف حقيقة الحركة الماسونية في وقت كان الغموض يلفّها ويسدل حولها ستاراً كثيفاً من التعتيم والتزييف، إذ تقول المجلة: «إن جل نبغاء المسلمين المستورين كانوا يدينون بالماسونية أكثر مما يتظاهرون بالإسلام، والماسونية بُنيت قواعدها على صرح سليمان لأنها ظاهراً إنسانية وباطناً صهيونية محضة، والدليل على ذلك أنها اليوم لم تتظاهر بعاطفة نحو ضحايا اليهود، وإنما تظهر الجمود وتعمل سرّاً لقمع التعصّب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الإسلامي ابتغاء حماية اليهود، فكان المسلمون يخافون من كلمة التخويف «التعصب الإسلامي» التي كان يلقيها الأوروبيون لإرهاب العالم فلذلك اجتنبوا كل سعي شريف إرضاء للأجانب».

الفتح والفرق الضالة المنتسبة للإسلام

لقد اضطلعت المجلة منذ أعدادها الأولى في الردّ على الفرق الباطنية المنتسبة للإسلام، وكشف النقاب عن جذورها الفكرية والعقائدية، تقول المجلة في مجلدها الأول: «هذه النحلة من ولائد الباطنية تغذّت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صورة من الباطل وخرجت تزعم أنها وحي سماوي، تقوم دعوة الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية، أصلها طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام بتأويل الشريعة على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم، وقالوا لا سبيل إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، ولكننا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ويستدرج الضعفاء منهم، فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم».

وركّزت المجلة في هذا السياق على طائفة «القاديانية» الخبيثة التي انتشرت في القارة الهندية وبدأت تغزو العالم الإسلامي، فقالت المجلة: «ادّعى ميرزا غلام أحمد النبوة وأنه هو المسيح الموعود، وبعد أن ادعى النبوة وأنه أوحي إليه من الله تعالى بدأ يدعو الناس لأتباعه، فلم يعدم أنصاراً بسبب الجهل من جهة وبفضل أولياء أمره وأمر تابعيه من جهة ثانية، وقد تمكن من إيجاد جماعة سماها «الأحمدية» يقولون باستمرار النبوة غير التشريعية، وبعدم انقطاع الوحي».

وكتب الأستاذ: مسعود الندوي –رحمه الله– من (لكنو) بالهند مقالات أوضح فيها الفرق بين الأحمدية والقاديانية، وخطورة كلٍ منهما على الإسلام.

وكذلك حذّرت من خطر فرقة «التيجانية» التي تتظاهر بالتصوّف والزهد، ونبّهت إلى خطورة انتشارها في بلدان المغرب العربي، لكونها تمنح الولاء للاستعمار الفرنسي، وتوطّد أركانه في تلك البلاد، إذ تقول: «إن صاحب السجادة الكبرى ألقى خطاباً بين يدي الكونترول سيكلوني الفرنسي، تحدّث فيها عن الخدمات الجليلة التي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قامت بها الطائفة التيجانية لفرنسا في توطيد الاستعمار الفرنسي وفي سبيل تسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين، وفي إشارات التعقّل التي كانت تسبّبها هذه الطريقة الصوفية لمريديها».

الفتح وقضايا التربية والتعليم

كان من الطبيعي أن تهتم مجلة الفتح بقضية التربية والتعليم، وأن توليها ما تستحقّه من اهتمام، لاسيما وقد أدرك الغيورون في مصر خطر البرنامج «الدنلوبي» الذي زرعته بريطانيا في قلب وزارة التعليم المصرية، فقام «دنلوب» –الخبير الإنجليزي– بصياغة المناهج التربوية وفق الرؤية الغربية التي تتوافق مع سياسات بريطانيا تحت حجة تطوير المناهج، فقالت المجلة محذرةً من خطورة هذا البرنامج على النشء في مصر: «إن الطريقة الدنلوبية علّمت شباب مصر أن العروبة والإسلام شيء أجنبي طرأ على مصر واحتلّتها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والانجليز، مع أن العروبة والإسلام هما روح مصر وكيان مصر، بل هما مصر منذ نحو أربعة وعشرين قرناً إلى الآن».

ثم تقول: «إن التعليم الدانلوبي في المدارس أهمل آداب الإسلام وتاريخ الإسلام وأمجاد الإسلام، فخرج لنا أبناء محرومين من سلاح الفضائل الإسلامية، وفي التعليم يجب أن نبني في الشباب المصري الاعتماد على النفس في حياته الاستقلالية والاقتصادية، والإعزاز بتاريخه القريب الذي تكوّنت به قوميّته الحاضرة منذ أربعة عشر قرناً».

وكشفت المجلة النقاب عن الدور التخريبي الذي تلعبه (الجامعة الأمريكية) في القاهرة في أكثر من عدد، من ذلك ما قام به أحد الطلبة فيها من كشف للمراجع التي يرشد أستذتها الطلاب إلى قراءتها، ومن بينها كتاب خبيث مليء بالطعن والتطاول على مقام النبي –صلى الله عليه وسلم–.

نهاية المجلة

استمرت مجلة الفتح في مسيرتها الميمونة حتى عام (١٣٦٦هـ)، الموافق (١٩٤٨م)، وكان سبب توقّفها هو موجة التضييق على العمل الإسلامي التي سادت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مصر بعد هزيمة (١٩٤٨) أمام اليهود، فنال مجلة الفتح ما نال غيرها من الأذى والإغلاق والمصادرة، وجفّ مدادها بعد اثنين وعشرين عاماً من الجهاد الثقافي المتميّز الذي لا نجد وصفاً له أفضل وأصدق من وصف الأستاذ (مصطفى السباعي)، إذ قال: «وما كنا نتصل بالفتح حتى بدأنا نعرف واجبنا في الحياة كشبّان مسلمين، وأخذنا ندرك خطر ما يبيته الاستعمار من وسائل الكيد للمسلمين، وتأجّجت في أفئدتنا نار الحمية لدين الله، والنقمة على أعدائه، وشعرنا بأن الفتح هي همزة الوصل بيننا وبين أقطار الإسلام».

جهوده في نشر عقيدة السلف الصالح.

- نشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.
- دفاعه عن الصحابة ورد الشبهات عنهم، ويتجلى ذلك في نشره كتاب «العواصم من القواصم» هذا الكتاب الذي فند كثيراً من الروايات الساقطة التي اخترعها الكذابون فيما حصل في الفتنة بين الصحابة من بعد مقتل عثمان –رضي الله عنه–.
- نشره أعظم كتاب خدم السنة المطهرة وهو «فتح الباري» مع تعليقات الإمام ابن باز.
- تواصله مع العلماء والدعاة السلفيين وتشجيعهم، ومن ذلك رسالته لشيخنا الألباني كما في مقدمة «آداب الزفاف».

جهوده وجهاده وآثاره العلميّة

على الرغم من حياته المضطربة في الحلّ والترحال، استطاع محب الدين كتابة عشرات المقالات والأبحاث التي لم تجمع في كتب، وتمكّن من التأليف والتحقيق والترجمة للعديد من الكتب.

لقد ترك آثاراً عظيمة تدل على عبقريّته وموسوعيّته كما قال الأستاذ أنور الجندي: «وبالجملة فإنّ السيد محب الدين الخطيب وآثاره تعد رصيداً ضخماً في تراثنا العربي، وفكرنا الإسلامي، وقد أضاف إضافات بناءة، وقدم إجابات عميقة، وزوايا جديدة لمفاهيم الثقافة العربيّة وقيمها الأساسيّة».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من أهم أعماله:

- توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري ... شرح صغير.
- الحديقة (١٤ جزء) مجموعة أدبيّة وحكم.
- الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الاثنى عشريّة.
- مع الرعيل الأول .. عرض وتحليل لحياة الرسول مع أصحابه.
- من الإسلام إلى الإيمان .. حقائق عن الفرقة الصوفيّة التيجانيّة.
- حملة رسالة الإسلام الأولون.
- الإسلام دعوة الحقّ والخير.
- ذو النورين عثمان بن عفان.
- الجيل المثالي.
- مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان، بلغت ألف رسالة.
- كان الشيخ من أوائل العلماء الذين تنبّهوا لأخطار الصهيونيّة، وحذروا منها، وكشفوا الغطاء عن حقائقها وأسرارها، ومحاولة اليهود في الوصول إلى فلسطين عام (١٨٤٤م) ومطالبتهم لمحمد علي باشا بفلسطين، وما كان بينهم وبين السلطان عبد الحميد سنة (١٩٠٢م)، ومقالاته في مجلة الفتح شاهد صدق على ذلك.

النواحي الفكرية من اتجاهات محب الدين.

لقد كان يدعو باختصار شديد إلى الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. وفي هذا المجال يقول رحمه الله: «إنني من أنصار الإصلاح الإسلامي، وكنت ولا أزال أفهم هذه الكلمة الاصطلاحية أن الإسلام هو الذي كان عليه محمد –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه كما فهمه منهم التابعون».

فالإصلاح الإسلامي يشمل القضاء على البدع الطارئة وتخليصه من الدخيل الذي يحسب الجاهلون أنه منه وما هو منه. ومن الإصلاح الإسلامي بث روح النشاط بين المسلمين لإحياء مقاصد دينهم وتحقيق أغراضه وحسن التعبير عنه من الدعوة إليه وتأليف الكتب عن حقائقه وأحكامه وتاريخه .. ومع هذه الدعوة إلى الإسلام بجملته،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فقد كانت هناك نقاط هي أبرز من غيرها في تفكيره وهو أشد اعتناء بها من غيرها، وأهم هذه النواحي هي ما يلي:

– السلفية الصافية: كان رحمه الله من أشد أنصار السلفية النقية في العقيدة والعبادة، وهذه سمة بارزة في كل كتاباته، وقد تحصلت لديه هذه الفكرة ونما عنده هذا الاتجاه لأنه قرأ في شبابه في دمشق كثيراً من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية المطبوع منها والمخطوط في المكتبة الظاهرية وذلك بواسطة شيخه الشيخ طاهر الجزائري، وظل مقتنعاً بهذا الاتجاه، قوي الإيمان به، مدافعاً عنه بقلمه ولسانه، متصدياً لكل من يتعرض له، مروجاً للكتب المهمة التي تدعوا إليه.

الوقوف في وجه الباطنية والرافضة: من أهم المواضيع التي فازت بالكثير من اهتمام الشيخ محب الدين موضوع الرافضة والباطنية، ولقد كان شديد العناية بهذا الموضوع متتبعاً لمراحل كيد الرافضة للإسلام، واقفاً على الأصول التي يقوم عليها باطلهم، مدركاً خطرهم العظيم على الإسلام في الماضي والحاضر، ودورهم الكبير في تحريف العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتشويه التاريخ الإسلامي المشرق.

وكانت لديه الأصول الخطية والمطبوعة من كتب الرفض والباطنية، وكثيرا ما أطلعنا على مخازيهم من كتبهم، وفي اعتقادي أن محب الدين رحمه الله كان يسقط عن المسلمين فرض كفاية في تصديه لحملات الباطنية على الإسلام، وفي وقوفه على الدوافع الحقيقة لتلك الحملات، وإحاطته بمراحل سريان سرطان هذه الفرق الضالة وسمومها في عقيدة المسلمين وتاريخهم.

وكان يقول: «الرفض والباطنية تعبير عن الحقد الدفين والمرير في قلوب المجوس واليهود على صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لأنهم أقاموا المسجد الأقصى على أنقاض هيكل سليمان، وأخمدوا نار المجوس إلى الأبد، وحينما جبنوا عن مجابهة الإسلام وجها لوجه دخلوا في سراديب تحت الأرض وأعلنوا على الإسلام وحملته حربا ضروسا دامية مازالت تتوقد نارها ويزداد أوراها على مدى هذه القرون المتطاولة من تاريخ الإسلام».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ولقد استطاع الروافض أن يرسلوا أحدهم «محمد التقي» إلى مصر وتحت شعار التقريب أنشأ دارا وأصدر مجلة واستأجر شقة في الزمالك وكانت الأموال تنفق دون حساب، وتشكك المخلصون من علماء أهل السنة الذين خدعوا ابتداء بشعارات براقة وبدئوا يتركونها ويبعدون عنها ويحذرون منها.

قال الشيخ محب الدين الخطيب: «انفض المسلمون جميعاً من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعى من استأجرها»، ثم يذكر أنه لم يبق متعلقاً بعضويتها إلا بعض المنتفعين مادياً في ولاء انتمائهم إلى هذه الدار، وأن العلماء المخلصين من أهل السنة انكشف لهم المستور من حقيقة دين الرافضة، ودعوة التقريب التي يريدها الرافضة، فانفضوا عن الدار وعن الألاعيب التي يراد إشراكهم في تمثيلها، ثم يقول: «فلم يبق موضع عجب إلا استمرار النشر الخادع في تلك المجلة، ولعل القائمين يضعون لها حداً».. وهذه المجلة (رسالة الإسلام) توقفت في «١٧رمضان ١٣٩٢هـ» وهو العدد (٦٠).

وصدق والله الشيخ محب الدين فـ «دار التقريب»، أجدر أن تسمي بدار التخريب لأن كانت غايتها الأولي والأخيرة هي تخريب عقائد المسلمين وتقريبهم نحو ضلال الرافضة وتهديم الجامع الأزهر كما صرح بذلك يوماً ما رئيس تلك الدار في مجلس خاص نقله عنه أحد الثقات، وقد استطاعت هذه الدار أن تشتري مجموعة من علماء السوء ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا أُجراء لديها ومروجين لأباطيلها. وحينما توصل بعض هؤلاء إلى مراكز عالية في بعض المؤسسات العالمية الإسلامية حاولوا فرض تدريس مذهب الرافضة رسميا وسارع بعض المرتزقة من العلماء للتأليف فيه فعلا.

وحينئذ توجه نفر كريم من علماء الأزهر الغيورين على رسالة الإسلام إلى الأستاذ محب الدين رحمه الله وقالوا له: «إن الكتابة في موضوع الرفض ومحاولات فرضه للتدريس أصبحت فرض عين عليك» وطلبوا منه أن يكتب في ذلك فكتب يومئذ كتابه النفيس جداً «الخطوط العريضة للديانة الاثني عشرية»، وأبان فيه الأسس التي يقوم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عليها دين الرافضة من كتبهم ومراجعهم التي كانت بحوزته، وأتى بنقول مخزية لا مجال لرفضها لأنها من أمهات كتبهم مع تحديد الكتاب والمجلد ورقم الصفحة أو مكان الطبع وتاريخه.

وأظهر فيه بكل جلاء كيف أن الرافضة في حقيقية أمرهم يعبدون آل البيت، وفي غيبة هؤلاء يعبدون مجتهديهم، وكيف يحكمون بارتداد جميع الصحابة ما عدا خمسة فقط، وكيف يجعلون من أصول دينهم التبرؤ من الشيخين أبى بكر وعمر –رضي عنهما–، ويعتبرون لعنهما من القربات ويسمونهما بالجبت والطاغوت، وبصنمي قريش، ويجعلون لعنهما من جملة أوراد ختم الصلاة، ويسمون قاتل عمر «بابا شجاع الدين»، ويحتفلون بيوم مصرع عمر –رضي الله عنه–، ويتهمونه في عرضه، ويقولون بتحريف القرآن الكريم وبنقصه، ولهم في ذلك كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»، وكيف يؤمنون بعقيدة الرجعة، وهي القيامة الصغرى، وكيف يطعنون في عرض أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–، مع بيان الأصول اليهودية التي لا شك فيها لذلك الدين الزنيم .. كل هذا وغيره قد كشف عنه محب الدين رحمه الله بأسلوب علمي محقق لا مجال للشك فيه.

تحقيق حوادث التاريخ الإسلامي وتنقيته مما لحق به من الدس والافتراء:

سأل مرة –رحمه الله– عن أفضل كتاب في التاريخ الإسلامي؟ فأجاب: بأن التاريخ الإسلامي لم يكتب بعد، وأفضل ما كتب فيه (البداية والنهاية) لابن كثير رحمه الله، وكان يعتقد بأن تشويه تاريخ الإسلام والمسلمين كان مقصودا كتشويه عقائده وشرائعه، وكان يؤمن بأن إدراك الأمة لأمجاد ماضيها مفاخرة من أعوانها على تقويم حاضرها.

ولنفي الدسائس والافتراءات اللصيقة بتاريخ المسلمين، وللإجلاء عن عظمة ذلك التاريخ وصانعيه كان يدعو إلى دراسة التاريخ على طريقة المحدثين بالتثبت من الروايات التاريخية وأسانيدها الصحيحة، على ضوء ما هو مشهور ومعروف من سلوك صانعي التاريخ من الصحابة والتابعين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأنه لابد من تجريد التاريخ من الخبث الذي لحقه على أيدي أعداء الإسلام وعلى رأس هؤلاء الرافضة، وفي هذا المجال يقول رحمه الله: «والإسلام الذي لم تفتح الإنسانية عينيها على أعلى منه رتبة وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه في تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله لأن الذين دونوا تاريخ الإسلام كانوا أحد رجلين: رجل جاء بعد سقوط دولة فتقرب إلى رجال الدولة الجديدة بتسويء محاسن الدولة القديمة، ورحل اتخذ من الشموس الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، مثلا أعلى، فكل قمر من أقمار العرب مذموم عنده موصوفا بالضآلة والنقص؛ لأنه لا يراه إلا على نور تلك الشموس التي لا تقاس مواهب غيرهم بهم، بل إن عثمان وتضحياته الملائكية محيت فضائلها من أدمغة المسلمين لسوء بيان المؤرخين، ومعاوية الذي تتمنى أية أمة من عظام الأمم أن يكون لها رجل يتصف بعشر مواهبه وفضائله، صرنا نسمع ذمه من أقذر الناس وأحط السوقة، والأمين الذي كان كبار الصحابة يجاهدون تحت قيادته طائعين مختارين لصقت به أكاذيب تقرب الكثيرون بها إلى الله جهلا وتعصبا، أقول هذا وأنا علوي، ولكنى أخاف أن يقوض المسلمون صروح فضائلهم وأن يهدموا قلاعا هي من دواعي الفخر، بينما أبناؤنا يتعلمون من الأوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيقي لشممنا نتنه» [مقدمة ديوان مجد الإسلام].

ويبين أهمية تصحيح التاريخ فيقول: «أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة الإسلام جديرة بأن تستقبل من مظاهر العظمة في تهذيب الإنسانية أبهر وأزهر مما كان لها في الماضي ولن تستوفى هذه الرسالة مهمتها إلا بإرجاع الإنسانية كلها إلى نظام الفطرة الطاهرة وذلك متفق على شيء واحد هو أن يعرف العرب والسلمون من هم وممن هم وما هي رسالتهم في الحياة. ولن يكون ذلك إلا إذا بنوا مناهج تعليمهم وأسس ثقافتهم ومعالم أدبهم على هذه المعرفة والإيمان بلوازمها وتعميم طريقهم نحو أهدافها. ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة والإسلام وتجريد مما دس فيه».

لقد كان محب الدين –رحمه الله– فخورا جدا بأمجاد الإسلام ومفاخر المسلمين وكان يحزن كثيرا لبقاء تلك الأمجاد والمفاخر بعيدة عن أذهان الشباب المسلم خاصة والمسلمين عامة، وله في مجال تخليد الأمجاد الإسلامية وإظهارها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بثوبها القشيب اللائق عمل عظيم لا يجوز أن يذكر محب الدين إلا ويذكر معه، هذا العمل العظيم هو «ديوان مجد الإسلام» للشاعر الكبير (أحمد محرم).

وقصة هذا الديوان يلخصها محب الدين –رحمه الله– في مقدمة الديوان بما مضمونه باختصار: لقد كان يقرأ في المدارس العثمانية شيئا من اللغة الفارسية وآدابها من جملة مقرراتها، وكان أستاذ تلك اللغة يبالغ أمامهم في وصف (الشاهنامة) للفردوسي، وبيانها المنظوم المعجز، ويحدثهم عن صاحبها وكيف أنه أحاط بتاريخ الفرس القديم ثم اتصل بأحد ملوكهم فأعطاه جناحا في قصره وكلفه بأن ينظم أمجاد الفرس فأقام في ذلك القصر ثلاثين عاما وهو ينظم الشعر الرائع في أمجاد فارس حتى بلغت الشاهنامة وهي الديوان الذي وضعه لذلك «ستين ألف بيت».

كان يسمع محب الدين ذلك ويقول: «أليس في دنيا العروبة والإسلام من يقوم للعروبة والإسلام بمثل هذا العمل الأدبي الكبير ليتعرف شبابنا إلى أكمل قومية برأها الله في الدهر الأول وأعدها للقيام بأكمل رسالات الله، أيكون للمجوسية وظلمات الظلم كتاب يخلدها ولا يكون للفطرة السليمة الكاملة ورسالة الله العظمى من يدل عليها ويدفع الناس في طريقها».

أليس من العار أن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطي فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعا قويا مكبرا بأعظم المكبرات فتكون من ذلك (شاهنامة الفردوس) وأن يكون لليونان زمن وثنيتهم وأوهامهم الصبيانية ديوان مفاخر كالإلياذة تتغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا، والإسلام الذي لم تفتح الدنيا عينيها على أعلى منه رتبة، وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه في تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله».

لقد بقيت هذه الفكرة تعمل عملها في نفس محب الدين رحمه الله حتى التقى بأمير الشعراء (أحمد شوقي) –رحمه الله– وتحدث معه عن الشاهنامة والإلياذة واقترح عليه أن يكون أعظم أحداث إمارته في الشعر إهداء مثل هذه الهدية إلى العروبة والإسلام وأدبهما وعظمتهما من ماضيهما وحاضرهما ومستقبلهما –وهذا كلامه–،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

واستمع شوقي إلى هذا الحديث ولم يعد ولم يرفض ثم زار شوقي وفد في منزله لتجديد الحديث معه فبقي عند موقفه من الصمت والابتسام ثم ظهر بعد ذلك أعماله عن دول الإسلام وعظماء التاريخ، ولعله كان من أثر ذلك الاقتراح.

ولكن المطلوب –كما يقول رحمه الله– كان أعظم من ذلك وقديما قيل: «إذا عظم المطلوب قلّ المساعد»، ثم اتصل الشيخ محب الدين بالشاعر الكبير (أحمد محرم) وقويت بينهما الصلة والمحبة، فاقترح عليه ما اقترح على شوقي من تسجيل أمجاد الإسلام في ديوان من الشعر الرائع، وقال له: «لعل الله قد ادّخر لك هذه المهمة واختارك لها لأنك أقرب شعرائنا إلى إخلاص القول والعمل وأكثرهم توخيا لمرضاته»، فاستجاب أحمد محرم رحمه الله لهذه الدعوة، وكان من ذلك ديوان «مجد الإسلام» أو «الإلياذة الإسلامية» التي نظمها أحمد محرم –رحمه الله–، وهو ديوان كبير يقع في ٤٥٠ صفحة نظم فيه الشاعر أهم أحداث السيرة النبوية والغزوات والوفود.

ويقول محب الدين رحمه الله في وصف هذا الديوان في مقدمته: «إن أمجاد العروبة والإسلام أعظم من أن يحيط بها شاعر ولاسيما وأكثرنا لا يزالون متأثرين بما شوهت الشعوبية من تاريخنا ومع ذلك كان ديون مجد الإسلام أعظم ما ظهر للناس حتى الآن مجموعا في كتاب واحد من ومضات هذه الأمجاد وستتمتع به نفوس محبي الأدب الرفيع والنظم البليغ أزمانا».

ومما يؤسف له أن ديوان «مجد الإسلام» بقي طوال ثلاثين عاما مخطوطا ومحبوسا في الأدراج، والشاعر الكبير لا يجد من ينشره بتمامه رغم المحاولات الكثيرة مع المسؤولين إلا ما كان من نشر محب الدين نفسه لفقرات منه في صحيفته الفتح وفي مجلة الأزهر، إلى أن مات أحمد محرم رحمه الله قبل نشره وكادت تضيع أجزاء منه إلى أن قامت مكتبة «دار العروبة» بنشره قبل حوالي ثمان سنوات تقريبا.

إن ديوان مجد الإسلام من أعظم الأعمال الأدبية والشعرية في تاريخنا، وهو عمل أدبي رفيع وشعر رائع بليغ، ومع ذلك فإني أكاد أجزم بأن ثلاثة أرباع المثقفين في البلاد العربية لا يعرفون شيئا عن ديوان مجد الإسلام ولا عن الشاعر الكبير (أحمد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

محرم) الذي نظمه، وكذلك لا يعرفون شيئاً عن الديوان المستقل الذي نظمه أحمد محرم لسائر شعره.

لقد حرصت الجهات المعادية للإسلام في الأوساط الأدبية والثقافية على إهمال الشعراء والأدباء الإسلاميين وحارب الأقلام المؤمنة وأعطت مكان الصدارة فيها للأدعياء من المارقين والملاحدة وذلك حرصا منها على تضليل الأجيال المسلمة وتسميم أفكار النشء وتشويهها.

إيمانه بامتزاج العروبة والإسلام: يقول الأستاذ أنور الجندي في كتابه «أدباء ومفكرون»: ولست أعرف كاتبا كان أوضح رأيا في ربط الإسلام بالعروبة على النحو الذي يحقق فلسفة اليقظة وبناء النهضة كما يفعل السيد محب الدين الخطيب منذ سنوات طويلة، فهو مؤمن بامتزاجهما واستحالة انفصامهما، وهذه عبارته: «إن العروبة ظئر الإسلام، وإن العروبة والإسلام كلاهما من كنوز الإنسانية وينابيع سعادتها، إذا عرف أهلها قيمتها وإذا أتيحت لهما أسباب الظهور للناس على حقيقتهما. وإذا ذلت العرب ذل الإسلام». ويقول: «إننا عرب قبل أن نكون مسلمين، وهذا حق، ولكن لم نكن شيئا قبل الإسلام».

كان الشيخ محب الدين قوي الإيمان بخصائص الأمة العربية وأصالتها واستعدادها للخير وجدارتها بحمل رسالة الله وبطيب عنصرها ونقاء جوهرها، وصفاء فطرتها.

ولقد أدرك محب الدين رحمه الله انهيار الخلافة الإسلامية وزوال الدولة العثمانية، وعاش في مرحلة من أحرج مراحل التاريخ الإسلامي الحديث، وهي مرحلة خضوع العالم الإسلامي الضعيف للغزو الصليبي القوي وحضر احتضار «الرجل المريض» كما كان يسمي الأعداء الدولة العثمانية في أخريات أيامها، وشهد النقلة الخطيرة في حياة المسلمين في تاريخهم الحديث من معالم الحياة الإسلامية وتقاليدها الأصيلة إلى الطراز الجديد من الحياة القائمة على أساس الحضارة الغربية الغازية، والقائمة على الإلحاد والإباحية مع الانسلاخ التام من كل القيم والمثل والأخلاق.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وشهد إفلاس العنصر التركي وعجزه عن المضي في تحمل أعباء الرسالة الإسلامية، وشهد دعاة القومية الطورانية من ملاحدة الترك يتسلقون إلى مراكز السلطة في الدولة العثمانية وينهون الخلافة ويحاولون فرض القومية التركية على الشعوب الأخرى الخاضعة للدولة العثمانية في حركة عنصرية تحاول إذابة تلك الشعوب في العنصر الحاكم دون أية مميزات أو مؤهلات للقومية المتحكمة سوى القهر والغلبة، وخاصة بعد تنكرها للإسلام.

في هذا الجو افتقد محب الدين –رحمه الله– الأمة العربية، والدور الذي يمكن أن تلعبه، وقدراتها وخصائصها التي ترشحها للقيام بذلك الدور .. لذلك تغنى بالأمة العربية وباستعداداتها، ولكنه لم يفهم من العربية يوماً ما شيئا غير الإسلام، وكان ينال من الكتاب المسلمين الذين يفرقون بين العروبة والإسلام، ويعتبرهم من جملة من ساهم في نجاح الحركة القومية البعيدة عن الدين. ولم يكن يوما ما قوميا عربيا، وكان يغضب إذا وضع في صف القوميين العرب الذين ساهموا في القضاء على الخلافة الإسلامية، وإنما كان يدعوا كما قال: «إلى الحكم الذاتي الذي يبرز خصائص الأمة العربية في ظل الإسلام والخلافة».

لقد كان –رحمه الله– يؤمن بالسر العظيم الكامن وراء اختيار الله تعالى للعربية لغة لكتابه وللأمة العربية حاملة لأكمل رسالاته، يقول رحمه الله: «وأمجاد العروبة لا ينفك تاريخها من تاريخ الإسلام بحال، فإذا حيل بين الإسلام والعروبة كانت العروبة جسما بلا روح، وكان الإسلام روحا بلا جسد، وهذا تاريخنا العربي من بدايته إلى اليوم لا نراه ازدهر وانتعش وكان مظهر العز والقوة إلا في الأدوار التي كان الإسلام يزدهر فيها وينتعش ويأخذ نصيبه من العز والقوة، ويكذب من يظن أن العرب تنمو عزتهم بروح أجنبية غير روح الإسلام». [مقدمة مجد الإسلام].

ويقول –رحمه الله– أيضا في تعليقه على ديوان مجد الإسلام: «وستتمتع به نفوس محبي الأدب الرفيع والنظم البليغ أزماناً وأزماناً إلى أن يوجد الشاعر الذي يكتشف سر الله في اختياره العربية لغة لتنزيله، والعروبة بيئة لأكمل رسله، وأهلها أصحابا وأعوانا على حمل رسالته إلى آفاق آسيا وأفريقية ثم إلى أوروبا».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفي حديثه عن شيخه طاهر الجزائري –رحمه الله– يقول: «من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتي وإسلامي، منه عرفت أن المعدن الصدئ الآن الذي برأ الله منه في الدهر الأول أصول العروبة ثم تخيرها ظئراً للإسلام إنما هو معدن كريم لم يبرأ الله أمة في الأرض تدانيه في أصالته وسلامته وصلابته وعظيم استعداده للحق».

وإلى هذا كان يدعو –رحمه الله– إلى الأخذ بأسباب القوة وبكل نافع من نتاج الحضارة الحديثة مع المحافظة على المثل والقيم والأخلاق القديمة لأن الخير كله قديم، وكان يركز على إصلاح المدارس ومناهج التعليم ووسائل الإعلام.

شبهات حول العلامة الخطيب

أنه كان ماسونيّاً، تتلمذه على كتب محمد عبده، ورشيد رضا، والكواكبي، وتأسيسه عدة جمعيات لمناهضة سياسة التتريك الطورانية:

أ– لم يثبت بنقل صحيح أو تصريح صحيح أن السيد محب الدين الخطيب تأثّر بالماسونيّة، رغم صلته بمحمد عبده، ورشيد رضا، والكواكبي فإنّ هؤلاء تأثروا بالماسونيّة، وانخدعوا بشعاراتها، ولمّا انكشف لهم حقيقتها تبرؤوا منها، وبخاصّة رشيد رضا، ومقالاته في ذمها والتحذير منها ملأت «المنار».

ب– تأسيسه عدة جمعيات مناهضة لسياسة التتريك الطورانية؛ كان هدفها المطالبة بحقوق العرب ضمن الدولة العثمانية، وفي ذلك يقول الشيخ محب الخطيب: «إني أقر بكلّ صدق بأني وأنا وجميع من استعنت بهم وتعاونت معهم من رجال العرب وشبانهم لم يخطر ببالنا الانفصال عن الدولة العثمانية».

ويقول: «من مصلحة العرب في الدولة العثمانيّة أن تقر لهم الدولة بلغتهم في الإدارة والتعليم في البلاد التي يتكلّم أهلها العربيّة، وألا تبلغ بهم الحماقة إلى حد أن يكون التعليم في بلادهم بلغة أجنبية عنهم، وإلى حد أن تكون لغتهم محرماً عليهم استعمالها، وأن تكون لغة الإدارة والقضاء في صميم الوطن العربي».

وأخيرا .. وبعد جهاد مضن كريم استمر قرابة قرن كامل أعطى خلاله محب الدين – رحمه الله– للإسلام نور عينيه وحياة قلبه وثمرة قلمه وفكره وأسهر ليله وأعمل نهاره.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بعد كل هذا فقد سكن ذلك القلب الكبير الذي كان يخفق بحب الإسلام، وخبا نور تينك العينين، وهدأت تلك اليد المرتعشة التي حملت القلم للدفاع عن الإسلام والمسلمين دهرا طويلا وسقط ذلك اليراع وتحطم، ومات محب الدين رحمة الله عليه رحمة واسعة.

من مصادر الترجمة

١- «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري» فكري فيصل – دمشق ١٩٨٦ (٨٤٧/٢-٨٦٢).

٢- «الأعلام» خير الدين الزركلي (٢٨٥/٥). بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٩.

٣- نفح الطيب في سيرة العلامة السلفي «محب الدين الخطيب»...الشيخ سليم الهلالي

٤- أوراق متناثرة في تاريخ الصحافة الإسلامية. مبارك القحطاني

٥ – «تاريخ الصحافة الإسلامية»، أنور الجندي – رحمه الله –، القاهرة، توزيع دار الأنصار.

٦ – «اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر»، د.حمد بن صادق الجمال، الرياض، عالم الكتب، ١٩٩٤.

٧- «محب الدين الخطيب ... لمحات من حياته وقبسات من أفكاره» بقلم الشيخ: ممدوح فخري المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ محمد الحسن ولد الددو

عالم في زمن التقلبات

يُعرف بسعة علمه وإطلاعه الواسع في الشريعة، ونبوغه المميز، وذيوع صيته، وانتشار ذِكْره بين طلاب العلم، وهو الملقب في بلاده بنابغة المغرب الأقصى.. إنه الفقيه والعالم الشاب الشيخ محمد الحسن ولد الددو"، زعيم "الحركة الإسلامية" في موريتانيا، والذي كان لا يلبث أن يخرج من المعتقَل حتى يعود إليه ثانية، مواجهًا تهمًا، قد تصل العقوبة في حال إدانته بإحداها –على الأقل– إلى الحكم المؤبَّد، إن لم يرَ النظام السابق غير ذلك!!

عالم بين العلماء

حضر دروسه كبار العلماء والمفتين، واستمع الإمام الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) إلى دروسه في شرح البخاري، وأنصت العلامة الشيخ بكر أبو زيد – حفظة الله– إلى آرائه، ولا يوجد عالم ولا داعية في هذا الزمان إلا ويقر بإمامته وندرة ما يحويه من علوم، وإن لم يكن ممن تفرد بها، وهذا على لسان كبار علماء هذا الزمان ودعاة العصر أمثال: الشيخ عبد الله محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ موسى القرني، والشيخ عائض القرني، والشيخ جاسم الياسين، وعشرات العلماء والدعاة في مختلف بقاع العالم.

بين النشأة والموهبة الربانية

ولد الشيخ سنة ١٣٨٦هـ في قريتهم الشهيرة بـ ((أم القرى)) من إقليم شنقيط، ولقد حباه الله تعالى عدة مواهب فطره عليها وأكرمه بها، منها حدة الذكاء وسرعة الحفظ والفهم. كما كان للوسط العلميّ الذي نشأ فيه أبلغ الأثر في نشأته، فلقد نشأ بين أبوين عالمين، ولاسيما أمه، فأمه من أسرة آل عبد الودود الهاشمية، فهو هاشمي من جهة أمه، أما من جهة أبيه فهو حميريّ، ترجع أصوله إلى قبيلة حمير

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

باليمن. وقد اعتنى أبواه به فحفَّظاه القرآن في سن مبكّرة، حيث أدرك في السنة الثامنة أنه حافظ للقرآن ولا يدري متى حفظه بالتحديد ؛ لأن حفظ الصبيان للقرآن والمتون الأولية أمر مألوف عندهم، ولا يكون مستغرباً كما هو الحال في سائر مجتمعاتنا العربية اليوم.

وقد تلقى عن أمه القراءات العشر، وحفظ على يديها طائفة من المتون، ثم أكرمه الله بملازمة جدّه لأمه العلامة الكبير الشيخ محمد علي بن عدود، الشهير بـ ((محمد علي)) ونشأ في حجره وهو طفل صغير، فحفظ عليه الكثير من المتون المهمة، وتلقى عليه علوم الكتاب والسنة، وقرأ عليه مطولاتها، وتعلّم منه العبادة والسمت الحسن والزهد والجدّ، ولم يعرف لهو الأطفال، وعبث الفتيان، وظل ملازماً لجدّه حتى توفي رحمه الله تعالى، وهو الذي يقول عنه في دروسه: قال شيخي جَدّي.

ثم واصل تلقيه العلوم في محظرة أخواله التي تعرف بـ ((محظرة آل عدّود)) فتلقى على خاليه العالمين الجليلين: ((محمد يحيى)) و ((محمد سالم)) وهما أشهر أبناء الشيخ ((محمد عليّ)) السالف الذكر علماً. وأكثر تلقيه بعد موت جدّه عن بحر العلوم خاله الشيخ محمد سالم بن عدّود وهو الذي يقول عنه في دروسه: قال شيخي خالي، وكان لهذا الوسط الصالح أثر في نشأة الشيخ محمد الحسن على سلامة المعتقد، فأسرة ((آل عدّود)) أسرة وسطية المعتقد مع التربية على الاعتدال في السلوك والعبادة.

العلم في حياة الشيخ

الشيخ حفظه الله تعالى من أعاجيب الدنيا في الحفظ والاستحضار، يشرح المتون الكثيرة، دون أن ترى بيده كتاباً،أو ورقاً إلا في حالات نادرة حين يريد نقل نصّ معين لم يكن حفظه من قبل، ويحفظ من أشعار العرب ودواوينهم وشعر المعاصرين مالا يخطر على بال. وإذا تكلم في فن قلت: إنه قصر نفسه عليه وأفنى عمره في تحصيله.

جلده في عبادته

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الشيخ الددو عالم عامل، صوّام قوّام، لا يترك صوم يوم الاثنين والخميس، وغيرهما من مواسم صيام النفل، يكتفي في غالب أحواله بنوم الظهيرة، وما رآه أحد من عارفيه نائماً على غير شقه الأيمن، في حين أننا نحرص على النوم على الشق الأيمن عند ابتداء النوم، لكننا إذا استغرقنا في النوم، انقلبنا على ظهورنا، وأحسننا حالاً من سلم من الانبطاح والله المستعان. ويتصف الشيخ بجلد منقطع النظير، فلا يمكن أن تراه يُهوّم أو يتثاءب، مهما توالى سهره، واشتد تعبه.

تواضعه

الشيخ من أشد الناس تواضعا، وإنه ليُخجِل زائره بفرط تواضعه، ويكفي أنه يقدم لكل زائر له من محبيه نعليه إذا خرج من عنده، ولا يستأثر بالحديث، ولا يتكلم بحضرة شيخ سبق أن حضر دروسه في مراحل الدراسة الجامعية، دائم البشر، طلق المحيا، مهيب وقور، مسارع إلى خدمة الناس وقضاء حوائجهم لا يردّ طلب أحد، ولا يحب الثناء، ولا يسمح لأحد يتكلم في أهل العلم والفضل، ولا يحب الوقيعة في أحد من المسلمين حاكماً أو محكوماً.

تضحياته في سبيل الدعوة

لقد جاب الشيخ أكثر بلاد الدنيا داعياً إلى الله بالحسنى، محذّراً من الغلوّ في الدين، وما دُعي من مكان في العالم إلا ورحل إليه، درّس العلوم، وحاضر، وواصل كلال الليل بكلال النهار، في صبر عجيب، واحتمال للمشاقّ قل نظيره في هذه الأزمان. كما يمتاز الشيخ برحابة الصدر عند النقاش، فلا تعتريه الحدة، ولا يضيق بالمخالف، ومراراً ما تراه يمسك بأصابع المحاور، ويعدد حججه بواسطتها في ثبات عجيب، ولا يملك من يناقشه إلا الامتثال أو السكوت على الأقل. وخير دليل على منهج الوسطية الذي يتبعه الشيخ الجليل وصحبته أنه قام عدة مرات بزيارة قرية "النباغية" معقل الطريقة التيجانية بموريتانيا، ولم يكتفي بزيارة شيوخها فحسب بل ذهب لعيادة مرضاها وعجائزها، والتيجانية كما هو معلوم تعتبر من ألد الطرق الصوفية للفكر السلفي، لكن الشيخ بفعل وسطيته عمل على نسج علاقات مع كل المشارب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الفكرية والعقدية من اجل توحيد المسلمين ورص صفوفهم ومنع أي ثغرة قد يستغلها الأعداء لتفريقهم.

من أقواله الخالدة

- إن وظيفة الإنسان في هذه الأرض هي تحقيق الاستخلاف الذي أخبر الله به الملائكة وآدم وذريته إذ قال تعالى: {إني جاعل في الأرض خليفة} [البقرة:٣٠] وهذا الاستخلاف يقتضى من الإنسان أن يحرص على نفع أهل الأرض وعلى تحقيق العدل فيها وتنفيذ شرع الله فيها بما يستطيع، وإنما يكلف ببذل الأسباب أما النتائج فهي من القدر الذي على الإنسان أن يؤمن به، لكن لا يجب أن يعمل به، فالقدر نافذ على رغم من شاء ومن كره، أما الشرع فهو الذي نخاطب نحن بالعمل من أجله .. ولاشك أن الإصلاح الممكن هو بحسب ما يقابله من الفساد ومن أعظم الفساد في الأرض في هذا الزمان استهانة الناس بأمور الدين، فتبليغ هذا الدين للناس من أعظم الواجبات في مقابل ذلك الفساد بتعليمهم دعوة الإسلام والنصح لهم.
- الأحكام السياسية ثلاثة أقسام: القسم الشوروي الشرعي وهو الحكم الوسطي فهو وسط بين الاستبداد وبين الديمقراطية، فالحكم الشرعي مبناه على الشورى حيث لا استبداد، قال تعالى: {وأمرهم شوري بينهم} [الشورى: ٣٨] وقال تعالى: {وشاورهم في الأمر} [آل عمران:١٥٩] ومبناه كذلك على الانتقاء والاختيار في الشورى لا على التعميم المطلق، ولذلك قال الله تعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم} [النساء:٨٣]، فالمرجع إذن إلى أولى الاستنباط في الحكم وبهذا يخالف النظام الشورى الإسلامي الديمقراطية حيث إن الديمقراطية تعمم الاشتراك في الأمر العام بين جميع الأفراد بغض النظر عن مستوياتهم الدينية والعلمية والعقلية، فالديمقراطية لا تميز بين صالح وطالح والنظام الإسلامي يميز بينهما، وقد قال الله تعالى: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون} [القلم:٣٥-٣٦] وقال تعالى: {أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون} [السجدة:١٨]. فهذا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التمييز ركن ركين من مبادئ الشرع في هذا المجال، وهذا النظام الإسلامي هو أعدل الأنظمة وأوسطها.

- نحن نسعى دائما للصلح والتسامح، ومن مبادئنا الثابتة ما بينه الرسول – صلى الله عليه وسلم– عن حسن الخلق: (.. قيل وما حسن الخلق الذي تعني، قال: أن تعفو عن من ظلمك، وأن تصل من قطعك، وأن تحسن إلى من أساء إليك) فلسنا من أصحاب التشفي وطلب الانتقام، وليست لدينا هذه النفسية.

وقد اشتهر الشيخ بمواقفه الصارمة من العلاقة الموريتانية الإسرائيلية، وأصدر فتاوى تحرم الصلح مع اليهود وتدعو حكام المسلمين إلى قطع العلاقة معهم، وهو ما أزعج النظام الموريتاني السابق والذي تربطه علاقة وطيدة مع إسرائيل. ولقد كانت فتاوَى الشيخ المناهِضَة لإسرائيل، دافعة للسلطة الموريتانية السابقة إلى اتهامه وغيره من الأئمة والخطباء بتوظيف المنابر لأغراض سياسية، بلغت حد تهديدها على لسان وزير "الثقافة والتوجيه الإسلامي" الموريتاني السابق بتحويل المساجد إلى مخابز!! إذا لم يكفَّ أئمتها عن الحديث في السياسة، وأصدرت بالفعل في مايو ٢٠٠٥م، قانونًا يحظر إلقاء الدروس الدينية والخطب في كل مساجد البلاد عدا خطبة يوم الجمعة، إضافة إلى منع تداول الأشرطة الإسلامية وبيعها.

وكان الددو من بين ٥٢ شخصا اعتقلتهم حكومة (ولد الطايع) واحتجزتهم لشهور دون توجيه اتهام لهم بدعوى أنهم شكلوا تنظيما على صلة بالجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية. رغم أن الددو كان دائما ما يقول إن منهجه يقوم على الوسطية والاعتدال، وأنه يأخذ بمختلف الأسباب ويلتزم بضوابط الشرع، ويعلم أن ما يقدمه عبارة عن اجتهادات بشرية تحتمل الصواب والخطأ. أما ما يتعلق بتغيير النظام فيرى الددو أن منهج التيار الإسلامي أن يتم عبر الوسائل السلمية التي تكفلها النصوص القانونية في البلاد، مشيرا إلى ضرورة السعي للإصلاح والأخذ بمختلف الوسائل المسموح بها في القوانين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المصادر

- **نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للعلامة الشيخ محمد الحسن الدَّدو/عبد الله بن محمد الحكميّ**
- **مجلة العصر «ملفات ساخنة» أنقذوا نابغة المغرب.. محمد الددو...**

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بهجة البيطار

علامة الشام

(١٣١١هـ/١٨٩٤م-١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)

محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، العالم الفقيه، والمصلح الأديب، والمؤرخ الخطيب، ولد بدمشق سنة (١٨٩٤م) في أسرة دمشقية عريقة، اشتهر كثير من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى، وكان جدها الأعلى هبط دمشق مهاجراً من «بليدة» من أعمال الجزائر في المغرب العربي، واختار لسكناه حي الميدان الكبير.

نشأ محمد بهجة البيطار في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين بن عبد الغني حسن إبراهيم الشهير بابن البيطار، كان والده هذا عالماً أديباً يقرض الشعر، محبوباً من الخاصة والعامة لمؤانسته إياهم، فقد تولى الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه، وقد تزوج من ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق ابن حسن البيطار الذي كان من كبار علماء دمشق العاملين على نشر المذهب السلفي، وكان بارعاً في علوم اللغة العربية وآدابها، حسن الرواية حاضر البديهة، ترك عدداً من المؤلفات أهمها كتاب «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»، حققه وتولى التعليق عليه سبطه محمد بهجة البيطار، وقام مجمع اللغة العربية بطبعه في دمشق في ثلاثة أجزاء.

ومن المفارقات أن والده كان من غلاة الصوفية، يقول الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله–: (ومن أعجب العجب، أن والد الشيخ بهجة كان صوفياً من غلاة الصوفية، القائلين بوحدة الوجود، على مذهب ابن عربي، وابن سبعين والحلاج ...)[١٢]

---

[١٢] رجال من التاريخ ص٤١٦-٤١٧

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تلقى محمد بهجة البيطار مبادئ علوم الدين واللغة على والده الشيخ محمد بهاء الدين، وأتم دراستيه الابتدائية في المدرسة الريحانية والإعدادية في المدرسة الكاملية بدمشق، وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية على والده وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره: جمال الدين القاسمي الدمشقي، محمد خضر حسين التونسي نزيل دمشق وعلى محدث الديار الشامية الكبير محمد بدر الحسيني، ونال الإجازة منهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية.

وكان تأثره بالشيخ جمال الدين القاسمي كبيراً، قال عاصم البيطار ولد الشيخ بهجة: (وكان والدي ملازماً للشيخ جمال الدين، شديد التعلق به، وكان للشيخ –رحمه الله– أثر كبير، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة، والبعد عن الزيف والقشور، وحسن الانتفاع بالوقت، والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي).

والحمد لله أسهم الشيخ في نشر العقيدة الصحيحة .. وتولى عدداً من المناصب العلمية .. وقد اختير الشيخ «بهجة البيطار» في جمعية العلماء، ثم في رابطة العلماء في دمشق.

تولى البيطار سنة (١٩١٠م) الخطابة والتدريس في جامع «القاعة» بحي الميدان خلفاً لوالده، وكان خطيباً بارعاً يخطب ارتجالاً، ثم تولى سنة (١٩١٧م) الخطابة والتدريس في جامع «كريم الدين» الشهير بالدقاق خلفاً لخاله، وهذا الجامع هو مسجد المحلة التي تقطن أسرة البيطار فيها، وكانت الإمامة والخطابة فيه في أسلاف البيطار مما يمتد لأكثر من مائة عام، وظل محمد بهجة البيطار يخطب ويدرس الناس مختلف العلوم في مسجد محلته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، ما انقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر.

سافر للحجاز وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام (١٣٤٥هـ – ١٩٢٦م)، وأبقاه الملك عبد العزيز فجعله مديراً للمعهد العلمي السعودي في مكة،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ثم ولاه القضاء، فاشتغل به مدة ثم استعفاه، فولاه وظائف تعليمية، وجعله مدرساً في الحرم، وعضواً في مجلس المعارف.

وقد كان سبباً في هداية عدد كبير من طلبة العلم والمثقفين والأدباء إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ومنهم الشيخ الأديب علي الطنطاوي حيث يقول عن تلكم الحوارات: (لقد وجدت أن الذي أسمعه منه يصدم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية، وكنت موقناً بما ألقوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول: «بأن ما عليه السلف هو الأسلم، وهو الأحكم»... وكنت نشأت على النفرة من ابن تيمية والهرب منه؛ بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إليّ، وكنت حنفياً متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد على الدليل، لا على ما قيل... وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعاً به، بعد عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات ...) [١٣]

ثم يقول الشيخ علي الطنطاوي –رحمه الله تعالى–: (وكان اتصالي بالشيخ بهجة قد سبب لي أزمة مع مشايخي، لأن أكثر مشايخ الشام ممن يميلون إلى الصوفية، وينفرون من الوهابية، وهم لا يعرفونها ولا يدرون أنه ليس في الدنيا مذهب اسمه الوهابية، وكان عندنا جماعة من المشايخ يوصفون بأنهم من الوهابيين، على رأسهم الشيخ محمد بهجة البيطار ...) [١٤]

في سنة (١٩٣١م) عاد محمد بهجة البيطار إلى دمشق ليؤم أهل حيه كل يوم ويخطبهم كل أسبوع في جامع الدقاق بالإضافة إلى تدريس العلوم الدينية والعربية في

---

[١٣] رجال من التاريخ لعلي الطنطاوي ص٤١٤ .

[١٤] رجال من التاريخ لعلي الطنطاوي ص ٤١٦.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المسجد وفي بعض المدارس الخاصة، كما تولى تدريس العلوم الشرعية سنة (١٩٣٤م) ولبعض الوقت في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت.

وفي عام (١٩٤٤م) أوفد إلى الطائف مدة ثلاث سنوات ليتولى إدارة معهد «دار التوحيد السعودية» بناء على رغبة الملك عبد العزيز سعود.

وفي عام (١٩٤٧م) عهدت إليه جامعة دمشق القيام بتدريس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب، وفي سنة (١٩٥٣م) أُحيل محمد بهجة البيطار على التقاعد من وظيفته الحكومية، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف بإلقائها في كلية الشريعة، وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف، إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية وعلى أعمال مجمعية عديدة حيث كان قد انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٢٣م)، ومشرفاً على مجلته.

كان محمد بهجة البيطار من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطاً، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة، وفي تحرير مجلة المجمع وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية، كما شغل عضوية لجنة المطبوعات في مجمع دمشق منذ (١٩٥٣م)، واستمر على القيام بمهامها في الإشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى قبيل وفاته بأسابيع قليلة.

وفي عام (١٩٥٤م) انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العراقي، عندما تم توحيد مجمعي دمشق والقاهرة سنة (١٩٦٠م) باسم مجمع اللغة العربية كان البيطار في مقدمة أعضاء المجمع الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة سنة (١٩٦١م).

جرى محمد بهجة البيطار على عادة علماء السلف، يقرض الشعر في ساعات الفراغ يؤرخ به لحادثة جرت، أو يهنئ صديقاً بنعمة، أو يعزيه بمصيبة ألمت به، ويستعين بالنظم أحياناً في تلخيص علم أو تدقيق قاعدة.

ترك البيطار ديواناً صغيراً فيه شعر يمدح به الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، كما يتضمن أبياتاً ومقطوعات ومساجلات مع بعض أصدقائه وزملائه المجمعين أمثال

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الأساتذة عز الدين التنوخي ومحسن البرازي بدمشق، وأحمد العزاوي في مكة، ومحمد سعيد كمال في الطائف.

قام محمد بهجة البيطار برحلات علمية ودراسية عديدة، أرخ لها في نهاية كتابه (الرحلة النجدية الحجازية) وشملت رحلاته البلاد العربية والإسلامية والروسية والولايات المتحدة الأمريكية، موضحاً الدافع إلى كل منها، وأهم ما وقع له خلال بعضها.

ومن تلاميذ الشيخ بهجة: الشيخ الأديب علي الطنطاوي، وعميد مجمع اللغة العربية عز الدين التنوخي، والعالم المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

الثمرات

ترك عدة مؤلفات قيمة منها:

١ – كتاب (مسائل الإمام أحمد، لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني)، وهو أقدم كتب المكتبة الظاهرية، حققه السيد محمد رشيد رضا. «تعليق»

٢– (أسرار العربية) لابن الأنباري «تحقيق»

٣ – (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) لمحمد جمال الدين القاسمي «تحقيق وتعليق»

٤ – (الإسلام والصحابة الكرام بين السنّة والشيعة) رسالة.

٥ – تفسير سورة «يوسف» حيث أكمل التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا (تفسير المنار) مع التقديم له.

٦ – حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات

٧ – «الرحلة النجدية الحجازية» صور من حياة البادية

٨ – (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) لجده عبد الرزاق البيطار «تحقيق وتقديم»

٩ – (الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين)، وهو شرح الأربعين العجلونية، تأليف جمال الدين القاسمي «تقديم وتحقيق»

١٠ – كلمات وأحاديث، كان بعنوان: (الثقافتان الصفراء والبيضاء).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

١١- كتاب (المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا) وقد بدأه محمد رشيد رضا وأكمله البيطار ووضع مقدمته.

١٢- (الإنجيل والقرآن في كفتي الميزان) بحث.

ثناء الشيخ البشير الإبراهيمي

علم من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة السلفية الحقّة، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة، واسع الاطّلاع على آراء المفسّرين والمحدثين، سديد البحث في تلك الآراء، أصوليّ النزعة في الموازنة والترجيح بينها، ثم له -بعدُ- رأيه الخاص.

يوافق ما يوافق عن دليل، ويخالف ما يخالف إلى صواب؛ لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهوم، وأنه كتاب الكون، ودستور الإنسانية، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير؛ فجرّدوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم، وجرّدوا القرآن من خصائصه العليا، وقيّدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصّة.

والأستاذ البيطار مجموعة فضائل، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خُلُق فاضل إلا رأيته فيه، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية، يزِن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة، لا بأقدار الأئمة، ويعطي كُلاًّ ما يستحق، جريء على قولة الحق في العلميات، ولكن الجرأة منه يلطفها الوقار، والوقار فيه تُزَيِّنه الجرأة، فيأتي من ذلك مزاجٌ خُلقي لطيف، متساوي الأجزاء، مزدحم الخلايا، قلَّ أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين.

والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير، وخصوصاً في أحوال المسلمين، بصير بعللهم وأدوائهم، طَبٌّ بعلاجهم ودوائهم؛ يرى أن ذهاب ريحهم من ذهاب أخلاقهم، وأن معظم بلائهم آتٍ من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم، وهو يعني كبراء الدعوى، وأمراء السوء، وعلماء التقليد.

يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال، ومقارنات في التاريخ والاجتماع، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية؛ وله في الإصلاح الديني سلف صدق، حققوه علماً، وطبّقوه عملاً.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يعتمد في تحصيله وتربيته على طودَيْن شامخين من أطواد العلم والعمل: أحدهما عبد الرزاق البيطار، والثاني الإمام المحدّث جمال الدين القاسمي، عنهما أخذ، وفي كنفهما نشأ، وعلى يديهما تخرّج؛ فجاء عالماً من ذلك الطراز الذي نقرؤه في التراجم، ولا نجده فيمن تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرءون ويحفظون وينقلون، ولكنهم لا يفقهون.

هذا العديد المتشابه الذي كأنه نُسخ من طبعة واحدة من كتاب، لا يقع التحريف في واحدة منها إلا وقع في جميعها، ولا يزيد واحد منهم في العدد إلا كما يزيد كتاب في مكتبة، لا كما يزيد فارس في كتيبة؛ بآية أنهم ما كثروا في الأمة إلا قلّت بهم الأمة، ولا ثقلوا في أنفسهم إلا خف وزنها في الأمم، ولا تغالوا في التعاظم إلا كان ذلك نقصاً من معاني العظمة فيها، وبآية أن علمهم لم يؤهّلهم لقيادة الأمة، فتركوا القيادة لغيرهم، وأصبحوا كأدوات التصدير التي يسبقها حرف الجر، فيدخل عليها ولا يعمل فيها؛ وبآية أن العالم في أوربا لا يعد عالماً إلا إذا زاد في العلم شيئاً، أو كشف من خفيِّه شيئاً، أو جلا من غامضه شيئاً، ونفض –مع ذلك– على العلم من روح زمنه شيئاً؛ ولا عجب! فالعلم عندهم ياقوتة في منجم، وعندنا لفظة في معجم، والأُولى تستخرج بالبحث والإلحاح، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح، والأولى حظ المجتهد العامل، والثانية حظ المقلّد الخامل.

بدء معرفتي به:

خرجت من المدينة – فيمن خرج – إلى دمشق في أخريات سنة ست عشرة ميلادية [١٥]، وكنت أتمنى لو أن دواعي ذلك الخروج كانت تقدمت ببضع سنوات لأدرك الإمامين اللذين كانت لهما في نفسي مكانة، وهما عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي.

وكنت – وأنا بالمدينة – قرأتُ للقاسمي عدة كتب عرفت منها قيمته ومنزلته، وقرأت عن البيطار، وسمعتُ ما دلني عليه، وأدناني منه.

---

[١٥] يعني سنة ١٩١٦م

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفي أول اندلاع الثورة الشريفية قدم المدينة من دمشق جندي شاب من آل الماردينيّ، وتعرّف إليّ في مكتبة شيخ الإسلام (عارف حكمت)، وتردّد على دروسي مرات في الحرم النبوي، فانعقدت بيننا ألفية روحية لا تأتي بمثلها الأسباب، وذلك الشاب شقيق الأستاذ (جودت الماردينيّ)، ولأسرة الماردينيّ بدمشق صلة متينة بأسرتَي القاسمي والبيطار.

فكنت أسأله عما يهمُّني من دمشق وأحوالها وعلمائها، وعن القاسمي والبيطار، كأن هاتفاً من وراء الغيب ألقي إليَّ أنني سأرحل إلى دمشق.

فأخبرني ذلك الشاب أن الله –تعالى– أبقى من بيت البيطار وارثاً لعلم الإمامين ومشربهما في الإصلاح، وهو الأستاذ (محمد بهجة البيطار)، وأن له من الشباب المصلح صحباً قليلاً عددهم، يوافقونه على الفكرة، ويلتقون معه على المبدأ؛ وأنه هو إمامهم ومرجعهم؛ فشوَّقني حديث الشاب إلى الأستاذ، وعلمت أن الروحين تعارفتا، فائتلفتا، ولم يبق إلا تعارف الأجساد.

ثم رجع الشاب إلى دمشق فأخبر الأستاذ عني بمثل ما أخبرني عنه، فتمّ التجاوب الروحاني بيننا، وتنادت الروابط الفكرية إلى الاجتماع فكان.

ولما دخلت دمشق بعد ذلك بقليل، كان أول من زارني –بعد كرام الجالية الجزائرية– من أصدقائي السوريين الذين عرفوني بالمدينة المنورة: الأستاذ (عبد القادر الخطيب المظفر)، وذلك الشاب الماردينيّ الذي أنساني الزمان اسمه وإن لم يُنسني ذكراه، فكاد يطير فرحاً بمقدمي، وطار إلى أبناء المشرب –كما كان يسمّيهم– يُؤذّن فيهم بزيارتي فزاروني لأول مرة في رهط أذكر منهم شيخ الجماعة الأستاذ البيطار، والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي، والأستاذ جودت الماردينيّ، والأستاذان قاسم ورضا القاسميين، والأستاذ سعيد الغزي، والأستاذ عبد القادر المبارك، وكان بيننا في لحظة ما يكون بين إخوان الصفا وإخوان الصبا من تأكُّد المحبة وارتفاع الكلفة، وسقوط التحفّظ.

ثم تعاقبت الاجتماعات وانتظمت، واتّسقت أسباب اللقاء، واتسعت آفاق البحث في الأسمار، وكثُر الصحب، وما منهم إلا السابق الْمُغَبِّر، والكاتب الْمُحَبِّر؛

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

واللِّسِن المعبّر، فكنّا لا نفترق من اجتماع إلا على موعد لاجتماع، وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي الشيخ الأستاذ (محمد الخضر حسين) مد الله في حياته.

ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً، فَأَشْهدُ صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر، في عمري الغامر، وأنني كنت فيها أقرّ عيناً وأسعد حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً، فوجد الإدبار رائحاً والإقبال آتياً. [١٦]

ولا أكذب الله، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن «الجزائر»، ولكن .. من لي فيه بصدر رحب، وصحب كأولئك الصحب؟

إن نسيت فلن أنسى ساعات كنت قضيتها في مكتبة آل القاسمي ممتعاً عيني وذهني في مخطوطات جمال الدين، ومسودات مباحثه في التفسير والحديث، وفي ذلك المخطوط الحافل الذي ما رأت عيني مثله في موضوعه، وهو كتاب (بدائع الغرف، في الصنائع والحِرف) لجدّه الشيخ محمد سعيد الحلاّق، أرّخ فيه لصناعات دمشق الجليلة التي أخنى الزمان على أكثرها، وجلا فيه صفحات من مجدها الصناعي البائد.

ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع [١٧] وسقت، وأفرغت فيها ما وسقت. [١٨]

---

[١٦] يشير إلى قول أبي الهندي:

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في بلد مَحْلِ

فما زال بي إكرامهم وافتقادهم وبرُّهم حتى حسبتهم أهلي

قال ابن عبد البر –رحمه الله– في بهجة المجالس ١ / ٢٩٤: "تذاكر أهل البصرة من ذوي الأدب والأحساب في أحسن ما قاله المولَّدون في حسن الجوار من غير تعسُّف ولا تعجرف، فأجمعوا على بيتي أبي الهندي"

[١٧] الهوامع: السحب الممطرة

[١٨] ما وسقت: أي ما جمعت من ماء

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وخصّت بالمثقلات الدوالح [١٩] مجامع الأحباب، وأندية الأصحاب، من الصالحية والجسر والنَّيربين [٢٠] المزة والربوة.

فكم كانت لنا فيها من مجالس، نتناقل فيها الأدب، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية، على ودٍّ أصفى من بردى تصفق بالرحيق السلسل [٢١]، ووفاء أثبت من أواسي قاسيون، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات.

لا توبَن في مجالسنا حرمة، ولا يُكلم عرض، ولا يقارف مأثم. وإنما هو الأدب، بلا جدب، نهصر أفنانه؛ والعلم، بلا ظلم، نطلق عنانه، والفن بلا ضن نروّق دنانه، والنادرة بلا بادرة نتلقفها، والنكتة بلا سكتة نتخطفها.

ويا تربة الدحداح، بوركت من تربة، لا يذوق فيها الغريب مرارة الغربة، ولا زلت مسقطاً لرحمات الله.

إنني أودعت ثراك أعزّ الناس عليّ: أبي وابني وجَدَّي أولادي؛ فاحفظي الودائع إلى يوم تُجزى الصنائع.

ويا جناتِ الغوطة، وقراها المغبوطة، لا زلت مجلى الفطر، والحد الفاصل بين البدو والحضر، أشهد ما عشوتِ من الغرب إلى نار، ولا عشيت منه بنور.

تبارك من رواك بسبعة أودية، وكساك من وشي آذار بخضر الأردية. كم فُتِنتُ بمناظرك الشعرية، وأخذت بمجاليك السحرية، وكم تزوّدتْ عيناي فيك بروضة وغدير،

---

[١٩] الدوالح: جمع دلوح ودلوحة، وهي السحابة المثقلة بالماء

[٢٠] النَّيربان: هما جانبا دمشق الشمالي والجنوبي حول نهر بردى

[٢١] قوله: على ود أصفى من بردى تصفق بالرحيق السلسل ، هذا تضمين لبيت حسان ابن ثابت –رضي الله عنه– وهو ضمن قصيدته التي تسمى البتارة، التي مدح بها آل جفنة من الغساسنة، والتي مطلعها:

اسألتَ رسم الدار أم لم تسألِ بين الجوابي فالبضيع فَحوقلِ

إلى أن يقول:

سَقُون مَنْ وَرَدَ البريص عليهم بردى يصفِّق بالرحيق السلسل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكم تمتعت أذناي من جداولك وأشجارك بحفيف وهدير. ويا يوم الوداع ما أقساك، وإن كنت لا أنساك.

لا أنسى بعد ثلاثين سنة –ولن أنسى ما حييت– موقف الوداع بمحطة البرامكة والأستاذ الخضر يكفكف العبرات، وتلامذتي الأوفياء: جميل صليبا، وبديع المؤيد، ونسيب السكري، والأيوبي، يقدّمون إلي بخطوطهم كلمات في ورقات، ما زلت محتفظاً بها احتفاظ الشحيح بماله.

عهود لم يبق إلا ذكراها في النفس، وصداها في الجوانح، والحنينُ إليها في مجامع الأهواء من الفؤاد.

ولولا أن السلوّ كالزمن يتقادم، وأن الهوى مع العقل يتصادم، لقلت مع المتنبي: أبوكم آدم!... [٢٢]

ولقد راجعت (مذكراتي) المنقوشة في ذاكرتي فوجدُتها حافظة لتلك العهود بأيامها ولياليها وأحاديثها، فليت شعري أيذكر الأحياء من إخوان الصفا مثل ما أذكر؟ ذلك ما تكشف عنه رسالة الأخ الأستاذ محمد بهجة البيطار التي ننشر بعضها بعد هذه الكلمات.

وهي التي أثارت هذه الذكريات في نفسي؛ فكتبتها، ليعلم هذا الجيل الذي نقوم على تربيته أن في الدنيا بقايا من الوفاء والمحبة، تتماسك بها أجزاء هذا الكون الإنساني، وأنه لولا هذه البقايا لانحدر الإنسان إلى حيوانية عارمة كالتي بدت آثارها في الجماعات التي جفّت نفوسها من الوفاء والمحبة، فخلت من الإحسان والرحمة، فهوت بها المطامع، إلى ما يراه الرائي ويسمعه السامع.

---

[٢٢] يشير إلى قول المتنبي في قصيدة شِعب بَوَّانٍ :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يُسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وإن منبت الوفاء الشرقُ، وإن زارعه وساقيه والقيّم عليه هو الإسلام، وعسى أن تحمل (البصائر) [٢٣] هذه الذكريات إلى الإخوان الأصفياء في دمشق فنتنادم على البعد، ونلتقي على الذكريات، ونتناشد:

إنا على البعاد والتفرق * لنلتقي بالذكر إن لم نلتق

وعهداً لأولئك الإخوان أني ما جفوت ولا غفوت، وأني لم أزل – منذ افترقنا – أتسقّط أخبارهم من الصحف ومن السفار، ولولا الهزاهز والفتن ما انقطع بيننا للصلة حبل. [٢٤]

من روائع كتاباته

- **«محمد صلى الله عليه وسلم»** [٢٥]

من تصفح كتب السيرة النبوية الشريفة التي صاغها الحكماء قديماً وحديثاً، أو استجلى سيرة النبي الأعظم –صلى الله عليه وسلم– من صفحات الوجود، كان جِدَّ عليمٍ بأنه أعظم مصلح ظهر في هذا الكون، ورأى أن تعاقب الأجيال لم يزد هذه الحقيقة إلا جلاءً وصقالاً؛ فهو –صلى الله عليه وسلم– إن ذكر العظماء كان أعظمهم، وإذا ذكر الرسل والأنبياء كان مقدمهم وخاتمهم.

نشأ يتيماً فاقد الأبوين، فلم نر من ذوي الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات من تربى تلك التربية الطاهرة، واشتغل –على حداثة سنِّه– بما يعود على كافليه بالخير والبركة والمعاونة.

سافر بتجارة لخديجة بنت خويلد، فكان المثل الكامل في كل عصر بقوة نشاطه، وعظيم أمانته، وأرباحه في تجارته.

---

[٢٣] يعني صحيفة البصائر التي كان يرأسها

[٢٤] «من نفحات الشرق: الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار» للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، أنظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٣/٥٦٤، وقد كتبها الإبراهيمي سنة ١٩٤٩م.

[٢٥] مجلة "الهداية الإسلامية" الجزء التاسع من المجلد السابع الصادر في ربيع الأول ١٣٥٤هـ، وانظر كتاب: محمد بهجة البيطار – بهجة الإسلام – إعداد الأستاذ علي الرضا الحسيني ص٢٤– ٢٧.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تزوج بخديجة، فلم يكن بزواجه أنانيَّاً ولا شهوانيَّاً، بل كان –صلى الله عليه وسلم– وهو ابن خمسة وعشرين عاماً مضرب المثل في العفة والاستقامة، والاكتفاء بامرأة مسنَّة أيِّم، كانت قبله ذات زوج وولد، وهي أولى أزواجه، وأم أولاده، وقد عاش معها ربع قرن كامل، ولم يتزوج عليها أحداً، وإنما تزوج بعدها سودة بنت زمعة، وعاش بمكة حتى بلغ من العمر ٥٣ عاماً لم يجمع فيها بين اثنتين أصلاً.

أما تزوجه في المدينة –في بضع سنين– بتلك النسوة الثاكلات الأيامى، وذوات الأولاد اليتامى – فلمصالح زوجية واجتماعية، وأسباب خاصة وعامة، مبسوطة في كتب السيرة الشريفة القديمة منها والحديثة، اللهم إلا عائشة التي بنى بها في المدينة وهي بنت تسع سنين، وبقيت كخديجة آية على وجه الدهر في حبها وإخلاصها لزوجها ووفائها له، ثم كانت إحدى معجزاته –صلى الله عليه وسلم– الخالدة في مشكلات التفسير والحديث والفتاوى والأحكام، ومسندها في مسند أحمد ابن حنبل يقع في ٢٥٣ صفحة، وعلى رواياتها المعوّل في معرفة ما كان رسول –صلى الله عليه وسلم– يفعل في بيته.

كان أمر المرأة في التاريخ القديم والحديث عجباً، فمنهم من وَأَدَها، ومنهم من عبدها!.

لكن الإسلام هو الذي أنزلها المنزلة اللائقة بها، فهو قد منحها حقوقها، وعرفها واجباتها وآية: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ} [البقرة:٢٢٨] لا يوجد في الدنيا قانون أعدل ولا أجمع منها، إذ قد ساوت بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة الشورية على الأهل والأولاد؛ فالإسلام لم يستعبد المرأة كما فعلت الأمم السابقة، ولم يقلب نظام الطبيعة؛ ليجعل منها رجلاً ثانياً كما فعلت الأمم الحديثة المتمدنة؛ فقد تخلى عنها عندهم الأب والأخ والابن، ودفعوها جميعاً في تيار العمل خارج المنزل، فشقيت، وشقي الرجل بها ومعها.

زعموا أن الإسلام قد هضمها حقها في الميراث، أوَلا يذكر هؤلاء أن ميراثها ومهرها لها، وأنها تتصرف في أموالها كيف شاءت؟

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهل تملك المرأة الحديثة من مال زوجها أو من مالها عنده من التصرف المطلق ما تملكه المرأة المسلمة؟ كلا إنها لا تملك حق التصرف في مالها بغير إذن زوجها.

زعموا أن الإسلام قد جعلها بنصف عقل الرجل في كل شيء! أولا يعلمون أن أصل هذه المسألة هي آية المداينة في آخر سورة البقرة، ومنها قوله تعالى: {وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى} أي إذا نسيت إحداهما أذكرتها الثانية، فإذا كان الرجل في مقام امرأتين فيما ليس من خصائصها، ولا هو من وظائفها، وهو يُنسى عادة من مثلها أفلا تعد المرأة بمنزلة رجلين في شؤونها المنزلية، وأمورها الداخلية، وهل ينقص هذا من قدره شيئاً يا ترى؟

ألم يفرق الرسول –صلى الله عليه وسلم– بين عقبة بن الحارث وزوجه أم يحيى بنت أبي إهاب مذ شهدت أمة سوداء بأنها أرضعتهما؟ والحديث في الصحيح.

وهل جعلها الرسول –صلى الله عليه وسلم– ناقصة العقل، ضعيفة الذاكرة، فيما هو من خصائصها، أم قَبِل خبرها وحدها بعد نحو عشرين عاماً تقريباً؟

وأما كونها بنصفِ دين فالدين كالإيمان يطلق على الصلاة، وللمرأة عادتها الطبيعية في الحيض وفي النفاس، والشارع قد أسقط عنها الصلاة في تلك المدة طالت أو قصرت {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ}[البقرة:١٧٨].

بخلاف سائر أركان الإسلام كالزكاة والحج والصيام فإنها مطالبة بأدائها كاملة كالرجل.

وجملة القول أنه –صلى الله عليه وسلم– أكبر المصلحين، وأكمل الأنبياء، وأشرف الخلق، وأجدر الناس بالمحبة والطاعة والاتباع.

- **« أمهات المؤمنين »** [٢٦]

النساء في عصر النبوة

---

[٢٦] مجلة "الهداية الإسلامية" الجزء العاشر من المجلد التاسع الصادر في ربيع الآخر ١٣٥٦هـ، وانظر كتاب: محمد بهجة البيطار، إعداد الأستاذ علي الرضا الحسيني ص٢٨–٣٦.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

النساء في فجر الإسلام وعصر النبوَّة كُنَّ كالرجال، يتدارسن القرآن، ويروين الأحاديث، ويحافظن على العبادات، ويصلين صفوفاً وراء الرجال، ويستمعن المواعظ والخطب في المساجد، ويسافرن لأداء فريضة الحج والعمرة، بل كنَّ يشهدنَ الحروب، ويضمدن الجروح، ويُهيئن الطعام، ويسقين الماء، ويغسلن الثياب، ويشتركن في الجهاد أحياناً كما حصل في واقعة اليرموك.

وقد كان تعلم العلم الديني بعقائده وعباداته إلزامياً، فعمَّ الرجال والنساء، والبنين والبنات، وإنك لتجد أسماء النساء مدونة في كتب طبقات المحدِّثين وغيرهم، وقد استغرقت المحدِّثات المجلد السادس من مسند الإمام أحمد ابن حنبل إلا قليلاً، ومسند السيدة عائشة – أي الأحاديث التي سمعتها وروتها – قد بلغ وحده أكثر من مائتين وخمسين صفحة «ص٢٩-٢٨٢».

وقد تسلسل العلم ببعض البيوتات في السيدات، حتى صارت الواحدة تروي أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أمها وجدتها.

ومن شواهد ذلك ما رواه الإمام أبو داود في سننه: قال: حدثنا محمد ابن بشار، حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد، حدثتني أمُّ جَنوب بنت نميلة عن أمها سُويدة بنت جابر عن أمها عَقيلة بنت أسمر بن مضرّس قال: أتيت النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له» أي من الأرض – الحديث.

إحدى أمهات المؤمنين وفتاة في القرن العشرين:

لنقايس الآن من الوجهة العلمية بين فتاة في صدر الإسلام، وفتاة في عصر العلم والحضارة، لنعلم كنه الحياة في العصرين:

عائشة – رضي الله عنها – عاشت في صدر الإسلام، ودخلت المدرسة النبوية في التاسعة من عمرها، ولبثت تسع سنوات في مدرستها، وتوفي عنها معلمها الأمين – صلى الله عليه وسلم– وهي في الثامنة عشرة من عمرها، فما العلوم التي درستها، وما نوع شهادتها يا ترى؟

كانت تلك النابغة فقيهة جداً حتى قيل: إن ربع الأحكام منقول عنها، عالمة بكل العلوم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قال أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه–: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً».

وقال عروة: «ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحرام، ولا بحلال، ولا بفقه، ولا بشعر، ولا بطب، ولا بحديث العرب، ولا نسب – من عائشة».

وقال مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأكابر يسألونها عن الفرائض».

وكانت فصيحةً جداً، قال معاوية: «والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ، ولا أفصح، ولا أفطن من عائشة».

وعند الطبراني برجال الصحيح عن موسى بن طلحة: «ما رأيت أحداً كان أنفح من عائشة».

من أخذ عنها من الصحابة:

روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله، وأبي هريرة، وأبي موسى، وزيد بن خالد، وابن عباس، وربيعة بن عمرو بن السائب بن يزيد، وصفية بنت شيبة، وعبد الله بن عامر بن الحارث بن نوفل.

تلاميذها من كبار التابعين:

من أجلاّئهم ابن المسيب، وعمرو بن ميمون، وعلقمة بن قيس، ومسروق، وعبد الله بن عليم، والأسود بن يزيد، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو وائل.

من روى عنها من آل بيتها:

أختها أم كلثوم، وعائشة بنت طلحة، وأخوها من الرضاع عوف ابن الحارث، وابنا أخيها محمد: القاسم وعبد الله، وبنتا أخيها الآخر عبد الرحمن: حفصة وأسماء، وابنا أختها أسماء: عبد الله وعروة، وحفيد عبد الله: عباد ابن حمزة، وآخرون كثيرون.

فهذه شذرة من شهادة كبار الصحب لعائشة بكونها صارت مرجعاً في كل علم، حلاّلة لكل مشكل.

إن عائشة – رضي الله عنها – كانت على حداثة سنها تجيب كبار الرجال عما يُشكل عليهم من أمر دينهم، ولكن فتياتنا في سنها لا يُجبن عن مشكلات الدين

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أحداً، بل هنَّ يسألن ويستشكلن مسائل كان يُرجى منهن أنفسهن الجواب عليها، مثل كون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وميراثها نصف ميراثه، ومثل تعدد الزوجات «أو عدم المساواة كما يُقال»، وعن الحكمة في كون أزواج النبي أكثر من أربع، وأمثال هذه المسائل.

حكمة تعدد أمهات المؤمنين بعد الهجرة:

لو رجعنا إلى التاريخ الصحيح في أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم– أمهات المؤمنين، لعلمنا أنَّ التعددَ، أو الجمع بين التسع لم يكن إلا بعد هجرته –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة في السنوات العشر الأخيرة من عمره.

أما في مكة فقد عاش فيها قبل الهجرة ثلاثة وخمسين عاماً، لم يجمع في أثنائها بين زوجتين قط، والسيدة خديجة التي كانت أولى أزواجه وأم أولاده –عدا إبراهيم؛ فإنه من مارية القبطية– قد تزوج بها [٢٧] وهي امرأة في الأربعين من عمرها، وهو في الخامسة والعشرين من حياته الشريفة، في نضارة الصبا، وريعان الفتوة، وجمال الطلعة، وكمال الرجولة، وعاشت معه ٢٥ عاماً، ثم توفيت وهي عجوز في الخامسة والستين من عمرها.

قضى حياة الشباب، وسنَّ الحاجة إلى النساء مع خديجة، المرأة الثيب التي تزيد عنه في السن خمسة عشر عاماً، ولم يتزوج عليها، ولا أحب بعدها أحداً أكثر من حبه لها، وكان طول حياته يذكرها، ويكرم صديقاتها ومعارفها، ولما قالت له عائشة: «هل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها –تعني نفسها–» وكانت تُدِلّ بحداثة سنها وجمالها، وكونها بنت صديقه الأول، وصديقه الأكبر أبي بكر –رضي الله عنه– قالت: فغضب، وقال –صلى الله عليه وسلم– : «والله ما أبدلني خيراً منها، آمَنَتْ بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء».

---

[٢٧] الضمير يعود إلى أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من هذا الشاهد تعلم أن عفَّتَه –صلى الله عليه وسلم– لا نظير لها، ولو شاء لتزوج بحسان الأبكار، أو لو شاء لتزوج على خديجة كما كان يفعل غيره، لاسيما أن تعدد النساء كان في الجاهلية شائعاً جداً، وليس له حدٌ معين، ولكنه عف ضميره، ولم يمد عينه إلى زهرة الحياة، وزينتها.

أما باقي أزواجه –صلى الله عليه وسلم– فخمس من قريش، وهنَّ عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أمية، وأما الأربع الباقيات فهن صفية بنت حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وليس فيهن كلِّهن بِكْرٌ إلا عائشة.

والحكمة في تزوجه –صلى الله عليه وسلم– بعد هجرته إلى المدينة ببضع نسوة في بضع سنين هو العناية بإصلاح البيوت، وتهذيب النفوس، ونشر الفضيلة، وأن تكون أزواجه قدوة حسنة لجميع النساء في تلقي العلم والحكمة، والرحمة، والتقوى والعبادة، والتربية والتعليم، وإليك البيان:

١– جعل الله تعالى من بيوت نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– مدارس داخلية يتعلمن فيها الدين، عقائده وعباداته، ومعاملاته وأخلاقه، لاسيما ما يختص منه بالنساء، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: ٣٣].

فالقرار في البيوت من أجل أن يتعلمن ما يحتجن إليه، وما يعظن به النساء والرجال، ولهذا قال تعالى: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً} [الأحزاب: ٣٤].

وآيات الله: براهينه وكتابه، والحكمة: سنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– المبينة ما نزل إليه من ربه.

وإنما نهى عن التبرج الجاهلي؛ لأن المتبرجات المتهتكات، الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، لا يأتي منهن معلمات ولا مربيات.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ونساء النبي –صلى الله عليه وسلم– إنما وجدن عند النبي لتعليم الأمة وتربيتها، وإرشادها وإسعادها.

٢– لما طلبن منه التوسع في الطيبات، وملابس الزينة، والترف في المعيشة نزلت في حقهن آيتا التخيير، وهما قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً}[الأحزاب: ٢٨–٢٩].

لما نزلت هاتان الآيتان بدأ –صلى الله عليه وسلم– بعائشة – وكانت أحبهن إليه، كما كان أبوها أعز الرجال عليه –فقال –صلى الله عليه وسلم– : «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خيرهن كلهن فاخترن ما هو خير لهن، اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

٣– أراد نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يقمن حيث أقامهن الله ورسوله صالحات مربيات ومعلمات، مرشدات ومفتيات، فاخترن الدار الآخرة ونعيمها الدائم، ورضوان الله الأكبر، على حظوظهن من هذه الحياة الدنيا وزينتها، ومُتعها ومفاتنها، فأثابهن الله كرامة لهن، وجزاء على ما اخترن ورضين بأن قصر نبيه –صلى الله عليه وسلم– عليهن، دون أن يتزوج أو يطلق، أو يستبدل بهن غيرهن، فقال عز شأنه: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً} [الأحزاب:٥٢].

والحكمة في تحريم تطليقهن هي استدامة سماعهن ما يُتلى في بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم– من آيات الله والحكمة، وذِكر ذلك، ونشره بين الناس، لاسيما نساء الصحابة –رضي الله عنهم–.

وأيّة فائدة تُرجى لهن أو لغيرهن من طلاقهن وهن أمهات المؤمنين؟ أي تحريماً وتعظيماً على الرجال كالأمهات.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فأنت ترى أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد قُصِر على أزواجه الطاهرات، وحُرِّم عليه أن يمد عينيه إلى غيرهن بالزيادة أو التبدل، بخلاف رجال أمته الذين أبيح لهم التعدد بشروطه، وكذا التطليق، وأن يستبدلوا بأزواجهم غيرهن، إذاً فقد قصر النبي –صلى الله عليه وسلم– على دائرة ضيقة من الأزواج، وكانت الأمة في دائرة أوسع منها.

أهذا الذي يسمونه تمتعاً بالنساء أو الأزواج؟

نساء كلهن ثيبات – عدا السيدة عائشة – ومنهن من لها أولاد، تزوجهنَّ – صلوات الله عليه– في سن الكهولة أو الشيخوخة، وحين الحاجة إلى التبليغ والتعليم، وربما كان التزوج بهن كلهن قبل نزول آية التحديد بأربع نسوة، فهي قد نزلت في السنة الثامنة للهجرة، وكان تزوجه بآخرهن ميمونة بنت الحارث الهلالية في أواخر سنة سبع منها، وحرم عليه تطليقهن؛ لأنهن قد اخترن ما عند الله على زهرة الحياة الدنيا وزينتها، على أنهن قد صرن أمهات المؤمنين، فما الفائدة من طلاقهن وهن حرام على الرجال؟ أو ليست الحكمة في بقائهن عند هذا الزوج الكريم، والرسول العظيم متعلماتٍ، ومعلماتٍ، ومُثلاً عليا في البر والتقوى وسائر الصالحات؟ بلى ثم بلى.

الرحيل

توفي محمد بهجة البيطار في دمشق يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٦هـ / ٢٩ أيار ١٩٧٦ إثر مرض لم يمهله طويلاً.

رحم الله الشيخ محمد بهجة البيطار، فقد كان يحمل لواء الدعوة السلفية في الشام حينما كانت الصوفية سائدة، والتعصب للمذاهب الفقهية غالباً. [٢٨]

---

[٢٨] من مصادر الترجمة

- كتاب (عُلماء الشام في القرن العشرين) .
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد تشرين أول سنة ١٩٧٦، ص(٧٨٧. ٨٠٤).
- موقع دعوة الإسلام للشيخ محمد إبراهيم الحمد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد رشيد رضا

(١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م – ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)

كان «رشيد رضا» متعدد الجوانب والمواهب، فكان مفكرًا إسلاميًا غيورًا على دينه، وصحفيًا نابهًا أنشأ «مجلة المنار» ذات الأثر العميق في الفكر الإسلامي، وكاتبًا بليغًا في كثير من الصفح، ومفسرًا نابغًا، ومحدثًا متقنًا في طليعة محدثي العصر، وأديبًا لغويًا، وخطيبًا مفوهًا تهتز له أعواد المنابر، وسياسيًا يشغل نفسه بهموم أمته وقضاياه، ومربيًا ومعلمًا يروم الإصلاح ويبغي التقدم لأمة الإسلام.

كان واحدًا من رواد الإصلاح الذين حملوا راية التجديد والاجتهاد، وارتفعت أصواتهم بالبعث والإحياء في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وعملوا على النهوض بأمتهم حتى تستعيد مجدها الغابر، وتسترد عافيتها على هدى وبصيرة.

ويعد الشيخ «رشيد رضا» أكبر تلامذة الشيخ «محمد عبده»، وخليفته من بعده، والأمين على أفكاره واتجاهاته، والمعبر عنها في أبلغ عبارة وأصغى بيان .. تابع شيخه في خطاه، وأمده الله بعقل طامح وعاطفة جياشة وعزيمة لا تلين، فبعث في الأمة روحًا جديدة تحرك الساكن، وتوقظ النائم، وتنبه الغافل، لا يجد وسيلة تبلغه هدفه إلا اتخذها منبرًا لأفكاره ودعوته.

المولد

ولد محمد رشيد رضا في قرية من قرى لبنان تسمى القلمون، في ٢٧جمادى الأولى (١٢٨٢هـ، ١٨٦٥م)، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط على مقربة من طرابلس الشام التابعة لها، وهو سليل بيت عربي عريق ينحدر من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، اشتهر بيت آل الرضا بأنهم كانوا المثل الأعلى في الانقطاع للعبادة وتكريم العلماء والترحيب بأولي الفضل.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كان أبوه قوي الذاكرة، طلق اللسان، ومن قوة ذاكرته أنه كان يحفظ كل ما مر به في سفره، وكل ماله عند الناس، أو لهم عنده من الحقوق المالية وإن طال عليها الزمن، وكان حسن المجاملة، عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام والمناضلة عنه بما يقنع المناظر ولا يؤذيه، كما كان يتمتع بهيبة في نفوس أبنائه، حيث لجأ إلى الحزم والترهيب أحياناً في التربية، ولقيت هذه التربية استجابة من نفس محمد رشيد رضا، وورث عنه الكثير من الخصال الخلقية والعلمية.

النشأة

كان أبوه «علي رضا» شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، فعُني بتربية ولده وتعليمه، فحفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلى طرابلس، ودخل المدرسة الرشيدية الابتدائية، وكانت تابعةً للدولة العثمانية، وتعلَّم النحو والصرف ومبادئ الجغرافيا والحساب، وكان التدريس فيها باللغة التركية، وظل بها رشيد رضا عامًا، ثم تركها إلى المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس سنة (١٢٩٩هـ= ١٨٨٢م)، وكانت أرقى من المدرسة السابقة، والتعليم فيها بالعربية، وتهتم بتدريس العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة، وقد أسَّس هذه المدرسة وأدارها الشيخ «حسين الجسر» أحد علماء الشام ومن رواد النهضة الثقافية العربية، والذي اشتهر بإلمامه الواسع بالعلوم العصرية، وكان كاتباً وشاعراً عصرياً، درس في الأزهر الشريف على يد الأديب الكبير محمد حسين المرصفي، وكان يرى أن الأمة لا يصلح حالُها أو ترتقي بين الأمم إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الأوروبية مع التربية الإسلامية الوطنية، حيث اهتمت هذه المدرسة بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية.

ولم تطُل الحياة بتلك المدرسة، فسرعان ما أُغلقت أبوابها، وتفرَّق طلابُها في المدارس الأخرى، غير أن رشيد رضا توثَّقت صلتُه بالشيخ الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه، ووجد الشيخ الجسر في تلميذه نباهةً وفهمًا، فآثره برعايته وأولاه عنايته، فأجازه سنة (١٣١٤هـ= ١٨٩٧م) بتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وهي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التي كان يتلقَّاها عليه طالبه النابه، وفي الوقت نفسه درس رشيد رضا الحديث على يد الشيخ «محمود نشابة» وأجازه أيضًا برواية الحديث، كما واظب على حضور دروس نفر من علماء طرابلس، مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم، لكن بقي الشيخ الأكبر أثراً في نفس محمد رشيد هو أستاذه الشيخ الجسر.

عني محمد رشيد رضا بحفظ القرآن الكريم وحده دون أي معلم يعيد عليه ما يحفظ، وكان يفضل صلاة التهجد تحت الأشجار في بساتينهم الخالية، حيث وجد في البكاء من خشية الله، وتدبر كتاب الله في صلاة الليل لذة روحية قوية، وقرأ كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي وتعلق به، وحبب إليه التصوف، وهو في هذه السن المبكرة من الشباب، فسلك محمد رشيد طريقه إلى التصوف على يد رجل من النقشبندية، لكنه استطاع أن يقف على أسرار هذه الرياضة الروحية بمحاسنها ومساوئها، وهو الأمر الذي هيأه في المستقبل للمناداة بإصلاح الطرق الصوفية، حيث وجد بعضها طيباً والآخر لا يقبله العقل، بل يكون أحياناً مدخلاً إلى البدع ومثاراً إلى الفتن.

بدايته شاذلية

بدأ رشيد رضا التصوف بقراءة بعض كتب الصوفية ومنها بعض الفصول من «الفتوحات المكية»، وفصول من «الفارياق» ...

وقد كان يقرأ ورد السحر؛ وعندما يبلغ البيت التالي:

ودموع العين تسابقني من خوفك تجري

كان يمتنع عن قراءته، لأن دموعه لم تكن تجري، فكان امتناعه عن قراءة البيت حياءً من الله أن يكذب عليه .. وبعد أن تضلع بالعلم وأصول الدين أدرك أن قراءة هذا الورد من البدع .. فتركه وانصرف إلى تلاوة القرآن.

ودرس على شيخه أبي المحاسن القاوقجي ونال الإجازة في كتاب «دلائل الخيرات» .. ثم بان له أن هذا الكتاب أغلبه أكاذيب على النبي –صلى الله عليه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وسلم– فتركه .. وأقبل على قراءة أذكار وأوراد في الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ثابتة بصحيح السنة.

سلوكه الطريقة النقشبندية

يذكر رشيد في هذا المجال أن الذي حبب إليه التصوف هو كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي» ..

ثم طلب من شيخه الشاذلي محمد القاوقجي أن يسلكه الطريقة الشاذلية الصورية فاعتذر الشيخ، وقال: يا بني إنني لست أهلاً لما تطلبه، فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله.

ثم يذكر رشيد أن صديقه محمد الحسيني قد ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرى أنه وصل إلى مرتبة المرشد الكامل .. فسلك رشيد طريقة النقشبندية على يديه وقطع أشواطاً كبيرة فيها، ثم يقول: «ورأيت في أثناء ذلك كثيراً من الأمور الروحية الخارقة للعادة .. كنت أتأول الكثير منها، وعجزت عن تأويل بعضها» ثم يقول: «ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد».

ويصف رشيد رضا الورد اليومي في طريقة النقشبندية بأنه ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة وربط القلب بقلب الشيخ. ثم يذكر أن هذا الورد بدعة كما تبين له بعد ذلك؛ بل يصل إلى الشرك الخفي حين يربط الشخص قلبه بقلب شيخه، فإن مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادته إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له الدين.

وذكر أموراً كثيرة .. يقول عن هذه التجربة الصوفية: (وجملة القول أنني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف على أسرارها جائز شرعاً لا حظر فيه، وأنه نافع يرجى به معرفة الله ما لا يوصل إليه بدونه).

من الصوفية إلى السلفية

يعبر عن هذه التجربة الصوفية بعد سنوات طويلة جداً في التصوف: (إنني قد سلكت الطريقة النقشبندية، وعرفت الخفي والأخفى من لطائفها وأسرارها، وخضت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بحر التصوف ورأيت ما استقر باطنه من الدرر، وما تقذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت إلى مذهب السلف الصالحين، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال مبين).

وقد تأثر بمجلة العروة الوثقى ومقالات العلماء والأدباء .. فتأثر بجمال الدين الأفغاني لكنه تأثر بمحمد عبده بشدة، وأصبح شيخه الذي حرك عقله وفكره لنبذ البدع، والجمع بين العلوم الدينية والعصرية والسعي لتمكين الأمة .. ثم تأثر بشدة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب –رحمهم الله تعالى– .. لقد أحدثت له حركة ونشاطاً بدل الخمول وغيبة الوعي والانغماس في البدع والضلال كما في التصوف.

إنكاره على أهل الطرق الصوفية

أول حادثة قام بها علناً منكراً سلوك الطرق الصوفية، أنه ذات يوم، وبعد صلاة الجمعة، أقام أهل إحدى الطرق الصوفية ما يسميه رشيد «مقابلة المولوية» ويقول رشيد في ذلك: (حتى إذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامي دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه إيوان بالنظارة، وفي صدره شيخهم الرسمي، وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيض ناصعة كجلابيب العرائس، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية، يدورون دوراناً فنياً سريعاً تنفرج به غلائلهم فتكوّن دوائر متقاربة، على أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها على بعض، ويمدون سواعدهم، ويميلون أعناقهم، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم فيركعون).

أزعج هذا المنظر رشيد رضا وآلمه أن تصل حالة المسلمين إلى هذا المستوى من البدع والخرافات والتلاعب في عقائد الناس وعقولهم. وكان الذي آلمه كثيراً هو أن هؤلاء بألاعيبهم البدعية قد اعتبروا أنفسهم في عبادة يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى؛ بل يعتبرون سماع ومشاهدة ذلك عبادة مشروعة ولهذا لم يترك رشيد هذه الحادثة تمر دون أن يقوم بواجبه الإصلاحي الذي استقاه من قراءته ودراسة بمدرسته السلفية التي يدرسها من خلال مجلاتها وكتبها.

قال: (قلتُ: ما هذا؟! قيل: هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف، لم أملك نفسي أن وقفت في بهوة النظارة وصحت بأعلى صوتي بما

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

معناه ... أيها الناس والمسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عنه لأنه إقرار له وإنه يصدق عليه مقترفيه قوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}[الأعراف: ٥١] وأنني قد أديت الواجب عليّ فاخرجوا رحمكم الله)

ثم خرج رشيد مسرعاً إلى المدينة .. وكانت لصيحته السلفية هذه أن اتبعه عدد قليل إلا أن صيحته لاقت صدى في مجتمعات الناي بين مؤيد ومعارض.

ورغم كثرة من عارضه وأنكر عليه من مشايخ الصوفية فقد صمم أن يسير في طريقه نحو إصلاح مجتمعه من هذه الضلالات والبدع. ومن الغريب في الأمر أن ممن أنكر عليه شيخه الشاذلي حسين الجسر فقد كان رأيه ألا يتعرض لأصحاب الطرق الصوفية وبدعهم لا من قريب ولا من بعيد، وقال لرشيد: إني أنصحك لك أن تكف عن أهل الطريقة. فرد عليه رشيد منكراً: «هل لأهل الطريقة أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين؟».

فقال: لا؛ ولكن لهؤلاء نية غير نية سائر الناس ووجهة غير وجهتهم. وسأل الجسر رشيد: لماذا يقصر إنكارك على أهل الطريق دون أهل اللهو والفساد. فرد عليه رشيد قائلاً: إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو لأنهم جعلوا سماع المنكر ورقص الحسان عبادة مشروعة فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله، على أني لم أر منكراً آخر ولم أنكره.

ومع قوة حجة رشيد على أستاذه إلا أن شيخه تمسك برأيه لأن له حضرة ووجاهة!! وبقي الخلاف بينهما، واشتد بعد هجرة رشيد لمصر وإنكاره الشديد على أهل الطرق الصوفية في مجلة المنار، بعد أن رأى طرق الصوفية بمصر والبدع الكبيرة هناك وما يحصل في الموالد، وقد رد الجسر على رشيد، ورد رشيد على الجسر في مجلته.

وقد قام على القبوريين من الصوفية وغيرهم بعد استفادته من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إضافة إلى كتاب ابن حجر (الزواجر عن اقتراف الكبائر) .. وقد اطلع على كتاب للألوسي (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) فكان من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أسباب تبصره بخلل الصوفية، ونقاء دعوة شيخ الإسلام .. وأن كلام الهيثمي وغيره لم يأت إلا من هوى وهوس الصوفية!!

الجهود العلمية والدعوية

ألقى رشيد المواعظ والدروس في المسجد معتمداً فيها على جمع أكبر عدد ممكن من الآيات في الموضوع الواحد، حتى صار لمواعظه أعظم الأثر، وأشد الوقع في النفوس، واختار من كتب التفاسير أيسرها، على حين قام هو نفسه بدور كبير في شرح الآيات القرآنية واستخلاص العبر التي تفيد جمهور المستمعين منها، واستطاع في تلك الأيام الأولى من جهاده في سبيل الإصلاح أن يثبت قدرته على الاجتهاد في الفقه، الذي اعتبره مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي بالأحكام الشرعية، وأنه هام وحيوي لإرشاد الناس لما فيه من الخير والهداية.

في الوقت الذي دخل فيه محمد رشيد ميدان الإصلاح في قريته بدافع من ميوله الفطرية وقدراته العلمية، كانت أنظار العالمين والعربي والإسلامي قد اتجهت نحو مصر، حيث انطلقت منها حركة إصلاحية كبرى، وترامت أنباء هذه الحركة إلى مسامع محمد رشيد عن طريق الجماعة المصرية التي أقامت في منزل والد رشيد عند نفيهم من مصر، لاشتراكهم في ثورة أحمد عرابي على الخديوي توفيق. وكانت تصل إلى هذه الجماعة المصرية جريدة العروة الوثقى سراً، وهي الجريدة التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بعد نفيهما من مصر، واجتماعهما في فرنسا.

قوي اتصال محمد رشيد رضا بجريدة العروة الوثقى، التي وجهته للسعي في الإصلاح الإسلامي العام، ورسمت له منهجاً علمياً جديداً للإصلاح بعد أن عرفته بأسباب الفساد والتفكك في بلاد الشرق، وفتحت له آفاقاً واسعة لم يكن يعرف عنها شيئا ودفعت به إلى الطريق الطويل الذي سلكه كبار المصلحين وقادة التحرير.

استطاع رشيد رضا أن يتصل بجمال الدين الأفغاني الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق السياسة، وكذلك اتصل بمحمد عبده الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق التربية والتعليم، وخرج رشيد بعد تعرفه على منهجي أستاذيه بمنهج خاص جعله يمزج بين المنهجين السابقين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

في ظل الأحداث التي وقعت في سورية، والتي حدت من انطلاقة رشيد رضا في الإصلاح بسبب تشدد الولاة العثمانيين. أخذ رشيد يتطلع إلى الهجرة نحو مصر.

وحتى يقوم برحلته إلى القاهرة ادخر نفقاتها من أجرة تحرير الحجج والعقود، ومن ثم تسلل إلى إحدى السفن المتجهة إلى ميناء الإسكندرية، فوصلها في مساء الجمعة الموافق (٨ من رجب ١٣١٥هـ= ٣ من يناير ١٨٩٨م)، وبعد أيام قضاها في زيارة بعض مدن الوجه البحري نزل القاهرة، واتصل على الفور بالإمام محمد عبده، وبدأت رحلة جديدة لرشيد رضا، كانت أكثر نتاجًا وأعظم تأثيرًا في تفكيره ومنهجه الإصلاحي.

ولم يكد يمضي شهر على نزول رشيد رضا مدينة القاهرة حتى فاتح أستاذه بأنه ينوي أن يجعل من الصحافة ميدانًا للعمل الإصلاحي، وأن الرسالة التي نذر لها نفسه والتي هاجر من أجلها هي إصدار مجلة تكون ترجمانًا لفكر المدرسة الإصلاحية، ودارت مناقشات طويلة بين الرجلين حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع، وحدّد الشيخ محمد عبده منهاج المجلة بأن لا تتحيز لحزب من الأحزاب، ولا تهتم بالرد على ذام أو منتقد، ولا تخدم أحدًا ممن يسميهم الناس كبراء.

وصدر العدد الأول من «المنار» في (٢٢ من شوال ١٣١٥هـ = ١٧مارس ١٨٩٨م) وكانت أسبوعيةً، يتألف كل عدد منها من ثماني صفحات كبيرة على صورة الجريدة اليومية. وبعد عام من الصدور صارت المنار تصدر على شكل مجلة أسبوعية، ثم أصبحت في العام التالي تصدر مرتين في الشهر، وبعد عدة سنوات صارت تصدر مرةً في كل شهر عربي، وكانت المنار تطبع في أول عهدها في مطبعة جريدة المؤيد التي كان يملكها الشيخ «علي يوسف»، ثم اشترى «رشيد رضا» مطبعةً خاصةً لمجلته.

موضوعات المنار وقضاياها الفكرية

كانت المجلة تستهل صفحاتها بتفسير القرآن الكريم، وهو إما بقلم الأستاذ الإمام محمد عبده أو بقلم رشيد رضا، ثم تأتي فتاوى المنار عن الأسئلة التي ترد إليها من مختلف البلدان، ثم تأتي بعد ذلك المقالات الدينية أو الاجتماعية أو التاريخية أو

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بعض الخطب المهمة للشيخ أو لغيره من كبار الخطباء، ولم تقتصر المجلة على البحوث الدينية، بل فتحت صفحاتها لمقالات متنوعة تعالج الصحة والطب والسنن الكونية، وأفردت مساحات للأدب والشعر والقصة والبحوث اللغوية.

اتخذ رشيد رضا من «المنار» منبراً لبث أفكاره في الإصلاح الديني والاجتماعي والإيقاظ العلمي والسياسي، وكان يحرص على عرض كل ما يكتبه من مقالات على الشيخ محمد عبده، ويستمع إلى توجيهاته وإرشاده، وظل قلم رشيد رضا يصول في المنار ويجول مرشداً المسلمين إلى النظر في سوء حالهم، وتذكيرهم بما فقدوه من سيادة الدنيا وهداية الدين، وما أضاعوه من مجد آبائهم الأولين، فنادى بأن يعلموا أن قيمة الدين ليست في أسراره الروحانية فقط، بل أيضا في الحقيقة التي يعلمها للإنسانية، وهي أن سعادة المرء في هذه الحياة الدنيا والحياة الأخرى تتوقف على معرفته بسنن الله التي تضبط هداية البشر أفراداً وجماعات، وعلى المسلمين أن يدرسوا هذه السنن ثم يسيروا عليها في يقين وإيمان.

وقد حملت المجلة رسالة مدرسة الإحياء والتجديد إلى كل أقطار العالم الإسلامي، فعنيت بإصلاح العقيدة وتنقيتها من شبهات الشرك والبدع والخرافات، ودافعت عن الشريعة الإسلامية وعلومها واللغة العربية وفنونها، ونشرت الفتاوى المعاصرة التي تفقه الأحكام وتفقه الواقع الجديد، وأخذت على عاتقها الدفاع عن وحدة الأمة والجامعة الإسلامية، وأيدت الدولة العثمانية، ووقفت إلى جوارها، مع الدعوة إلى إصلاح مفاسدها وتلافي عيوب إدارتها.

وهاجمت المجلة العادات السيئة التي تسربت إلينا من الغرب نتيجة الاتصال بهم، وفي الوقت نفسه دعت إلى ضرورة مسايرة أوروبا في مجال العلوم الحديثة، كما دعت إلى الإصلاح الاقتصادي الذي يحرر اقتصاديات المسلمين من النهب الاستعماري، وحاربت المجلة التنصير ودعاته عبر العالم الإسلامي، ودعت إلى المسلمين بأدوات مقاومة شبهات التنصير ومفترياته.

واهتمت المجلة بالدعوة إلي إقامة المجتمعات والمؤسسات العلمية والاجتماعية والخيرية؛ لتكون جهود الأمة في الإصلاح أكثر جدوى وأعظم تأثيرًا، وأكدَّت على

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

منهاج التدرج في الإصلاح؛ لأن صياغة الإنسان صياغةً إسلاميةً وتكوين صفوة العلماء والمفكرين، وتهيئة الواقع لتقبل المنهج الإسلامي، لابد فيه من التدرج.

وكان رشيد رضا يحرر معظم مادة مجلته على امتداد عمرها، ويمده في ذلك زاد واسع من العلم، وإلمام دقيق بالتراث الإسلامي، وفهم واعٍ للقرآن وعلومه، ودراية واسعة بالفقه والحديث، وإدراك بصير لأحوال مجتمعه وعلله وأمراضه، وخبرة عظيمة بأحوال المسلمين في أقطارهم المختلفة.

وشارك رشيد رضا في الكتابة في «المنار» عدد من نوابغ الأمة الذين ينتمون إلى أقطار مختلفة، مثل: الشيخ أحمد الاسكندري، والرافعي والمنفلوطي، وعبد المحسن الكاظمي، ومحمد روحي الخالدي، وشكيب أرسلان، وعبد القادر المغربي وغيرهم من قادة الفكر والتوجيه في العالم الإسلامي.

وقد لقيت المجلة إقبالاً في العلام الإسلامي، وامتد تأثيرها في أقطاره، وصار لها مؤيدون ومحبون، وواصلت المجلة سيرها في ظل ظروف حرجة وأزمات مالية ومنافسة من المجلات الأخرى، وهجوم مَّمن ضاقوا بفكرتها الإصلاحية، ولم يكن الشيخ يملك جاهًا أو سلطانًا يعينه على مواصلة الصدور، ولكن الله عوضه عن ذلك بهمة عالية وعزيمة صادقة، ونفس قوية تصمد للأزمات والأعاصير، فاستمرت المجلة في الصدور حتى توقفت تمامًا بعد وفاة الشيخ رشيد رضا في (٢٧ من جمادى الأولي ١٣٥٤هـ = ٢٢ من أغسطس ١٩٣٢م) بعد عطاء دام نحوًا من أربعين عامًا هجريًا، كانت خلالها ديوان النهضة الإسلامية.

المنار بعد رشيد رضا

توقفت المجلة سبعة أشهر بعد وفاة الشيخ رشيد، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى الشيخ بهجة البيطار من علماء سوريا، فقام على تحريرها، وحاول إكمال التفسير الذي كان يقوم به الشيخ، فأتم تفسير سورة يوسف، ثم توقفت المنار مرةً ثانيةً لمدة ثلاثة سنوات تقريبًا.

ثم أسندت أسرة الشيخ إعادة إصدار المنار إلى فضيلة الشيخ «حسن البنا» المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، وكان ممن يحضر دروس الشيخ رشيد،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وتربوا في مدرسة المنار الفكرية، فأصدرت العدد الأول الجديد في (غرة جمادى الآخر ١٣٥٨هـ = ١٨ من يوليو ١٩٣٩م)، وكان لرجوعها مرةً أخرى صدىً واسع، عبَّر عنه الشيخ «محمد مصطفى المراغي» شيخ الأزهر بكلمة في افتتاحية المجلة، قدَّم فيه حسن البنا إلى قراء المنار، مشيدًا بعلمه وقدرته، فكان مما قال:

(والآن وقد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث المنار ويعيد سيرتها الأولى فسرني هذا فإن الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه، يفهم الوسط الذي يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية ويفقه أسرار الإسلام، وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة، وبعد فإني أرجو الأستاذ البنا أن يسير على سيرة السيد رشيد رضا، وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا، والله هو المعين، عليه نتوكل وبه نستعين) [مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، ص٢٥٣]

وواصلت المجلة صدور أعدادها لمدة أربعة عشر شهرًا بطيئة الخطى، فصدر منها ستة أعداد، ثم حالت ظروف حسن البنا في استكمال الإصدار، فقد كانت أعباؤه كثيرة وثقيلة فحالت بينه وبين ما يشتهي ويحب.

وفاة محمد عبده واتجاه رشيد رضا للمنهج السلفي

كان الشيخ محمد عبده يعرف للسيد رشيد غزارة علمه وسعة باعه واطلاعه في العلوم، ويعرف له قدرته على الكفاح والنضال وشغفه بتأدية رسالة العلم والإصلاح فرشحه في مرض موته أن يكون خليفة له بهذه الأبيات التالية:

فيا رب إن قدرت رجعي قريبة إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً (رشيدا) يضيء النهج والليل قائم

فتوفي الشيخ محمد عبده سنة (١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م) وخلفه الشيخ رشيد رضا فصمد في ميدان الكفاح والقيام بأعباء الدعوة والإصلاح حتى آخر رمق من حياته – يرحمه الله–.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مات أستاذه محمد عبده سنة (١٣٢٣ هـ)، وهذا يعني أنه عاش في صحبته حوالي سبع سنين، واستمرت المنار ثلاثين عاماً بعد موت محمد عبده، واستمر عطاء رشيد رضا الذي يكاد لا ينضب، وخلال هذه المرحلة صلح حاله وأقبل على كتب السنة ينهل منها، ويعترف في مقدمة المنار بأنه خالف منهج محمد عبده بعد وفاته:

(هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة ..)

رشيد رضا ومنهجه في الإصلاح

كتب رشيد مئات المقالات والدراسات التي تهدف إلى إعداد الوسائل للنهوض بالأمة وتقويتها، وخص العلماء والحكام بتوجيهاته؛ لأنهم بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الإنسان، وأن في صلاح حالها صلاح حال الأمة، وعبر عن ذلك بقوله: «إذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد وأشباهها من الرذائل فاشية في أمة، فاحكم على أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والعكس بالعكس».

ويقول العلامة محمد رشيد رضا – رحمه الله – في المنار ٢٣٢/٤ ما نصه: (واعلم أنه لا مفسدة أضر على الدين وأبعث على إضاعة الكتاب ونبذه وراء الظهر واشتراء ثمن قليل به من جعل أرزاق العلماء ورتبهم في أيدي الأمراء والحكام، فيجب أن يكون علماء الدين مستقلين تمام الاستقلال دون الحكام – لاسيما المستبدين منهم – وإنني لا أعقل معنى لجعل الرتب العلمية ومعايش العلماء في أيدي السلاطين والأمراء إلا جعل هذه السلاسل الذهبية أغلالا في أعناقهم يقودونهم بها إلى حيث شاءوا من غش العامة باسم الدين وجعلها مستعبدة لهؤلاء المستبدين، ولو عقلت العامة لما وثقت بقول ولا فتوى من عالم رسمي مطوّق بتلك السلاسل).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان الشيخ رشيد رضا من أشد الداعين إلى أن يكون الإصلاح عن طريق التربية والتعليم، وهو في ذلك يتفق مع شيخه محمد عبده في أهمية هذا الميدان، وحدد العلوم التي يجب إدخالها في ميدان التربية التعليم لإصلاح شئون الناس، ودفعهم إلى مسايرة ركب العلم والمعرفة، ومن هذه العلوم: الفقه وأصول الدين، والتاريخ والجغرافيا، والاجتماع، والاقتصاد، والتدبير المنزلي، وحفظ الصحة، ولغة البلاد والخط.

وقرن الشيخ رشيد دعوته إلى إصلاح التعليم بالعمل، وحاول تطبيق ما يراه محَّققًا للآمال، فأنشأ مدرسة «دار الدعوة والإرشاد» لتخريج الدعاة المدربين لنشر الدين الإسلامي، وافتتحت في ليلة الاحتفال النبوي سنة (١٣٣٠هـ = ١٩١٢م) في جزيرة الروضة بالقاهرة، وكانت المدرسة تقبل شباب المسلمين ممن تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والخامسة والعشرين، على أن يكونوا قد حصلوا قدرًا من التعليم يمكنهم من مواصلة الدراسة، غير أن المدرسة كانت في حاجة إلى دعم قوي لاستمرار رسالتها، وحاول رشيد رضا أن يستعين بالدولة العثمانية في إقامة مشروعها فلم يفلح، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتقضي على هذا المشروع، فتعطلت الدراسة في المدرسة التي أغلقت أبوابها.

وكان الشيخ رشيد يميل إلى الوحدة ويكره الفرقة بين المسلمين، ويدعو إلى وضع الوسائل التي تعين على ذلك، فاقترح تأليف كتاب يضم جميع ما اتفقت عليه كلمة المسلمين بكل فرقهم في المسائل التي تتعلق بصحة الاعتقاد وتهذيب الأخلاق، والابتعاد عن مسائل الخلاف بين الطوائف الإسلامية الكبرى، كالشيعة، وأرسل نسخًا بعد ذلك من هذا الكتاب إلى جميع البلاد الإسلامية، وحث الناس على دراستها، كما طالب بتأليف كتب تهدف إلى توحيد الأحكام الفقهية على الأسس المتفق عليها في جميع المذاهب الإسلامية وتتفق مع مطالب العصر، ثم تعرض على سائر علماء المسلمين للاتفاق عليها والتعاون في نشرها وتطبيق أحكامها.

خلاصة منهجه الإصلاحي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نعيد للأذهان أننا نتحدث عن دعوة الشيخ رشيد رضا في المرحلة التي تلت وفاة شيخه محمد عبده (١٩٠٥م- ١٩٣٥م)، ونلخص أهم ما دعا إليه في النقاط التالية:

١- كان ملتزماً بمنهج أهل السنة والجماعة، وكان يحرص على أخذ أدلته من الكتاب والسنة، ويهتم بتخريج الأحاديث، ومعرفة الصحيح من الضعيف أو الموضوع، وانتهج مذهب السلف في الأسماء والصفات.

٢ - من أهم ما دعا إليه نبذ التقليد، والتحذير من البدع والخرافات، والتنديد بمناهج الصوفيين وبيان ما وقعوا فيه من انحرافات وضلالات. وموقف رجال عصره من البدع والتقليد يختلف عن موقف رجال وعلماء عصرنا.

لقد عاصر رحمه الله هيمنة أصحاب البدع والخرافات على شئون العالم الإسلامي ومقدراته، فالسلطان عبد الحميد كان صوفياً نقشبندياً، وبقربه قبع أبو الهدى الصيادي يأمر وينهى مدة لا تقل عن ثلاثين عاماً، وكان يوغر صدر السلطان عبد الحميد ضد كل جديد ومجدد .. وكان اسم وظيفته الرسمية مشيخة المشايخ أو شيخ مشايخ الطرق الصوفية ونقيب الأشراف.

وفي مصر خاض السيد رشيد معركة حامية الوطيس ضد الخرافيين والمبتدعين .. وردوا من جهتهم له الصاع صاعين، وحاولوا تشويه سمعته، وبالغوا في الإساءة إليه، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: كان رشيد رضا أول داعية في العصر الحديث يتصدى للمبتدعين والخرافيين، وكان ينطلق في مواجهتهم من التزامه بمنهج أهل السنة والجماعة.

٣ - كان بارعاً في ربطه بين التصورات والمفاهيم الإسلامية، وبين واقع العصر وذلك لأنه كان من العلماء المعدودين في عصره، وكان باعه طويلاً في العقائد والتفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، كما كان إلمامه بمشكلات العصر جيداً وذلك بسبب أسفاره ومخالطته لعدد من علماء الغرب وفلاسفتهم، وكان يعرف أفكارهم وطروحاتهم، وله ردود جيدة عليهم في كتابه (الوحي المحمدي) وفي مجلة المنار.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

٤ –كان داعية من دعاة الإصلاح، ولقد هاجم الترف والإسراف، وحذر من الجهل والتخلف والخوف من الظالمين، ونادى بالشورى وندد بالاستبداد والمستبدين، ودعا علماء الأمة إلى القيام بواجبهم في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥– رأى أن تنفير العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد وإن من يسعى إلى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدو لنا ولهم.

٦– عندما قام الاتحاديّون الأتراك بالثورة على السلطان عبد الحميد سنة (١٩٠٨م) وأجبروه على إعلان الدستور، كان رشيد رضا مثل غيره من الزعماء والمفكّرين العرب، ممن هلّلوا للانقلاب اعتقاداً منهم بأنّ إعلان الدستور هو بمثابة إطلالة عهد جديد تسوده الحريّة، غير أنه لم يلبس في العام التالي أن أصيب بخيبة أمل شديدة في الاتحاديّين، على إثر زيارته للقسطنطينية؛ ولما تأكّد من أنّ الاتحاديّين ماضون في سياستهم، أخذ يكشف أوراقهم، ويبيّن خطر سياستهم، لا على فلسطين بل على الأمّة الإسلاميّة كلّها، فتناول كيفيّة تواطؤ الاتحاديّين مع الصهاينة لبيعهم أراضي السلطان عبد الحميد، ومساعدتهم في الاستيلاء على فلسطين، ووصف جمعيّتهم بأنّها جمعيّة الأحمرين (الذهب والدم)؛ وقال: أمّا كونها –ويقصد جمعيّة الاتحاد والترقي– جمعيّة دم وثورة فهو صفتها الرسميّة، وأمّا كونها جمعيّة ذهب فلا يخفى على أحد أنهم نهبوا أموال السلطان عبد الحميد خان، وصادروا أكثر أموال الأمّة، وباعوا البوسنة والهرسك للنمسا، وطرابلس الغرب لإيطاليا، واتفقوا مع الجمعيّة الصهيونيّة على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة، وعلى تمهيد الأسباب لامتلاك البلاد المقدّسة، وإقامة ملك إسرائيل فيها.

٧– حارب الماسونيّة على صفحات المنار قائلا: من الحقائق الثابتة الخفية أن الجمعيّة الماسونيّة التي ثلّت عروش الحكومات الدينيّة في أمم أوروبا والترك والروس هي من كيد اليهود، وهم أصحاب السلطان الأعظم فيها. وقال: ومن غرائب اليهود وقدرتهم التي فاقوا بها جميع شعوب البشر أن الغرض السياسي النهائي لهم من هذه الجمعيّة هو: تأسيس دولة يهوديّة في مهد الدولة الإسرائيليّة التي أسّسها داود وأتمها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سليمان، باني هيكل الدين اليهودي في أورشليم على جبل صهيون، ولهذا سمّوها جمعيّة البنائين الأحرار، ويريدون بهم الذين بنوا هيكل سليمان.

ومن أجل مكافحة الصهيونيّة ودرء خطرها حذّر من بيع الأراضي لليهود أو لغيرهم من الأجانب، وقال: إنني أعتقد أنّ الذين باعوا أرضهم لليهود لم يكونوا يعلمون أن بيعها خيانة لله ولرسوله ولدينه وللأمة كلّها، كخيانة الحرب مع الأعداء لتمليكهم دار الإسلام وأهلها، وهذا أشدّ أنواعها؛ واقترح على العرب جمع قواهم كلّها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة، وأوّله تأليف الجمعيّات والشركات وآخرها تأليف العصابات المسلّحة التي تقاومهم بالقوة.

٨- كشف عن وجه بعض القوى العالميّة التي تقف وراء الحركة الصهيونيّة، فقال: إنّ إنكلترا لا تزال ممعنة في إرهاب عرب فلسطين، وانتزاع وطنهم منهم، وإعطائه لليهود الصهيونيين، لتجد لهؤلاء ملكاً في قلب البلاد العربيّة، حاجزاً بين مصر والحجاز وفلسطين، مما يمنع قيام دولة عربيّة إسلاميّة قويّة وموحّدة، تقف في وجه الاستعمار الأوروبي، فتضمن بذلك مصالحها في الشرق الأدنى والشرق الأقصى.

٩- دعا إلى وحدة المسلمين، والدفاع عن الإسلام والشريعة، وتصحيح عقائد المسلمين، وجمع بين العمل في ميدان الفكر الإسلامي والإصلاح السياسي.

١٠- وأولى العلم والعلماء رعاية خاصّة، وروّج لفكرة دعوة اليابان لاعتناق الإسلام.

التقارب بين السنة والشيعة

سعى رشيد رضا كثيرا من أجل التقارب السني الشيعي، وقامت علاقات طيبة بينه وبين عدد من أعلام الرافضة منهم صاحب مجلة «العرفان» والمدعو هبة الدين الشهرستاني النجفي، والمدعو عبد الحسين العاملي – صاحب المراجعات – والمدعو محي الدين عسيران. وظن رشيد رضا أن أصحابه هؤلاء من المعتدلين لكنه فوجئ بكتاب للمدعو محسن الأمين العاملي اسمه «الرد على الوهابية» ثم ظهر له كتاب آخر اسمه «الحصون المنيعة، في الرد على ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة» فعلم صاحب المنار أن الاعتدال الذي كان يتظاهر به أصحابه الشيعة ليس

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إلا تقية ونفاقا، وتأكد من ذلك عندما راح صديقه صاحب مجلة العرفان يشيد بكتب معدوم الأمانة محسن العاملي.

ووجد رشيد رضا نفسه مضطرا للرد على أباطيلهم، وبيان الحق الذي حاولوا طمسه فكتب رسالته الأولى التي أسماها «السنة والشيعة» وبين فيها مذهب أهل الرفض الذين يزعمون أن الصحابة قد حذفوا آيات من القرآن، والسنة عندهم هي قول إمامهم المعصوم أو فعله أو تقريره، وأخيرا كشف وقاحتهم على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ولعنهم لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهم – وزعمهم أن معظم الصحابة قد ارتدوا. وأجمل ما في كتاب رشيد رضا رسالتان تبادلهما علامة العراق الآلوسي وعلامة الشام جمال الدين القاسمي في الرد على محسن العاملي. ويبدو أن القاسمي كان قد كتب للآلوسي في أمر الكتابين الصادرين عن العاملي، فأجابه الآلوسي مؤكدا أن الرافضة يقولون بتحريف القرآن وإنكار السنة وكان مما قاله:

وأما العترة أي زعمهم بأخذ أصولهم عن العترة، فعلم أن الروافض زعموا أن أصح كتبهم أربعة: الكافي، وفقه من لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار، وقالوا إن العمل بما في هذه الكتب الأربعة من الأخبار واجب، وبدأ الآلوسي بنقد رواة هذه الكتب وهم بين فاسد المذهب كابن مهران وابن بكير، ووضاع كجعفر القزاز وابن عياش، وكذاب كمحمد بن عيسى، ومجاهيل كابن عمار وابن سكرة، ومجسمة كالهشامين وشيطان الطاق المعبر عنه لديهم بمؤمنة.

ثم تتبع الآلوسي شركيات الرافضة في العقيدة والعبادة ولا عجب أن ينالوا من أعلامنا لأنهم قالوا بكفر أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وردتهم، واستدل بقول الشاعر:

إن الروافض قوم لا خلاق لهم من أجهل الناس في علم وأكذبه

وقال صاحب المنار أنه حذف عبارات من رسالة الآلوسي لأنها جاءت قاسية، وليته لم يفعل. فرسالة «السنة والشيعة» لرشيد رضا تتضمن شهادة عالمين جليلين: القاسمي والآلوسي إضافة إلى شهادة المؤلف وجميعهم قالوا بفساد عقيدتهم واستحالة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الالتقاء معهم. [خميني العرب حسن نصر الله والرافضة الشيعة .. الشر الذي اقترب /د. سيد العفاني ص ٣٠٧-٣٠٩]

مسيرة النضال

دخل رشيد رضا ميدان السياسة، وعمل على نقد الدولة العثمانية والاشتراك عملياً في محاولات إصلاح الأوضاع فيها، وترأس (جمعية الشورى العثمانية) المؤلفة من العثمانيين المنفيين إلى مصر، حيث كانت هذه الجمعية ترسل منشوراتها السرية إلى سائر أرجاء البلاد العثمانية حتى أقلقت مضاجع السلطان. كما أخذ رشيد رضا في مجلته «المنار» يهاجم استبداد الدولة، وكشف عن قدرة فريدة في فهم الأوضاع التي أحاطت بالدولة العثمانية والبلاد العربية.

بعد الثورة العربية الكبرى وهزيمة الأتراك، تم الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا على اقتسام الوطن العربي... وهذا ما سبق ونبه إليه رشيد رضا في مجلته «المنار»، كما حذر الزعماء العرب من الوقوع في حبائل الوعود البراقة والأماني الخادعة من فرنسا وبريطانيا، مما جعله يشرع بإرسال كتب إلى رؤساء وزارتي إنجلترا وفرنسا ينصحهم بالابتعاد عن المساس بحقوق العرب والغدر بهم، كما أتيحت له فرصة ذهبية ليندد بالاستعمار وأعماله في البلاد العربية حين قرر قادة العرب عقد مؤتمر في جنيف للدفاع عن القضايا العربية، ووقع الاختيار على رشيد رضا ليكون نائباً لرئيس هذا المؤتمر، حيث أسهم بقسط وافر من تجاربه وآرائه القيمة في وضع نداء للمجتمع الدولي وعصبة الأمم المتحدة للنظر في الحقوق العربية.

كما اشتهر رشيد رضا بالشدة في الحق والصدق في الحديث بكل ما يدلي به من آراءه، حين كان على رأس الوفد السوري الفلسطيني المبعوث إلى الأمم المتحدة لشرح القضايا العربية وكسب تأييدهم، وأكد لهم أن الشرق قد استيقظ وعرف نفسه ولن يرضى بعد اليوم أن تكون شعوبه ذليلة مستعبدة للطامعين المستعمرين.

الثمرات

ظل رشيد رضا يتابع رسالته في «المنار» بالدفاع عن الأمة العربية والأخذ بيدها، وتنبيه أبناء الأمة العربية إلى خطر الصهيونية، وإلى تبنى الاستعمار لها، ليجعل منها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وسيلة لتحقيق مآربه في تحطيم وحدة الوطن العربي، ونادى في مقالاته بعد أن اشتد خطر الاستعمار والصهيونية، على ضرورة جمع كلمة العرب، وظل هكذا حاملاً لواء الجهاد في سبيل الإسلام والعروبة إلى أن انتقل إلى الملأ الأعلى في يوم٢٢/٨/١٩٣٥م، تاركاً وراءه تراثاً كبيراً من الأعمال العلمية نذكر منها: .

١. مؤلفه الأول الذي دونه أثناء طلبه للعلم في الشام «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية».

٢. « مجلة المنار» وهي المعلمة الإسلامية الكبرى، والكنز الذي احتوى ثمار تجارب رشيد رضا وآرائه في الإصلاح الديني والسياسي...لقد أخذت المنار معظم وقته، وهي بلا شك أعظم أعماله، فقد استمرت من سنة (١٣١٦هـ = ١٨٩٩م) إلى سنة (١٣٥٤ = ١٩٣٥م)، واستغرقت ثلاثة وثلاثين مجلدًا ضمت ١٦٠ ألف صفحة.

٣. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وما جرى بمصر في عصره.

٤. حقوق النساء في الإسلام.

٥. الوحي المحمدي.

٦. المنار والأزهر.

٧. ذكر المولد النبوي.

٨. الوحدة الإسلامية.

٩. يسر الإسلام وأصول التشريع العام.

١٠. الخلافة أو الإمامة العظمى.

١١. الوهابيون والحجازيون.

١٢. السنة والشيعة.

١٣. مناسك الحج، أحكامه وحكمه.

١٤. تفسير القرآن الكريم، المعروف بتفسير المنار. الذي استكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية (١٢٥) من سورة النساء، وواصل رشيد رضا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تفسيره حتى بلغ سورة يوسف، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره، وهو من أجل التفاسير، قال في مقدّمته:

(كان من سوء حظ المسلمين، أن أكثر ما كتب في التفسير، يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية، وهدايته السامية، فمنحها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب، وقواعد النحو، ونكت المعاني، ومصطلحات البيان. ومنها ما يشغله عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباط الفقهاء المقلّدين، وتأويلات المتصوّفين، وتعصّب المذاهب والفرق بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليّات، وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضيّة، والطبيعيّة، وغيرها من العلوم الحادثة في الملّة على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكيّة اليونانيّة وغيرها، فكانت الحاجة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن، على الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزّلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار، والتبشير، والهداية، والإصلاح).

١٥. حقيقة الربا. (وللشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية –رحمه الله– رسالة في الرد على رشيد رضا، اسمها «الروضة الندية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية» وهي رد على أحمد محمد محجوب وفتوى الربا والمعاملات في الإسلام لرشيد رضا)

١٦. مساواة الرجل بالمرأة.

١٧. رسالة في حجة الإسلام الغزالي.

١٨. المقصورة الرشيدية.

وللسيد رشيد رضا غير هذه المؤلفات ساقها شكيب أرسلان في كتابه «محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» وقال عنها بالحرف الواحد: (هذه مؤلفات هذا الرجل الذي لم يضع ساعة واحدة من حياته بلا عمل مفيد للإنسانية عموماً وللإسلام خصوصاً).

ثناء العلماء عليه

- قال شكيب أرسلان:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

(ويطول العهد بعد الأستاذ الأكبر السيد رشيد –فسح الله في أجله– حتى يقوم في العالم الإسلامي من يسد مسده في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكر وسعة الرواية معاً والجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة الطالعة كفلق الصبح في النوازل العصرية والتطبيق بين الشرع والأوضاع المحدثة مما لا شك أن الأستاذ الأكبر فيه نسيج وحده انتهت إليه الرئاسة لا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية والقلم السيال بالفوائد في مثل نسق الفرائد والخبر بطبائع العمران وأحوال المجتمع الإنساني ومناهج المدنية وأساليبها وأنواع الثقافات وضروبها إلى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصماً مهما علا كعبه إلا أفحمه وألزمه ولا نازل قرناً كان يستطيل على الأقران إلا رماه بسكاته وألجمه. وأجدر بمجموعة «المنار» أن تكون المعلمة الإسلامية الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها) (٢٩)

- قال الشيخ ابن باديس:

(لقد كان الأستاذ نسيج وحده في هذا العصر فقهاً في الدين، وعلماً بأسرار التشريع، وإحاطة بعلوم الكتاب والسنّة، ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع، وكفى دليلاً على ذلك ما أصدره من أجزاء التفسير، وما أودعه مجلّة المنار في مجلّداتها التي نيفت على الثلاثين، وما أصدره من غيرهما مثل «الوحي المحمّدي» الذي كان أحبّ كتبه إليه، وإنّ ما كان يقوم به من عمل في تفسير القرآن لا تستطيع أن تقوم به من بعده إلاّ لجنة من كبار العلماء، فهل يكون من رجال الأزهر من يتقدّمون لخدمة الإسلام بتتميم هذا العمل الجليل؟)

- قال العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

(السيد محمد رشيد رضا –رحمه الله– له فضل كبير على العالم الإسلامي، بصورة عامة، وعلى السلفيين منهم بصورة خاصة، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة

---

(٢٩) حاضر العالم الإسلامي: المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٢٨٤، والسيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة: تأليف شكيب أرسلان، ص ١٥، مطبعة ابن زيدون بدمشق

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

النادرين الذين نشروا المنهج السلفي في سائر أنحاء العالم بوساطة مجلته المنار، .. ويقول أيضاً: فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة، ليطلع عليها من بلغته، فإنني بفضل الله عز وجل، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم). [٣٠]

- يستعيد الشيخ محمد الإبراهيمي ذكرياته مع ابن باديس فيقول:

(ولا أنسى مجلساً كنا فيه على ربوة من جبل قاسيون في زيارة من زياراته لي، وكنا في حالة حزن لموت الشيخ «رشيد رضا» قبل أسبوع من ذلك اليوم، فذكرنا تفسير المنار، وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه فقلت له: ليس لإكماله إلا أنت، فقال لي: ليس لإكماله إلا أنت، فقلت له: حتى يكون لي علم رشيد، وسعة رشيد، ومكتبة رشيد، ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد. فقال لي واثقاً مؤكداً: إننا لو تعاونا وتفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيراً يغطي على التفاسير من غير احتياج إلى ما ذكرت) [مقدمة تفسير ابن باديس، ص٢٦، نشر دار الفكر]

- يقول الشيخ القرضاوي في كتابه «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي» (ص/ ٤٣) وتحت عنوان: «حركات التجديد والدعوة وأثرها في الصحوة» عن رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) و(تفسير المنار) ما نصه:

«هؤلاء الميامين من الدعاة والمفكرين كان لكل منهم تأثيره في جانب من الجوانب على عدد من الناس يقل أو يكثر، وفي رقعة من الأرض تضيق أو تتسع، وعلى مدى زمني يقصر أو يطول، وإن كان كل واحد منهم يؤخذ منه ويرد عليه باعتبارهم بشراً غير معصومين يجتهدون في خدمة الإسلام فقد يصيبون وقد يخطئون، وهم على كل حال مأجورون على اجتهادهم فيما أخطئوا فيه إن شاء الله»

---

(٣٠) حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه: ١/ ٤٠٠، وذكر الشيخ ناصر في المصدر نفسه بعض أخطاء رشيد رضا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من روائع ما كتب

- كتب يقول في مقال: «القول الحق في استعداد محمد –صلى الله عليه وسلم– للنبوة والوحي» [٣١]:

التحقيق في صفة حال محمد –صلى الله عليه وسلم– من أول نشأته، وإعداد الله –تعالى– إياه لنبوته ورسالته: هو أنه خلقه كامل الفطرة؛ ليبعثه بدين الفطرة، وأنَّه خَلَقَهُ كامل العقل الاستقلالي الهيولاني [٣٢]؛ ليبعثه متمماً لمكارم الأخلاق، وأنه بُغِّض إليه الوثنية وخرافات أهلها ورذائلهم من صغر سنه، وحبب إليه العزلة حتى لا تأنسَ نفسه بشيء مما يتنافسون فيه من الشهوات واللذات البدنية، أو منكرات القوة الوحشية، كسفك الدماء، والبغي على الناس، أو المطامع الدنيئة كأكل أموال الناس بالباطل؛ ليبعثه مصلحاً لما فسد من أَنْفُسِ الناس، ومزكِّياً لهم بالتأسِّي به، وجعله المثلَ البشريَّ الأعلى؛ لتنفيذ ما يوجه إليه من الشرع الأعلى.

فكان من عفَّته أنْ سَلَخَ مِنْ سني شبابه وفراغه خمساً وعشرين سنة مع زوجته خديجة كانت في عشر منها كهلةً نَصَفاً أمَّ أولاد، وفي خمسة عشر منها عجوزاً يائسة من النسل، فتوفيت في الخامسة والستين وهي أحب الناس إليه، وظل يذكرها، ويفضِّلها على جميع من تزوج بهن من بعدها، حتى عائشة بنت الصديق على جمالها، وحداثتها، وذكائها، وكمال استعدادها للتبليغ عنه، ومكانة والدها العليا في أصحابه.

وظل طول عمره يكره سفك الدماء ولو بالحق، فكان على شجاعته الكاملة يقود أصحابه؛ لقتال أعداء الله وأعدائه المعتدين عليه وعليهم؛ لأجل صدهم عن دينه، ولكنه لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً منهم هو أبي بن خلف كان موطِّناً نفسه على قتله فهجم عليه وهو مُدَجَّجٌ بالحديد من مِغْفَر ودرع، فلم يجد بداً من قتله، فطعنه في ترقوته من خلل الدرع والمغفر فقتله.

---

(٣١) الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا ص١٢٩–١٣٣.

(٣٢) الهَيُولَى: كلمة يونانية ومعناها: أصل الشيء ومادته، ومعنى الهيولاني: الأصلي.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وظل طول عمره ثابتاً على أخلاقه، من الزهد والجود والإيثار، فكان بعدما أفاء الله عليه من غنائم المشركين واليهود يؤثر التقشف، وشظف العيش على نعمته، مع إباحة شرعه لأكل الطيبات، ونهيه عن تركها؛ تديناً.

وكان يرقع ثوبه ويخصف نعله، مع إباحة دينه للزينة، وأمره بها عند كل مسجد، وكان يساعد أهل بيته على خدمة الدار.

أكمل الله استعداده الفطري الوهبي، لا الكسبي؛ للبعثة بإكمال دين النبيين والمرسلين، والتشريع الكافي الكافل؛ لإصلاح جميع البشر إلى يوم الدين، وجعله حجة على جميع العالمين بأن أنشأه كأكثر قومه أُمِّياً، وصرفه في أُمِّيته عن اكتساب أي شيء من علوم البشر من قومه العرب الأميين ومن أهل الكتاب، حتى إنه لم يجعل له أدنى عناية بما يتفاخر به قومه من فصاحة اللسان، وبلاغة البيان من شعر، وخطابة، ومفاخرة، ومنافرة [٣٣]؛ إذ كانوا يؤمُّون أسواق موسم الحج وأشهرها عكاظ من جميع النواحي؛ لإظهار بلاغتهم وبراعتهم، فكان ذلك أعظم الأسباب لارتقاء لغتهم، واتساع معارفهم، وكثرة الحكمة في شعرهم، فكان من الغريب أن يزهد محمد –صلى الله عليه وسلم– في مشاركتهم فيه بنفسه، وفي روايته لما عساه يسمعه منه.

وقد سمع بعد النبوة زهاء مائة قافية من شعر أمية بن الصلت فقال: «إن كاد ليسلم»، وقال:«آمن شعره وكفر قلبه»، وقال: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر حكم» [رواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عباس].

وأما قوله: «إن من البيان لسحر» فقد رواه مالك، وأحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، من حديث ابن عمر.

قلنا: إن الله تعالى جعل استعداد محمد –صلى الله عليه وسلم– للنبوة والرسالة فطرياً وإلهامياً لم يكن فيه شيءٌ من كسبه بعلم، ولا عمل لساني، ولا نفسي، وإنه لم يُرْوَ عنه أنه كان يرجوها، كما رُوي عن أمية بن أبي الصلت، بل أخبر الله عنه أنه لم يكن يرجوها، ولكن رُوي عن خديجة –رضي الله عنها – أنها لما سمعت من غلامها

---

(٣٣) المنافرة: المحاكمة والمفاخرة في الأحساب والأنساب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ميسرة أخبار أمانته وفضائله وكراماته، وما قاله بحيرى الراهب فيه – تعلَّق أملُها بأن يكون هو النبي الذي يتحدثون عنه، ولكن هذه الروايات لا يصل شيء منها إلى درجة المسند الصحيح، كحديث بدء الوحي.

فإن قيل: إنه يقوِّيها حَلِفُها بالله أن الله –تعالى– لا يُخزيه أبداً، قلنا: إنها عللت ذلك بما ذكرته من فضائله، ورأت أنها في حاجة إلى استفتاء ابن عمها ورقة في شأنه.

وأما اختلاؤه –صلى الله عليه وسلم– وتعبده في الغار عام الوحي فلا شك في أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد الوَهْبي، ولذلك الاستعداد السلبي، من العزلة، وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم، ولا عاداتهم.

ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة؛ لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك، أو عَقِبَ رؤيته حصولَ مأموله، وتحقق رجائه، ولم يَخَفْ منه على نفسه.

وإنما كان الباعثُ لهذا الاختلاء والتحنث اشتدادَ الوحشة من سوء حال الناس، والهرب منها إلى الأنس بالله تعالى والرجاء في هدايته إلى المخرج منها، كما بسطه شيخُنا الأستاذ الإمام [٣٤] في تفسير قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى}[الضحى:٧] وما يفسره من قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ} [الشورى:٥٢–٥٣] وألم به في رسالة التوحيد إلماماً مختصراً مفيداً، فقال:

«من السنن المعروفة أن يتيماً فقيراً أمياً مِثْلَه تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته إلى زمن كهولته، ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه، لاسيما إن كان من ذوي قرابته، وأهل عصبته، ولا كتاب يرشده، ولا أستاذ ينبهه، ولا عضد إذا عزم يؤيده؛ فلو جرى الأمر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم، وأخذ بمذاهبهم إلى أن يبلغ مبلغ

---

[٣٤] يعني الشيخ محمد عبده

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الرجال، ويكون للفكر والنظر مجال، فيرجع إلى مخالفتهم إذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده [٣٥].

ولكنَّ الأمر لم يَجْرِ على سنته، بل بُغِّضتْ إليه الوثنية من مبدأ عمره، فعالجته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليقة.

وما جاء في الكتاب من قوله: {وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى} [الضحى:٧] لا يُفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم، حاش لله، إن ذلك لهو الإفك المبين، وإنما هي الحيرة تُلِم بقلوب أهل الإخلاص، فيما يرجون للناس من الخلاص، وطلب السبيل إلى ما هدوا إليه من إنقاذ الهالكين، وإرشاد الضالين، وقد هدى الله نبيَّه إلى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته» أ. هـ.

أقول: وجملة القول أن استعداد محمد –صلى الله عليه وسلم– للنبوة والرسالة عبارة عن جعل الله تعالى روحه الكريمة كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كلِّ ما في العالم من التقاليد الدينية، والأعمال الوراثية والعادات المنكرة، إلى أن تجلى فيها الوحي الإلهي بأكمل معانيه، وأبلغ مبانيه؛ لتجديد دين الله المطلق الذي كان يُرسل به رسله إلى أقوامهم خاصة، بما يناسب حالهم واستعدادهم، وأراد إكمال الدين به، فجعله خاتم النبيين، وجعل رسالته عامة دائمة، لا يحتاجون بعدها إلى وحي آخر.

- في مقال «العربية والإسلام» يقول:

إن اللغة رابطة من روابط الجنس، وقد حرم الإسلام التعصب للجنس لأنه مفرق للأمة ذاهب بالاعتصام والوحدة واضع للعداوة موضع الألفة، وقد نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن العصبية العمية الجاهلية وتبرأ ممن يدعو إليها أو يقاتل عليها، وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به. فلولاه لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات، وكما كان يعروها التغيير من قبله. ولولاها لتباعدت

---

(٣٥) كأمية بن أبي الصلت، وزيد بن عمرو بن نفيل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الأفهام في فهمه، ولصار أدياناً يكفر أهلها بعضهم بعضاً، ولا يجدون أصلاً جامعاً يتحاكمون إليه إذا رجعوا إلى الحق وتركوا الهوى، فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان، بل هي لغة المسلمين كافة ولغة شعوب أخرى من غير العرب، وطوائف من العرب غير المسلمين، وما خدم الإسلام أحد من غير العرب إلا بقدر حظهم من لغته، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيبوية الفارسي النسب وأستاذه الخليل العربي في فضلهما واجتهادهما في خدمة اللغة، ولا بين البخاري الفارسي وأستاذه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية العربيين في خدمة السنة، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الأمة ولا خلفها قبل هذا العصر أن يأبى تفضيل كثير من الأعاجم في النسب على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب في ما امتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته، ولا نعرف أحداً من علماء الأعاجم له حظ من خدمة الإسلام وهو يجهل لغته ولولا أن ظل علماء الدين في جميع الشعوب الإسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي وأذكار الصلاة وغيرها بالعربية، ومدارسة التفسير والحديث بالعربية ؛ لضاع الإسلام في الأعاجم منها. [٣٦]

- وفي مقال بعنوان «التجارة من أسباب امتلاك أوربا للشرق» يقول:

«لقد علم الأوربيون أن حرب الدراهم والدنانير، أنجح من حرب المدافع والبواريد، وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية أكثر بلاد الشرق، فالإنكليز ما استولوا على الهند بتكتيب الكتائب، وسوق الأساطيل بالفيالق والجحافل، وإنما هي جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل تظلها السلطة ويؤيدها النفوذ اللذان يقيمان حيث تقيم، وكذلك شأن شركة النيجر في أحشاء أفريقية، واليوم ينعم الإنكليز على الحكومة المصرية بثمانمائة ألف جنيه ونيف لافتتاح السودان وتصرح وزارتهم بأن الإنصاف يقضي عليهم بمساعدة مصر بالإنفاق على فتح السودان لأنها شريكتها بفوائده التجارية ومعناه أن تستأثر بالتجارة وتختص دون أوربا بهذا الفتوح المعنوي الذي يتبعه التملك اسماً ومعنى كما هو المعهود في الهند والنيجر وغيرهما، ومعلوم أن

---

(٣٦) مجلة البيان – العدد ٢١ – صفر ١٤١٠هـ – سبتمبر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الحكومة المصرية لا تجارة لها وبهذا يحتج عليها المحتلون في إجبارها على بيع سكك حديد السودان بعد الفتح.

يقولون إن فائدتها العسكرية تنتهي بالفتح والحكومة المصرية لا تجارة لها ولا يليق بها التجارة فمن المصلحة أن تباع هذه السكك لشركة تجارية ويرجح الإنكليز على سائر الأجانب بما أنفقوا من أموالهم وما أرهقوا من رجالهم، والحمد لله لا شركات وطنية لنا فنقول إنها ترجح وتقدم حتى على الإنكليز.

ابتاع أخوان من الفلاحين عدة من الدجاج (الفراخ) لأجل تربيتها والانتفاع ببيضها، وكان أحدهما ذكياً والآخر بليداً مغفلاً، فقال الذكي للبليد: تعال نقتسم. واتفقا في القسمة على أن تكون الدجاجات للبليد وبيوضها لأخيه، فكان هو يتعاهدها بالأكل والشرب والمبيت وينفق عليها ويخلي بين أخيه وبين بيوضها ويأكل منها ما شاء، وصار الأخوان مثلاً في بلدهما في تلك القسمة الضيزى.

كذلك شأن الإنكليز مع الحكومة المصرية في السودان وشأن سائر الأوربيين في فتوحاتهم المعنوية يقنعون بامتلاك المنافع وثمرات البلاد ويدعون الاسم لأهلها، ولكن إلى أجل مسمّى حتى إذا ما جاء الأجل يصرحون بالامتلاك الاسمي أيضاً.

كل هذا والشرقيون وادعون ساكنون وإذا تحركوا فإنما تكون حركتهم ميلاً مع ريح الأجانب انخداعاً لها أو رهبة منها لاندهاشهم بعظمتها التي ما جاءتها إلا من الشركات المالية وهي أيسر شيء عليهم لاسيما قبل تمكن الأجانب من بلادهم، لو أن للشرقيين عقولاً ذكية وتربية وطنية لما رضوا أن تكون بلادهم بينهم وبين الأجانب كالدجاجات بين ذينك الأخوين فكيف والأمر أعظم من ذلك، ولقاوموا جنود التجارة الفاتحة أشد المقاومة.

اندفع الغرب على الشرق بخميس من الأزياء وكتائب من الحلي وجحافل من الماعون النفيس وفيالق من اللذائذ فلم تجد هذه الجنود المجندة من الشرق أقل مقاومة ولا أدنى مدافعة فطفقت تفتك في النفوس بعوامل الترف وفي الأموال بعوامل السرف وما زال القوم يعدون هذه العوامل من علائم الشرف حتى وقفت بهم على شفا جرف وأكبتهم على مناخرهم في مهاوي التلف.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لا ننكر أن من هذه الجنود ما لا قبل لنا بدفعه الآن كالضروري من الأدوات والماعون والنسيج، وكلامنا إنما هو في الزخارف الكمالية كالحلي وماعون الزينة ومادة الترف من الأشربة وغيرها فهذه هي التي تنسف ثروة البلاد وترميها بالفقر والعجز، فرب حاكم أو مسئول ينفق على الترف والبذخ ما يكفي لإنشاء مدارس أو معامل يحيي بها صقع من الأصقاع أو إقليم من الأقاليم .

فالترف مدعاة الدمار والفناء الاجتماعي إذا لم يقرن بتربية صحيحة تقي من أدوائه وتعصم من بلائه، فعسى أن يتنبه الشرقيون لما ذكرنا فيحترزون من مضار الترف وتقليد الإفرنج بما يعود عليهم وعلى بلادهم بالدمار ويجتهدون بتربية أولادهم تربية دينية وطنية لعلهم يستردون ما فقدوا، ويسترجعون ما سلبوا، وما ذلك على الله بعزيز. (٣٧)

بعض المآخذ عليه

١ – ذكر في كتابه «تاريخ الإمام» العجب العجاب عن جمال الدين الأفغاني، وعن محمد عبده.

– ذكر انتسابهما للمحفل الماسوني، وذكر في الجزء الثاني مفاوضات محمد عبده مع القسيس الإنجليزي إسحاق تيلور، وفي الجزء الأول ذكر اشتراك اليهود في هذه المفاوضات التي كان هدفها توحيد الأديان، والتقريب بين الإسلام والنصرانية !!

– وذكر حوار محمد عبده مع عباس ميرزا أحد زعماء البهائيين ونبهه – أي رشيد رضا – إلى انحرافات البهائيين فأجاب تلميذه: «لم أفهم من عباس أفندي شيئاً من هذا !!»

– وكان ملتصقاً بمحمد عبده ويعرف صلته بحزب الأمة واللورد كرومر، والجاسوس الإنجليزي الخطير «ولفرد بلنت»، ويعرف أيضاً تردد شيخه على صالون

---

(٣٧) المنار ١/١٧

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الأميرة نازلي داعية التبرج والسفور .. كان رشيد رضا يعرف كثيراً عن انحرافات محمد عبده ومع ذلك قال في ثنائه عليه:

(وإنني وأيم الحق لم أطلع له على عمل إلا الحقيق بلقب المثل الأعلى من ورثة الأنبياء ...، وقال أيضاً: إن هذا الرجل أكمل من عرفت من البشر ديناً وأدباً ونفساً وعقلاً وخلقاً وعملاً وصدقاً وإخلاصاً، وإن من مناقبه ما ليس له فيه ند ولا ضريب، وإنه لهو السري الأحوذي العبقري) [٣٨].

ولا ندري هل هذا رأي رشيد رضا الحقيقي بشيخه رغم أخطائه الفادحة التي تتعارض مع المنهج الذي كان يتبناه ويدافع عنه ويشن حملات عنيفة ضد مخالفيه من المبتدعين المقلدين ... أم أن المجاملة حالت بينه وبين الاعتراف بالحق؟!

٢ – بقيت بصمات محمد عبده ظاهرة فيما كان يكتبه رشيد رضا بعد وفاة الأول، ومن الأمثلة على ذلك تأويله لمعجزة انشقاق القمر رغم تخريج البخاري ومسلم لها، وتضعيف كثير من الأحاديث التي لا تتفق مع آراء أصحاب المدرسة الإصلاحية كما أنه صحح بعض الأحاديث الضعيفة التي تتفق مع أفكاره التي كان ينادي بها [٣٩]. لكنه مع ذلك لم يتخلى عن منهج أهل السنة، وكما يقولون: «لكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة».

٣ – لم يكن موقف رشيد رضا من الدولة العثمانية سليماً، ومن آثار هذا الموقف المؤسف قبوله الاشتراك في أول حكومة سورية بعد الحرب العالمية الأولى، وأهداف هذه الحكومة لم تكن خافية على أمثال رشيد رضا، بل وكثير من رجالات هذه الحكومة معروفة انتماءاتهم العالمية المشبوهة. ولو أن رشيد رضا وقف عند حد نقد

---

(٣٨) انظر كتاب عبقرية الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، لمؤلفه عباس محمود العقاد ، ص ١٩٠ ، مكتبة النهضة بمصر .

(٣٩) أشار الشيخ ناصر الألباني إلى ذلك، انظر حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ص١/٤٠٠– ٤٠٥ ، الدار السلفية ، الكويت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سياسة السلطان عبد الحميد وإطلاقه لأيدي الخرافيين والمستبدين، أو أنه وقف عند حد نقد رجالات الاتحاد والترقي لما وجدنا في هذا أو ذاك غلواً منه، ولكن موقفه تجاوز هذا الحد ولم يكن صائباً في موقفه، وكان المنتظر منه غير ذلك لطول باعه في معرفة أحوال العصر، ولا ندري إلى متى يستمر جهل كثير من العلماء بالسياسة؟ وإن كان موقف رشيد رضا هنا ليس ناتجاً عن الجهل.

٤- إنكاره أحاديث المهدي رغم ثبوت الكثير منها، فالملاحظ أن من أنكروا المهدي على أقسام ثلاثة:

«القسم الأول»: ضعفوا أحاديثه كما فعل ابن خلدون وكذا المحمود قاضي قطر، واحتجوا بأن أحاديثه لم تخرج في الصحيحين، وأنها لا تخلو من مقال.

«القسم الثاني»: ليس لهم أي علم بالحديث وأسانيده؛ لكنهم أنكروا المهدي فرارًا من التشبه بالرافضة، وزعمًا أن إثباته يؤكد معتقد الرافضة في غيبة مهديهم؛ كما هو صنيع محمد رشيد رضا، وأحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام»، والمؤرخ محمد بن عبد الله عنان في كتابه «تراجم إسلامية»، ويذكر هؤلاء أن سبب اختراع المهدوية سياسي، وأنه كان بسبب ذهاب الخلافة من آل البيت إلى الأمويين، فاخترع آل البيت ومن ادعوا مشايعتهم فكرة المهدوية؛ وذلك لاسترجاع الخلافة، أو أن مخترعيها قصدوا منها جمع الناس على كلمة سواء تتلخص في الولاء لآل البيت.

وهذا المسلك خطير جدًا، وفيه اتهام للصالحين من آل البيت ولاسيما الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي وهم من آل البيت مثل: علي وابن عباس -رضي الله عنهم-، على أن كثيرًا من أحاديث المهدي رواتها من غير آل البيت فبطلت حجتهم، وخطورة هذا المسلك في كونه يطعن في بعض الصحابة، ولا شك في أن الطعن في الصحابة - رضي الله عنهم - طعن في الدين؛ لأنهم حملته عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونقلته إلينا، ثم إن من طعن فيهم فقد خالف صريح القرآن؛ إذ إن عدالتهم منصوص عليها فيه في أكثر من آية.

فإن زعموا أن من وضع أحاديثه من آل البيت كانوا بعد عصر الصحابة. فجواب ذلك: أن من جاءوا بعد عصر الصحابة من آل البيت إما أن يكونوا ثقاتاً صالحين،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فاتهامهم بوضع الحديث اتهام باطل لا موجب له، ويلزم منه رد أحاديث صحيحة بمجرد الهوى والظن. وإن كانوا غير صالحين ففيه اتهام لأئمة الحديث الذين نقلوا أحاديثه وصححوها بقبول أحاديث من لا يقبل حديثه؛ وفي ذلك إسقاط للسنة كلها، ويلزم منه رد أحاديث أخرى في غير المهدي أسانيدها مثل أسانيد حديثه أو أقل منها وهذا باطل، على أنه وردت أحاديث في شأن المهدي ليس في أسانيدها أحد من آل البيت فبطلت هذه الحجة.

«القسم الثالث»: ليس لهم علم بالأحاديث وأسانيدها؛ لكنهم ظنوا أن فكرة المهدي مأخوذة من أهل الكتاب، وبعضهم بالغ فأنكر الدجال ونزول المسيح عيسى ابن مريم بحجة أن هذه العقائد موجودة عند اليهود والنصارى، ويحتمل أن المسلمين أخذوها عنهم؛ كما قال محمد محي الدين عبد الحميد: «يرى بعض الباحثين أن كل ما ورد عن المهدي وعن الدجال من الإسرائيليات» [٤٠].

وقال رشيد رضا بعد أن طعن في كثير من أحاديث المهدي من جهة الإسناد: «وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيه أعسر، والمنكرون له أكثر، والشبهة فيه أظهر؛ ولذلك لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتها في صحيحيهما، وقد كانت أكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية؛ إذ تصدى كثير من محبي الملك والسلطان، ومن أدعياء الولاية وأولياء الشيطان لدعوى المهدوية في الشرق والغرب... »

وقال أيضاً: «وإذا تذكرت مع هذا أن أحاديث الفتن والساعة عامة، وأحاديث المهدي خاصة، كانت مهب رياح الأهواء والبدع، وميدان فرسان الأحزاب والشيع».

وقد استمات في رد هذه الأحاديث ولم يستقص كل ما ورد في المهدي من أحاديث، وإنما نقل بعضاً منها ورده، وقبل ذلك رد حديث تميم الداري في قصة الجساسة الذي خرّجه مسلم في صحيحه، وقبل ذلك ألمح إلى رد كل ما جاء في الفتن. فقال: «واعلم أيها المسلم الذي يجب أن يكون على بصيرة من دينه أن في

---

(٤٠) انظر: تعليقه على العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي ضمن الحاوي للفتاوى (٢-١٦٦).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

روايات الفتن وأشراط الساعة من المشكلات والتعارض ما ينبغي لك أن تعرفه ولو إجمالاً حتى لا تكون مقلدًا لمن يظنون أن كل ما يعتمده أصحاب النقل حق» [٤١]

وهكذا يردون الأحاديث الصحيحة بأوهام خاطئة، وظنون فاسدة نسأل الله العافية. وما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا ينطوي على مغالطات كثيرة لا يتسع هذا المقال للبسط فيها، ومن ذلك:

١- دعوى التعارض التي ذكرها في أحاديث المهدي غير مسلمة وقد جمع العلماء بينها.

٢- ذكره أن المنكرين للمهدي أكثر من المثبتين غير صحيح؛ بل جمهور علماء السنة يثبتون المهدي، ويذكرونه في عقائدهم التي يكتبونها، وكيف يزعم أحد أن المنكرين للمهدي أكثر من المثبتين له وقد ذكر الشوكاني وقوفه على خمسين حديثاً في شأنه منها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، فيكفي إثباتاً لبطلان تلك الدعوى أن رواة هذه الأحاديث أكثر من خمسين بل من مئة بالنظر إلى رجالات أسانيدها وجلهم من علماء الحديث وأئمته، ومن أين للمنكرين مئة عالم بل خمسين بل عشرة ينكرونه، وهم ممن يعتد بقولهم؟!!

٣- عدم إخراج الشيخين لأحاديث المهدي لا يسوغ إنكاره؛ لأن الشيخين لم يستوعبا كل ما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم يدعيا ذلك بل صرحا بخلافه وتركا أحاديث كثيرة صحيحة لم تكن على شرطهما، ولو صحت هذه الحجة لتم رد كثير من فروع الشريعة، وتفصيلات العبادات والمعاملات؛ إذ إن السبيل إليها أحاديث في المسانيد والسنن والمعاجم والأجزاء والمشيخات، ولم تخرج في الصحيحين أو أحدهما.

٤- ذكره أن أحاديث المهدي كانت أكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية... الخ، لو صح ذلك سبباً فإنه لا يُسوِّغ رد الصحيح من الأحاديث، كيف

---

(٤١) انظر: تفسير المنار (٩-٤٨٨).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهو لا يصح سبباً؛ فإن سبب ذلك هو الجهل والهوى، ولو علم الناس السنة، وتجردوا من الهوى لما وقع ذلك، ووقوع الفتنة بسبب فهم خاطئ لأحاديث صحيحة لا يصلح حجة لرد تلك الأحاديث، أوليس الخوارج قد فتنوا بنصوص الوعيد، والمرجئة بنصوص الوعد، والمعطلة والمشبهة بنصوص الصفات بسبب فهمهم الخاطئ لها فهل يعني ذلك رد تلك النصوص؟! ولو جاز رد النصوص الثابتة بسبب فهم بعض الفرق الخاطئة لها، وإفراطهم أو تفريطهم فيها لكان ذلك باباً واسعاً لرد الشريعة كلها بأصولها وفروعها؛ إذ إنه ما من نص قرآني أو نبوي أفاد حكماً شرعياً إلا وله معارضون ومحرفون، يكونون على طرفي نقيض. نسأل الله – تعالى – الهداية والتوفيق، والموافاة على الحق المبين.

«الموقف الثالث»: وقف بين مدّعي المهدوية وبين منكريها أهلُ الحق والإيمان، الذين أثبتوا ما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من أخبار المهدي، وآمنوا بذلك وصدقوه؛ لوروده عن المعصوم –صلى الله عليه وسلم–، ولم ينساقوا خلف كل دَعِيٍ يدعي المهدوية.

كما أيقنوا بأن وقوع ذلك غيب لا يعلم وقته إلا الله تعالى شاء، وأنه قدر نافذ يقضيه الرب – جل وعلا – متى شاء، وليس لهم أن يستعجلوه، أو يخلعوه على أحد من الناس.

إن الواجب على كل مسلم أن يؤمن بالغيب المثبت في الكتاب وصحيح السنة، ولا يستعجل ظهور هذا الغيب أو وقوعه؛ لأنه ليس له، بل هو أمر كوني خاضع لإرادة الله – سبحانه وتعالى–، وليس للبشر فيه حيلة لا من حيث وقوعه أو دفعه ولا من حيث تقديمه أو تأخيره، وكل ذلك ليس إلينا، وما علينا إلا الإيمان والتسليم، مع السعي الجاد لإقامة دين الله تعالى، والدعوة إليه، والاشتغال بالباقيات الصالحات.

ونحمد الله تعالى على أن لم يكلفنا البحث في الغيبيات، أو محاولة كشفها وإظهارها، أو معرفة وقتها؛ فذلك لله سبحانه وليس إلينا، والمطلوب منَّا قضاء عمرنا فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة كما قال الله سبحانه: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩].

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يبقى الشيخ رشيد رضا رغم أخطائه عالمًا كبيراً من كبار علماء أهل السنة، ومن يتحدث عن التجديد في العصر الحديث لا بد أن يذكر «مجلة المنار» وصاحبها إذا كان جاداً ومنصفاً في بحثه.

وفاة الشيخ رشيد

ارتبط الشيخ رشيد رضا بروابط مع المملكة العربية السعودية الوليدة آنذاك، وكان له صداقات وطيدة مع علمائها وأمرائها، فسافر بالسيارة إلى السويس لتوديع الأمير (سعود بن عبد العزيز)، فلم يتحمل جسده الواهن مشقة السفر، ورفض المبيت في السويس وعاد في اليوم نفسه، وكان طوال الطريق يقرأ القرآن كعادته، ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وطلب من رفيقه أن يستريح داخل السيارة، ثم لم يلبث أن صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها في يوم الخميس الموافق (٢٣ من جمادى الأولي ١٣٥٤هـ = ٢٢من أغسطس ١٩٣٥م)، عن سبعين عامًا.

من مصادر الترجمة

– إبراهيم العدوي – رشيد رضا الإمام المجاهد – (سلسلة أعلام العرب) – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة – بدون تاريخ.

– أحمد الشرباصي – رشيد رضا، الصحفي المفسر، الشاعر – مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية القاهرة – ١٩٧٧م.

– أنور الجندي أعلام وأصحاب أقلام – دار النهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ.

– سامي عبد العزيز الكومي – الصحافة الإسلامية في القرن التاسع – دار الوفاء للطباعة والنشر. المنصورة – مصر – ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

– محمد رجب البيومي – النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين – دار القلم – دمشق – ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

– المصلح الكبير محمد رشيد رضا من الصوفية إلى السلفية/ أبو عمر المنهجي

– مجلة البيان . العدد (١١) ص ٨ شعبان ١٤٠٨/ أبريل ١٩٨٨

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهاتير محمد

الأمم تحتاج لأمثال هؤلاء

«مهاتير محمد» أو «محاضر محمد» .. نموذج لقائد دولة انتشل بلاده (ماليزيا) من المجهول وغياهب التخلف، واعتمد على سواعد أبنائها وعقولهم ليس فقط على مواردها الطبيعية، واستطاع –بتوفيق الله تعالى– أن يترجم البراعة الإدارية إلى واقع عملي نهضوي تفخر به ماليزيا طيلة عمرها .. إنها المفردات واللغة التي نحن في أمس الحاجة لأن نتبناها في عالمنا العربي، لغة الوقائع لا الشعارات الفارغة من المضمون العملي، ومسيرة نضال حقيقية تبني مجدا كما بناه سلفنا الأوائل.

بداية متواضعة

ولد مهاتير محمد في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٥، وهو أصغر إخوته الستة لمدرس من أصل هندي وأم ملاوية، في مدينة «ألور سيتار» عاصمة ولاية كيداه.

نشأ في أجواء عائلية محافظة اجتماعيا، وحصل على الابتدائي والإعدادي والثانوي في «ألور سيتار». وتلقى دراسته بكلية «السلطان عبد الحميد»، ثم درس الطب بكلية «المالاي» بسنغافورة والتي كانت تعرف بكلية «الملك إدوارد السابع الطبية»، وقام بدراسة الشؤون الدولية بجامعة «هارفارد» بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٧م.

خلال الحرب العالمية الثانية وأثناء الاحتلال الياباني لماليزيا باع مهاتير فطائر الموز والوجبات الخفيفة الأخرى لتوفير الدخل لأسرته، ودرس الصحافة بالمراسلة لتوفير المال اللازم لسد مصاريفه الشخصية والعائلية، ونشر العديد من المقالات وخاصة في صحيفة «صنداي تايمز» تناولت كافة القضايا الملاوية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تعرف على زوجته (سيتي حشمة محمد) في سنغافورة التي كانت تدرس في نفس كلية الطب، وهي ثاني امرأة ملاوية تدرس الطب في ذلك الوقت.

قام السيد مهاتير بعد تخرجه بالعمل بالطب في عيادته الخاصة (١٩٥٧–١٩٧٢) والتي كان يقوم بعلاج الفقراء بها مجاناً، كما عمل كضابط طبيب بسلاح الخدمات الطبية.

عرف مهاتير باتجاهاته السياسية، حيث انضم لتنظيم «اتحاد الملايو» عام ١٩٤٦ وفي صفوفه شق طريقه نحو النشاط السياسي، حيث تدرج فيه من عضو المجلس الأعلى لتنظيم اتحاد الملايو الوطني، ثم نائب رئيس له، ثم بعد ذلك رئيس له عام ١٩٨١

كان أول عمل سياسي له ممثلاً لماليزيا في الأمم المتحدة ١٩٦٣، ثم رشح في مسقط رأسه نائبًا برلمانيًا (١٩٦٤–١٩٦٩)، وفي الوقت نفسه عضوا في المجلس الأعلى للحزب، وفي عام ١٩٦٩ طرد من الحزب بسبب انتقاده الشديد لرئيس الوزراء الماليزي الأسبق وأبي الاستقلال الماليزي (تنكو عبد الرحمن)، واتهامه له عبر رسالة مفتوحة بتجاهل وإهمال الحقوق الأساسية للشعب المالاوي.

ومن المناصب التي تدرج فيها رئيس مجلس التعليم العالي الأول، ورئيس مجلس الجامعة الوطنية في السبعينات، ثم وزيراً للتربية والتعليم من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٨١، نائب رئيس الوزراء ووزير التجارة والصناعة، رئيس الوزراء ووزير الشؤون الداخلية ١٩٨١.

تولى مهاتير محمد رئاسة الوزراء عام ١٩٨١– ٢٠٠٣م (رابع رئيس وزراء ماليزي وأطولهم حكما) حيث وصلت ماليزيا في عهده إلى ذروة مجدها وارتفع نصيب دخل الفرد فيها ارتفاعاً كبيراً، كما تم تقليص حجم البطالة فيها بشكل ملحوظ، استطاع من خلال منصبه أن يتجه بالبلاد نحو نهضة اقتصادية عالية حيث حقق نسب عالية جدا في معدل النمو الاقتصادي للبلاد، ورسم الخطط بحيث تصبح بلاده بحلول عام ٢٠٢٠م بلد على درجة عالية من التقدم الصناعي.

الفكر التنموي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تبنى مهاتير محمد المنهج التنموي ودفع بالمالايا نحو النهضة التنموية من خلال توفير مستويات عالية من التعليم والتكنولوجيا لهم، كما دفع بهم لتعلم اللغة الإنجليزية، وقام بإرسال البعثات التعليمية للخارج وتواصل مع الجامعات الأجنبية، حاول بكل جهده في إطار سياسته الاقتصادية بتجهيز المواطن الماليزي بكافة الوسائل العلمية والتكنولوجية لكي يستطيع الانفتاح والتواصل مع العالم الخارجي والتعرف على الثقافات المختلفة، ثم بعد ذلك الدفع به إلى سوق العمل من أجل زيادة الإنتاج وخفض مستوى البطالة بين أفراد الشعب، حيث كان يهدف لتفعيل الجزء الأكبر من المجتمع الأمر الذي يعود على ارتفاع مستوى التنمية الاقتصادية للبلاد في نهاية الأمر، واستطاع أن يحول ماليزيا من دولة زراعية يعتمد اقتصادها على تصدير السلع الزراعية والمواد الأولية البسيطة مثل المطاط والقصدير وغيرها إلى دولة صناعية متقدمة، حيث شارك القطاع الصناعي والخدمي في اقتصادها بنسبة ٩٠ %. وتبلغ نسبة صادرات السلع المصنعة ٨٥% من إجمالي الصادرات، وتنتج ٨٠% من السيارات التي تسير في الشوارع الماليزية.

كانت النتيجة الطبيعية لهذا التطور أن انخفضت نسبة السكان تحت خط الفقر من ٥٢ % من إجمالي السكان في عام ١٩٧٠، أي أكثر من نصفهم، إلى ٥ % فقط في عام ٢٠٠٢، وارتفع متوسط دخل المواطن الماليزي من ١٢٤٧ دولارا في عام ١٩٧٠ إلى ٨٨٦٢ دولارا في عام ٢٠٠٢، أي إن دخل المواطن زاد لأكثر من سبعة أمثال ما كان عليه منذ ثلاثين عاما، وانخفضت نسبة البطالة إلى ٣ %.

وأصبحت تجربة ماليزيا في النهضة الصناعية التي قامت بها تحت رعاية مهاتير محمد مثل تحتذي به الدول، ومادة للدراسة من قبل الاقتصاديين، ومرشحة في ١٥ عاما المقبلة لكي تكون المؤهلة الأولى من بين دول العالم الثالث للانضمام لمجموعة الدول الثماني الصناعية والأكثر تطورا في العالم.

يقول في هذا الشأن: «بعد أن توليت الحكم مباشرة وجدت أنني لا يمكنني أن أعتمد على الأرقام والاحصائيات الحكومية فقررت في الحال ضرورة إنشاء مركز للدراسات الإستراتيجية والدولية وأحضرت الخبراء المتخصصين، وقلت: لهم سوف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تأخذون تمويلا من الحكومة، ولكن هذا لا يجب أن يعنى بتاتا أن تكونوا تابعين لها. أريد أرقاما ودراسات استطيع الاعتماد عليها.

أيضا رأيت أن العاصمة كوالالامبور تحتاج لتطوير وأنها لا يمكن أن تبقى على هذا الحال أبدا. فقمت بجولة في المدينة واخترت المكان الذي رأيته ملائما وانتقلت هناك وقلت سوف أقيم في هذا المكان وعلى جميع الوزارات والإدارات الحكومية الانتقال إلى هنا بخطة محددة.

تم إنشاء هذه المدينة في أول التسعينيات مساحتها الآن ٤٥٠٠ هكتار وتحولت الآن إلى مدينة رائعة تزخر بكل الوزارات تقريبا علاوة على (واد للتكنولوجيا) الذي رأيت ضرورة إنشائه بعد زيارة لوادي السليكون في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، زرت هذا المكان وشهدت أحدث تطوير أدخله في الحياة الماليزية، وهو ما يسمى بالبطاقة الذكية التي يستخدمها المواطن في أغراض عدة بدءا من التصويت في الانتخابات كرخصة سيارة ككارت طبي علاجي وشهادة ميلاد وتقوم ماليزيا بتصدير هذه التكنولوجيا لدول مجاورة».

ومن أهم شعاراته: «أنظر شرقا» تلك العبارة المشهورة التي كان دائما يرددها رئيس الوزراء الماليزي، وكان بذلك يعبر عن اقتناعه العميق أن نموذج التغيير الحضاري يمكن أن لا يكون غربيا متأثرا بقيم الغرب بل يمكن أن يكون شرقيا متأثرا بقيم الشرق .. ففي شخصية مهاتير محمد تتجسد مهارة الزعيم الذي لم يخضع لسطوة الانبهار بالغرب، ولم تكن تهمه المظاهر الشكلية بقدر ما كانت تهمه عملية البحث عن الممرات المختصرة في التاريخ للارتفاع بأمته من دولة هامشية تجهل عاصمتها إلى دولة مركزية فاعلة في المسرح الدولي وهي محط أنظار العالم.

ركائز التقدم

اعتمد مهاتير في فكره للتقدم بالبلاد على ركائز أساسية ويعد أولها بل في مقدمتها الوحدة بين فئات الشعب حيث إن سكان ماليزيا ينقسموا إلى السكان الأصليين وهم المالايا ويمثلون أكثر من نصف سكان ماليزيا، وقسم آخر من الصينيين والهنود وأقليات أخرى، وأيضاً توجد الديانة الأساسية وهي الإسلام بالإضافة للديانات

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الأخرى مثل البوذية والهندوسية، ولقد نص الدستور الماليزي على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام مع ضمان الحقوق الدينية للأقليات الدينية الأخرى، لذلك لزم التوحد بين جميع الأطراف لتسير البلاد كلها من أجل الاتجاه نحو هدف واحد والعمل وفق منظومة تتكاتف فيها جميع الفئات.

الركيزة الثانية اهتمامه بالتعليم منذ مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية؛ فجعل هذه المرحلة جزءًا من النظام الاتحادي للتعليم، واشترط أن تكون جميع دور الرياض وما قبل المدرسة مسجلة لدى وزارة التربية، وتلتزم بمنهج تعليمي مقرر من الوزارة. كما تم إضافة مواد تُنمي المعاني الوطنية، وتغرز روح الانتماء للتعليم الابتدائي، أي في السنة السادسة من عمر الطفل.. ومن بداية المرحلة الثانوية تصبح العملية التعليمية شاملة، فبجانب العلوم والآداب تدرَّس مواد خاصة بالمجالات المهنية والفنية، والتي تتيح للطلاب فرصة تنمية وصقل مهاراتهم.

وإلى جانب ذلك كان إنشاء الكثير من معاهد التدريب المهني، التي تستوعب طلاب المدارس الثانوية وتؤهلهم لدخول سوق العمل في مجال الهندسة الميكانيكية والكهربائية وتقنية البلاستيك، وكان من أشهر هذه المعاهد معهد التدريب الصناعي الماليزي، والذي ترعاه وزارة الموارد البشرية، وقد أصبح له تسعة فروع في مختلف الولايات الماليزية.

كما واكب الاهتمام بالتعليم دخول ماليزيا مرحلة التصنيع، الأسمنت والحديد والصلب، بل وتصنيع السيارة الماليزية الوطنية (بريتون)، ثم التوسع في صناعة النسيج وصناعة الإلكترونيات، والتي صارت تساهم بثلثي القيمة المضافة للقطاع الصناعي، وتستوعب ٤٠% من العمالة.

وكانت التسعينيات من القرن الماضي مرحلة نضج الثمرة، حيث وُضعت ماليزيا في قائمة الدول المتقدمة؛ ففي مجال التعليم، وتوافقًا مع ثورة عصر التقنية، قامت الحكومة الماليزية في عام ١٩٩٦م بوضع خطة تقنية شاملة، من أهم أهدافها إدخال الحاسب الآلي والارتباط بشبكة الإنترنت في كل مدرسة، بل في كل فصل دراسي!!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وبالفعل بلغت نسبة المدارس المربوطة بشبكة الإنترنت في ديسمبر ١٩٩٩م أكثر من ٩٠%، وبلغت هذه النسبة في الفصول الدراسية ٤٥%، كما أنشأت الحكومة الماليزية العديد مما يعرف بالمدارس الذكية التي تتوفر فيها مواد دراسية تساعد الطلاب على تطوير مهاراتهم واستيعاب التقنية الجديدة، وذلك من خلال مواد متخصصة عن أنظمة التصنيع المتطورة وشبكات الاتصال، ونظم استخدام الطاقة التي لا تحدث تلوثًا بالبيئة.

كما تنفذ عملية التدريس والتعليم في هذه المدارس وفقًا لحاجات الطلاب وقدراتهم ومستوياتهم الدراسية المختلفة، ويتم اختيار مدير المدرسة من القيادات التربوية البارزة، ويساعده فريق من الأساتذة ممن لديهم قدرات مهنية ممتازة،كما تتيح مشاركة الطلاب في اختيار البرامج الدراسية، بجانب حرص هذه المدارس على التنويع والتطوير في أساليب التدريس، مثل الرحلات العلمية والأيام الترفيهية.

لقد حددت الدولة أولوياتها بدقة، فإذا نظرنا إلى إجمالي ما أنفقته الحكومة الماليزية على التعليم في عام ١٩٩٦م على سبيل المثال نجده ٢.٩ مليار دولار، بنسبة ٢١.٧% من إجمالي حجم الإنفاق الحكومي، وازداد هذا المبلغ إلى ٣.٧ مليار دولار عام ٢٠٠٠م بما يعادل نسبة ٢٣.٨% من إجمالي النفقات الحكومية.

وكان إنفاق هذه المبالغ على بناء مدارس جديدة، وخاصة المدرس الفنية، وإنشاء معامل للعلوم والكمبيوتر، ومنح قروض لمواصلة التعليم العالي داخل وخارج البلاد.. وبالإضافة إلى الدعم والتسهيلات الكبيرة التي تقدمها الدولة، فإن إلزامية التعليم أصبحت من الأمور التي لا جدال فيها، وأصبح القانون الماليزي يعاقب الآباء الذين لا يرسلون أبناءهم إلى المدارس!!

كل ذلك بجانب الحرص على الانفتاح، والاستفادة من النظم التعليمية المتطورة في الدول المتقدمة، وفي هذا السياق تم إنشاء أكثر من ٤٠٠ معهد وكلية جامعية خاصة، تقدم دراسات وبرامج توأمة مع جامعات في الخارج، كما أتاحت الفرصة للطلاب الماليزيين لمواصلة دراستهم في الجامعات الأجنبية.. إلا أن ما يستحق التسجيل ويدعو إلى الإعجاب، تلك الفكرة الجديدة التي قامت بها الحكومة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الماليزية، عندما عملت على تقوية العلاقة بين مراكز البحوث والجامعات وبين القطاع الخاص؛ بعبارة أخرى تم فتح المجال لاستخدام أنشطة البحث الجامعية لأغراض تجارية!!

وقد كان لتلك الفكرة أعظم الأثر على الجميع؛ فلم تعد الحكومة الآن مطالبة بدعم كل الأنشطة البحثية بمفردها، بل شاركتها في ذلك المصانع والمؤسسات المالية والاقتصادية، كل حسب حاجته.. وفي ذات الوقت لا تكاد تجد مركز أبحاث يشكو من قلة الدعم الحكومي، وهذا إضافة إلى أن الدولة استطاعت أن توجه ما كان يمكن أن يصرف على هذه الأنشطة إلى مصارف أخرى مهمة. ومن جراء ذلك امتلكت المصانع الماليزية القدرة على التطوير، بل والابتكار والمنافسة، وإثبات وجودها في الأسواق المحلية والعالمية.

ولم تنس الحكومة المرأة الماليزية، والتي حصلت على نصيبها من التعليم كالرجل تمامًا، بل تقدِّم الحكومة قروضًا بدون فوائد لتمكين الآباء من إرسال بناتهم إلى المدارس وتوفير مستلزمات المدرسة، وتعطي الفقراء مساعدات مجانية لهذا الغرض.

الركيزة الثالثة في خطة التنمية تمثلت في البحث عن دولة مناسبة تقوم بعملية الدعم لماليزيا في تجربتها نحو التقدم والتنمية، وكانت هذه الدولة هي «اليابان» التي أصبحت من أكبر حلفاء ماليزيا في مشروعها نحو التنمية والتقدم. وكان رأي مهاتير محمد أن الإستراتيجية التي انتهجتها اليابان في إنتاج سلع جيدة بأسعار زهيدة ساهمت بشكل كبير في تحقيق تفوقها على المنتجات الأوربية والأمريكية ذات الأسعار المرتفعة، وبالتالي نجحت في السيطرة على أسواق آسيا وإفريقيا، إضافة إلى إتباع سياسة منهجية في التصنيع، وإيجاد قيادات تتمتع بمستوى علمي فائق، وتتميز بالتطور والإبداع، وعلى المستوى المعنوي نجد في اليابان الالتزام الأخلاقي والمهني بقيم العمل الآسيوية، مما يستتبعه التفاني والجدية في الأداء المهني.

وبالتوازي مع هذه الركائز ظهرت براعة «الإدارة الجيدة»، فقد دخلت ماليزيا في التسعينيات مرحلة صناعية مهمة، وذلك حين شجعت الصناعات ذات التقنية العالية وأولتها عناية خاصة، وقد كان ذلك بعد أن توافر لديها جيل جديد من العمالة الماهرة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المتعلمة، والمدربة بأحدث الوسائل، فأصبح في مقدورها إثبات وجودها، بل والمنافسة على الصدارة.

ومن أبلغ ما يبين نجاح الأداء الاقتصادي لماليزيا في الفترة المهاتيرية، ذلك التوسع الذي حدث في استثمارات القطاع الصناعي، حيث أنشئ أكثر من ١٥ ألف مشروع صناعي، بإجمالي رأس مال وصل إلى ٢٢٠ مليار دولار، وقد شكلت المشروعات الأجنبية حوالي ٥٤% من هذه المشاريع، بما يوضح مدى الاطمئنان الذي يحمله المستثمر الأجنبي لماليزيا من ناحية الأمان، وبالتأكيد ضمان الربحية العالية، بينما مثلت المشروعات المحلية ٤٦% من هذه المشاريع.

وقد كان لهذه المشروعات عظيم الأثر والنفع على الشعب الماليزي؛ حيث وفرت مليوني وظيفة للمواطن الماليزي، إلى جانب الفائدة الكبرى المتمثلة في نقل التقنية الحديثة وتطوير مهارات العمالة الماليزية.. أيضًا تحققت في فترة ولاية مهاتير محمد طفرة ملحوظة في مشروعات الاتصالات والمعلومات التي كانت تحظى باهتمام ودعم حكومته كعنصر مهم من عناصر خطته التنموية، وكان يسميه «الاقتصاد المعرفي»، وبالفعل أصبحت ماليزيا محطة إقليمية وعالمية في مجال صناعة الاتصالات والمعلومات والإنترنت.

اعتزال السياسة

تعرض الزعيم الماليزي مهاتير محمد للعديد من الانتقادات على مدار حياته السياسية حيث وصفه البعض بالديكتاتور ولكن جاء قرار استقالته (٢٠٠٣م) وهو في قمة مجده (٧٦سنة) لينسف هذا المعتقد حيث لم يستأثر بالحكم على الرغم من النجاح الساحق الذي حققه أثناء حكمه للبلاد.

وظل مثيراً للجدل من قبل الغرب نظراً لتصريحاته اللاذعة الشديدة اللهجة دائماً، وكانت أكثر هذه التصريحات جرأة وإثارة لغضب الغرب تلك التي كانت في القمة الإسلامية التي عقدت في ماليزيا حيث انتقد اليهود بشدة في كلمته التي ألقاها حيث أشار لسيطرتهم على القرار الدولي وقيامهم بإشعال نيران الحرب ضد المسلمين.

من أقواله ومواقفه الرائعة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

– إن ماليزيا واثقة بأن الأمة الإسلامية يمكنها أن تكون أقوى قوة في العالم إذا توحدت، وأحسنت استخدام ثرواتها ومصادرها المختلفة.

– إذا كنا جميعًا رجال دين فمن سيقوم بتصنيع الطائرات والصواريخ والسيارات وأدوات التكنولوجيا الحديثة ؟!

– إذا كنت تريد أن تعرف لماذا ينجح حاكم ويفشل آخر فنصيحتي أنه يجب أن يكون واضحا جيدا في رأس أي حاكم –وخصوصا في العالم الثالث الإسلامي– ما الذي يريده من البقاء في السلطة، هذا الشيء قد يبدو سهلا في الظاهر ولكنه صعب التطبيق لأنه دون أن يسأل الحاكم لماذا أنا هنا؟ بصفة دائمة فإن سوء الحكم وسوء الإدارة وحب البقاء في السلطة هو النتيجة التلقائية، علاوة على ذلك كلما كان حاكم العالم الثالث شخصا يتمتع بخيال إصلاحي كان ذلك شيئا مهما لأن دول العالم الثالث في تقدمها تحتاج في البداية إلى حاكم مصلح صاحب فلسفة في التنمية والتطور.

– حاكم العالم الثالث يتمتع بسلطات كبيرة وإذا لم يستخدمها بصورة جيدة ومبتكرة ولهدف الإصلاح يحدث الفساد في الحال. من هنا يجب أن يبادر باتخاذ خطوات الإصلاح ويحشد الجهود وراءها.

– المشكلة الماليزية كانت تبدو مثل مشكلة مصر لحد كبير. تخلصنا من الاستعمار عام ١٩٥٧م ولكن ظللنا بلدا زراعيا حتى الثمانينيات. كان هدفي هو إخراج ماليزيا من وضع الدولة الزراعية. وهذا لم يكن معناه مجرد إخراج مادي بإنشاء مصانع وبنية أساسية وغيره، ولكن إخراجها من العقلية الزراعية التي ترضى بالواقع ولا تحب المغامرة والمنافسة والتطور والانفتاح وفهم الدين كعمل للآخرة فقط.

– تطوير أي شعب وإخراجه من حالة التخلف يستلزم –في رأيي– التركيز على ما يمكن أن نسميه الآن بلغة الكمبيوتر (السوفت–وير) و (الهارد–وير) .. (السوفت–وير): هي التركيبة العقلية والذهنية للشعب أما (الهارد–وير) فهو البنية الأساسية اللازمة من كهرباء واتصالات وغيره. وبالنسبة للسوفت–وير كان لابد من تطوير نظام التعليم بالكامل من خلال التركيز على تعليم الانجليزية والعلوم الهندسية والرياضية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والتكنولوجية بالذات، واعتمدنا في هذا بدرجة كبيرة على اليابان التي ساعدتنا لأن اليابان يهمها كثيرا أن ترى من حولها متقدمين. كما سعيت أيضا من خلال السوفت– وير إلى إيجاد طبقة وسطى ماليزية تأخذ على عاتقها التحلي بقيم المنافسة والابتكار وتطوير البلاد، ونجحت في ذلك من خلال انتقاد الملايويين سكان البلاد الأصليين والزراعيين وتهديدهم بانتزاع الامتيازات التي تمتعوا بها وامتداح الصينيين الملايويين (حوالي ٢٠% من السكان) لقدراتهم العالية ونشاطهم وحيويتهم.

– عندما أتيت للحكم رفعت شعار «ماليزيا بوللي» ومعناها أن ماليزيا قادرة على فعل كل شيء، وذلك لزرع روح التحدي، وكان هذا شيئا أساسيا في فكرى، لتحقيق ذلك اعتمدنا –ولكن ليس بدرجة كبيرة– على قروض من اليابان، فاليابان ثاني أكبر مستثمر في ماليزيا بعد الولايات المتحدة، ولكن التمويل الأساسي وهو العنصر الحاكم الذي لعب دورا هائلا في مشروع تطوير ماليزيا هو ارتفاع معدل الادخار في البلاد حيث يصل إلى ٣٥% من إجمالي الناتج القومي. المدخرات العائلية في ماليزيا تتعدى قيمتها في ٢٠٠٥ ما يصل إلى ٧٠ مليار دولار، هذا مكننا بدرجة كبيرة من تطوير البنية الأساسية (الهارد–وير) وبعد ذلك ساعدنا فائض صادراتنا. صادرات ماليزيا زادت قيمتها من ٥.٢ مليار رينجيت فى ١٩٧٠ إلى ٥١٤ مليار رينجيت أو ١٣٥ مليار دولار. (٣.٨= واحد دولار أمريكي)، أما بالنسبة للسوفت–وير فقد اعتمدنا على القطاع الخاص بدرجة كبيرة وخصوصا من قبل الصينيين الماليزيين حيث أسهموا بإنشاء المدارس والجامعات والمعاهد العلمية والهندسية والتي يصل عددها الآن إلى حوالي ٣٢ في البداية كان الملايويون يحجمون عن الذهاب إلى هذه المدارس لأن العقلية الزراعية كانت مازالت مسيطرة، لكن عندما وجدوا أن المدارس الصينية هي التي تخرج أصحاب المهارات ممن يجدون فرص العمل والثراء أقبلوا على هذه المدارس. في هذه المدارس يتعلمون اللغة الإنجليزية والصينية والرياضيات علاوة على اللغة المالايوية.

يذكر أن مهاتير محمد وضع رؤيته الشهيرة المعروفة في ماليزيا بعبارة «دو وا بولو دو وا بولو» أي «عشرين عشرين: ٢٠٢٠» وهي السنة التي وضعتها الإستراتيجية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بعيدة المدى التي تم تنفيذها بخطى متسارعة منذ ١٩٨١ والتي تجعل سقف سنة ٢٠٢٠ المنعطف الذي تصبح فيه ماليزيا دولة متطورة، وليس دولة في طور النمو.

يقول الأستاذ (رياض حاوي) في جلسة حميمية مع أحد أبرز الشخصيات السياسية الماليزية وهو (تان سري سنوسي جنيد)، حدثنا عن قصة طريفة عندما كان في زيارة مع مهاتير محمد إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس الأسبق رونالد رجان، كان هذا الأخير ينظر لكل زائريه من العالم الثالث نظرة مليئة بالاستعلاء والغرور، اقترب من الضيف الماليزي وقال له أنظر أمامك ما تراه هما العمارتين الأطول في العالم يقصد برجي مركز التجارة العالمي WTC!! فرد عليه أب ماليزيا الحديثة: سيدي الرئيس أطمئنك أنه سيكون في ماليزيا قريبا ما هو أطول منهما. وبالفعل احتفظ مهاتير بوعده للرئيس الأمريكي وفي عام ١٩٩٨ كانت ماليزيا على موعد مع تدشين العمارتين الأطول في العالم المعروفتين ببرجي «بتروناس». وكلنا يعلم ما حدث فيما بعد للبرجين الأمريكيين ذات يوم من أيام سبتمبر ٢٠٠١ لما أصبحا خبرا من أخبار التاريخ.

عندما افتتح مهاتير البرجين قال في كلمته: «اليوم نضع بين يدي الماليزيين معلما يجعلهم يرفعون رؤوسهم وينظرون عاليا»، ومرة سألته صحفية مشاغبة، سؤالا استفزازيا قائلة: «إن اقتصاد ماليزيا لا يزال هشا وهو أقل من أن يتورط في بناية ضخمة من حجم برجي بتروناس التوأمين» فرد عليها مداعبا: «مثلنا مثل المرأة الحسناء القصيرة التي تحتاج إلى لبس الكعب العالي حتى تظهر طويلة».

مؤلفاته

قام مهاتير محمد بتأليف كتاب «معضلة الملايو» عام ١٩٧٠م، وهو الكتاب الذي أثار ضجة وقام فيه بانتقاد الشعب المالاوي واتهمه بالكسل ودعا فيه الشعب لثورة صناعية تنقل ماليزيا من إطار الدول الزراعية المتخلفة إلى دولة ذات نهضة اقتصادية عالية، ولقد تم منع الكتاب من قبل منظمة المالايو القومية المتحدة ولكنه استطاع أن يتجاوز هذا وبدأ يظهر كشخصية سياسية لها فكر مختلف حتى وصل لرئاسة الوزراء عام ١٩٨١م.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كما قام بتأليف عدد آخر من الكتب منها كتاب «صوت ماليزيا»، و «صوت آسيا – زعيمان أسيويان يناقشان أمور القرن المقبل» هذا الكتاب الذي قام بالمشاركة بتأليفه مع السياسي الياباني شينتارو اشيهار.

كما أن الدور الذي قام به مهاتير محمد في إدارته للأزمة المالية التي عصفت بكل دول شرق آسيا لا ينكر؛ ففي نهاية التسعينيات تعرضت العملة الماليزية «الرينجيت» إلى مضاربات واسعة بهدف تخفيض قيمتها، وظهرت عمليات تحويل نقدي واسعة إلى خارج ماليزيا، وبالأخص من جانب المستثمرين الأجانب، وبدا أن النجاح الذي حققته على وشك التحول إلى فشل. وبعد بحث مستفيض للموضوع أصدر مهاتير محمد مجموعة قرارات تهدف إلى فرض قيود على التحويلات النقدية خاصة الحسابات التي يملكها غير المقيمين، وفرض أسعار صرف محددة لبعض المعاملات، في الوقت الذي اتجهت فيه معظم الدول لسياسة تعويم العملة تنفيذًا لنصائح صندوق النقد الدولي، ورغم ضغوط البنك الدولي أصر مهاتير على سياسته التي أثبتت الأيام أنها كانت ناجحة، وبفضلها اجتازت ماليزيا هذه الأزمة بأقل الخسائر، بل إن دولاً كثيرة درست سياسته، وحاولت تكرارها والاستفادة منها.

جمع وترتيب

د/ خالد سعد النجار

alnaggar66@hotmail.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com